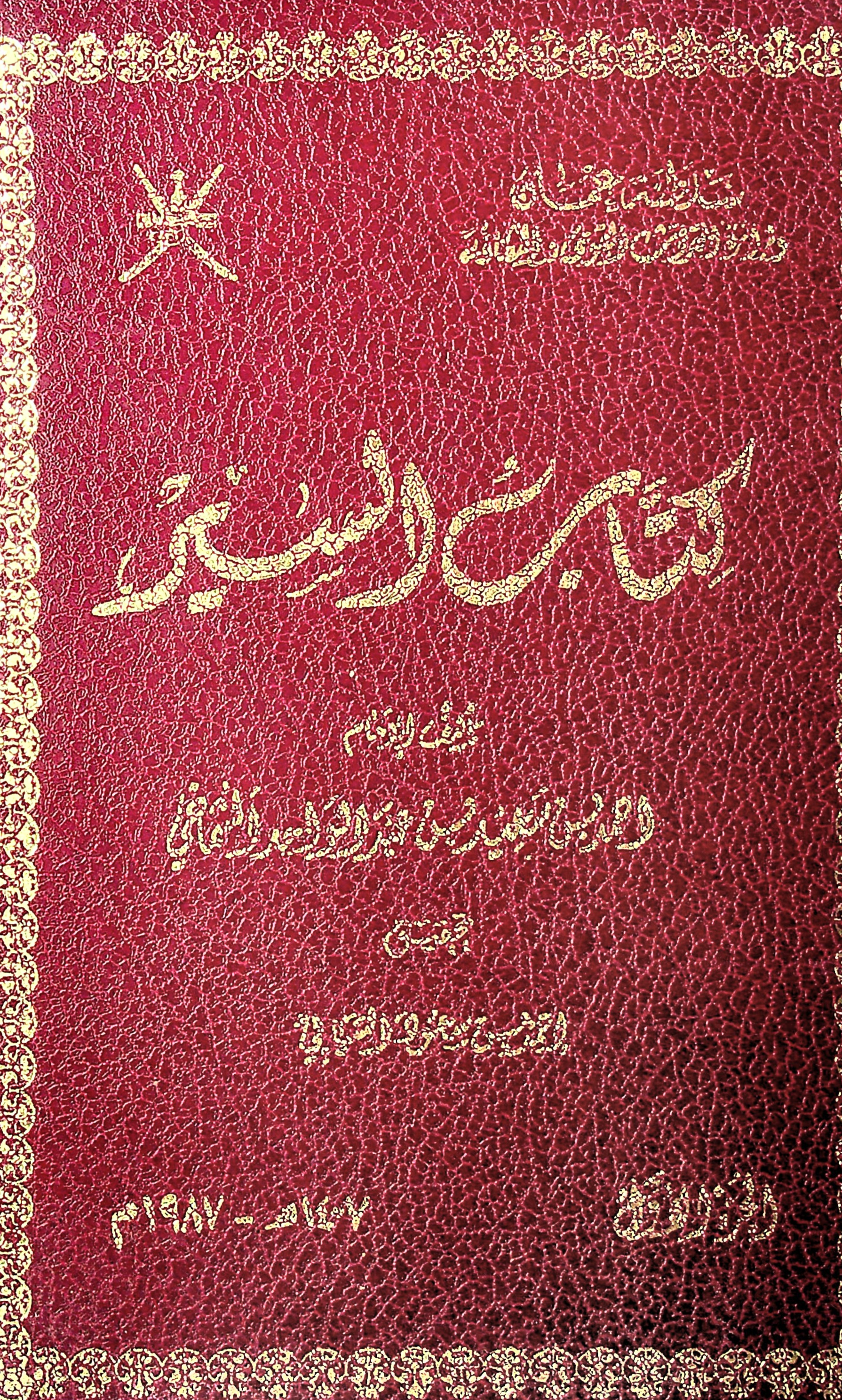
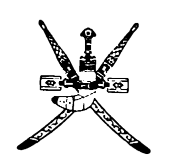

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
كتاب السير
تأليف الإمام
العلامة أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي
تحقيق
أحمد بن سعود السيابي
الجزء الأول
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة





تأليف الإمام

أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي

تحقيق

أحمد بن سعود السيابي

الجزء الأول

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م



كلمة سماحة الشيخ العلامة

احمد بن حمد الخليلي

المفتي العام لسلطنة عُمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى تابعيهم بإحسان من أهل الاستقامة في الدين .

أما بعد : فإن معرفة سير أهل الفضل ومناقبهم وجهادهم وكفاحهم وتضحياتهم وبذلهم من أجل إعلاء كلمة الله وخفض كلمة الذين كفروا ورفع معالم الحق ودك صروح الباطل تقوى ملكات الايمان وتضاعف عزائم الخير وتصقل مرآة اليقين وتربط بين حلقات أجيال الصَّالحين في سلسلة تأريخ الأمة .

وهذه هي الحكمة التى تكمن وراء ما نراه من عناية القرآن بقصص الأنبياء ودعوتهم وأخبار الصَّالحين من أممهم ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب﴾

وإن مما يدعو الى الأسف أن يكون هذا الجانب من الثقافة لم ينَل عناية كافيه من أصحابنا ــ أهل الأستقامة ــ فقد ضاع كثير من تراجم علمائهم المحققين وأئمتهم الصَّالحين وقادتهم الملهمين إمَّا لاهمال هذه التراجم ذاتها حرصاً على هضم النفس

والبعد عن المفاخزة والاشتغال بالعمل لا بالقول وإمَّا لتلاشي مَا دُونِ من ذلك إمَّا بقلة النسخ وإمَّا بعوامل الفتن فأصبح الذي يريد أن يكتب عن حياة أحد من هؤلاء الأعلام يجد من العسر والمشقة مَا ليس بعده .

ولعل إخواننا من أهل المغرب هم أوفر نصيباً في العناية بهذا الجانب وأكثر حظا في بقاء مَا دونوه في هذا الباب .

وإن كتاب السيّر للعلاَّمة المحقق الفقيه المؤصل بدر العلماء «ابي العباس أحمد بن سعيد الشماخي» رحمه الله تعالى الذى جمع فيه تراجم الصدر الأول من علماء المذهب وخلفائهم الذين كانوا بالشطر الغربي ليعدُّ بحق من أعذب الموارد وأطيب الموائد وأجمع المراجع لمن أراد أن يروى غلته ويشفى علته فقد جمع بين دفتيه مَا لم يجمع في سِفْر سواه ، جزى الله مؤلفه خيراً وبارك في آثاره وجعلها معيناً لا ينضب ونوراً لا يأفل وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أحمد بن حمد الخليلي

مسقط ــ ١٩ شوال ١٤٠٧ هـ

المؤلِّف والمؤلَّف

● أولاً : المؤلِّف :

مؤلف كتاب السير هو الامام العلامة ابو العباس احمد بن ابي عثمان سعيد بن عبد الواحد بن سعيد بن ابي الفضل قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر بن يحيى بن ابراهيم بن موسى بن عامر الشماخي .

فهو من اسرة الامام المحقق العلامة النحرير ابي ساكن عامر بن علي بن عامر الشماخي رضي الله عنه صاحب كتاب الايضاح في الفقه ، حيث يلتقي معه في جده عامر الشماخي ، لذلك فالمؤلف رحمه الله ينتمي الى اسرة كريمة المحتد وعائلة عريقة ضاربة بجذور راسخة في العلم والفضل ، وقد لقب المؤلف ـــ رحمه الله ـــ ببدر الدين فهو بدر الدين الشماخي ، ويختصر احيانا فيقال له البدر ، ويجد القارىء في الكتب التي تحكي اقواله وآراءه «وقال البدر ....»

وكان مولده في الاربعينات من القرن التاسع الهجري ، وهذا على وجه التقريب ليس إلا ، حيث اننا لم نعثر على تاريخ محدد لولادته بيد ان أباه الشيخ ابا عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي توفي سنة ٨٦٥ هجرية . والمؤلف لا يزال في طور الشباب ومرحلة اليفوعه .

ولكونه من تلك الاسرة ، اسرة الشماخي ، اسرة العلم والفضل والصلاح ، كان لابد له منذ صغره ونعومة اظفاره من الالتحاق في رحاب العلم والعلماء ، فلازم اساتذة اجلاء وعلماء فضلاء لهم القدم الراسخ في العلم واليد الطولى في الفهم ، فاول ما اخذ العلم عن الشيخ ابي عفيف صالح بن نوح التندميرتي من نفوسه بليبيا ، ثم اتاحت له الظروف التنقل بين اقاليم ليبيا وتونس ، وهيأت له الاقدار اشياخا

عظماء فتلقى العلم في تونس على كل من :

١ ـــ العلامة الجليل البيدموري .

٢ ـــ الشيخ يونس بن محمد .

٣ ـــ الشيخ ابو زكريا يحيى بن عامر بن ابراهيم .

٤ ـــ الشيخ ابو يوسف يعقوب بن احمد بن موسى .

وبلغ الامام ابو العباس الشماخي رضي الله عنه منزلة كبيرة في العلم ونال درجة عالية منه ، وأخذ منه بحظ وافر ، ولنستمع الى الشيخ العالم البارع دفين القاهرة أبي اسحاق ابراهيم اطفيش وهو يحدثنا عن تلك المكانة العلمية التى تبوأها المؤلف والمنزلة التى نزلها حيث يقول «وابو العباس من اعلام العلم الذين نبه لهم شأن عظيم لجدهم واجتهادهم وبلغوا منزلة قصوى في العلم كانوا بها منارا يهتدى به ، وعلما يعتصم به ويلجأ إليه ، اذا ألّف وصنف كان آية ، وإذا ردت اليه مشكلة كان في حلها غاية واذا حضر مجلسا من مجالس العلم كان فيه النهاية . له من التصانيف في عدة علوم ، كلها تعد من الامهات»

اما التأليف فقد ضرب فيه بسهم ووطىء فيه بقدم . فقد الفّ العديد من المؤلفات القيمة المفيدة التى اصبحت مصادر لا يستغنى عنها ، ومن مؤلفاته :

١ ـــ كتاب السير (الذي بين ايدينا) وهو في تراجم علماء الاباضية .

٢ ـــ مختصر العدل والانصاف ، اختصر فيه كتاب العدل والانصاف للامام ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني في اصول الفقه والاختلاف .

٣ ـــ شرح مختصر العدل والانصاف ، ويعتبر من اهم واروع كتب اصول الفقه ، اودعه آراء في الاصول الفقهية لم يسبقه اليها سابق ، وهو

تحت التحقيق حاليا على يد احد الاساتذة المهتمين بالعلم .

٤ ــ شرح مرج البحرين ، وقد شرح فيه كتاب مرج البحرين للامام الوارجلاني في المنطق والفلسفة .

ولأهمية هذا الكتاب فقد تمنى الامام ضياء الدين عبد العزيز ــ مؤلف النيل ــ رحمه الله الوقوف عليه قائلا : «غير اني سمعت ان البدر الشماخي علق عليه (مرج البحرين) شرحا عجيبا ولكنه ضاع فيا ليتني كنت له مصيبا»

٥ ــ اعراب القرآن .

٦ ــ اعراب مشكل الدعائم ، وكتاب الدعائم هو للعلامة احمد بن النظر الناعبي السمائلي العماني من علماء القرن السادس الهجري .

٧ ــ شرح متن الديانات ، وقد شرح فيه رسالة متن الديانات في التوحيد للامام ابي ساكن عامر بن علي الشماخي .

٨ ــ رسائل في علم الكلام والفقه .

والظاهر ان للمؤلف كتبا أخرى لم يقدر لها ان تصل الينا وقضت عليها عوادي الدهر يقول الشيخ ابو اسحاق اطفيش رحمه الله «وبعد فاني ارى ان البدر الشماخي من المؤلفين المكثرين ، ويظهر ان له مصنفات في الفروع الفقهية ، بيد انها لم تصل الينا ، بل لعبت بها ايدى التلاشي ، وعبثت بها عوادي الغواشي فكانت اثرا بعد عين»

وخلال اقامة المؤلف في تونس ، في جزيرة جربه احدى حواضر العلم في العالم الاسلامي ، زاره احد المشايخ العمانيين هو محمد بن عبد الله السمائلي ، ويظهر ان الشيخ العماني لديه المام بعلوم الطب ، فقد ذكر المؤلف في هذاالكتاب ــ كتاب السير ــ انه ذهب لزيارة ابي يوسف يعقوب بن احمد بن موسى ومعه الضيف العماني معهما الشيخ

يونس بن محمد ، وكان الشيخ ابو يوسف مريضا ، قال فتكلما في الطب فافحمهما .

وانتقل المؤلف رحمة الله عليه ورضوانه الى جوار ربه سنة ٩٢٨ هجرية بعد حياة حافلة بالجد والنشاط في خدمة العلم والدين مليئة باعمال البر والطاعات . وقد اختلف في مكان وفاته ، فذهب بعض إلى أنه توفي في يفرن بجبل نفوسه في ليبيا ، وهذا الذي ذكره الشيخ ابو اسحاق اطفيش ، بينما ينقل الاخ الاستاذ مهنى عمر في مذكراته عن البدر الشماخي تحمس الشيخ سالم بن يعقوب وهو من علماء جربه ومؤرخيها المعاصرين ، إلى القول بانه توفي في جزيرة جربه ودفن فيها ، «فرضي الله عن بدر الدين لما قدمه من اجل خدمة للدين ..»

● ثانياً : المؤلَّف :

اما المؤلَّف فهو كتاب السير ، ويتضمن تراجم لعلماء اجلاء فضلاء وقادة عظماء اسهموا في تكوين الواقع التاريخي اسهاما وافرا ونزيها ، يحدوهم في تلك المسيرة التاريخية الخيره تطبيق شريعة الاسلام نظام حكم ومنهج حياة وسلوك افراد.وتعامل مجتمع . وان القارىء ليجد متعة السلوك الاسلامي الذي احاط بحياة وسيرة اهل الاستقامة منذ الرعيل الاول في القرن الاول الهجري ، ذلك السلوك الذي يملك — ولا ريب — على القارىء مشاعره ووجدانه وينقله نقلة من مشاغل الحياة المادية الجافة الى ساحة العمل الاسلامي الجاد المتمثل في اولئك الاشخاص الذين يلتقي بهم عبر صفحات هذا الكتاب القيم الهادف ، وهو يحكي تاريخهم واحوالهم وكراماتهم وسيرتهم المثلى ، فمن خلاله يرتبط القارىء باولئك العلماء العظام ارتباطا وثيقا محكما تمتد السلسلة التاريخية متشابكة الحلقات بين السابق واللاحق . ألا وان للتدليل على

اهمية هذا الكتاب ـــ كتاب السيّر ـــ في مضمونه ومحتواه امسك القلم تاركا الحديث لشيخين عالمين جليلين هما الشيخ ابو اسحاق ابراهيم اطفيش والشيخ علي يحيى معمر ، فالنستمع أولاً الى صاحب القول الجامع والقلم البارع ابي اسحاق اطفيش رحمه الله تعالى في قوله «ومن مراجع تراجم الرجال وتاريخ اهل الحق والاستقامة كتاب السير . يظن الذين لاحظ لهم من التاريخ ولا قدرة لهم على جوب مراحله ودخول ميادينه انه كتاب غير مفيد ، ولكنهم لا يعلمون انه ثروة ومادة اخذت من كل ناحية بسبب ، واختصت بذكر اساطين العلم والدين ، وانت منهم بعجب واني لاطالع هذا الكنز المكنون والفلك المشحون ولا ازال اكتشف فيه الاعلاق وجلائل تاريخ الائمة ومفاتيح ما اغلق من تاريخ الاباضية وسط الامة الاسلامية بشمال افريقية تاريخ العلم والعمران وازدهار الدين والايمان»

اما الشيخ علي يحيى معمر فيقول «واذا كانت الحركة المباركة آتت ثمارا طيبة ، وتركت لنا تراثا مجيدا تفتخر به المكتبة الاسلامية فان طريقة ابي العباس في كتابه القيم «السير» طريقة فريدة ليس لها مثيل فيما عرفناه من كتب التاريخ ، فان المؤلفين في التاريخ غالبا ما تتخطفهم حوادث السياسة ويتتبعون المظاهر الخادعه من حوادث الانقلابات والمعارك العسكرية وسير الملوك والحكام» الى ان قال : «لقد قرأت كثيرا من كتب التاريخ وقرأت كثيرا من كتب الاجتماع فلم أجد ما يستهويني ، كما اجد ذلك في كتابه «السير» هذا الكتاب الذي يجعلني اعيش حياة واقعيه تمتد عشرة قرون . ارأيت القصصي الموفق الذي يستطيع ان يبعث الحياة في شخوص ابطاله ويجعلك معجبا بهم مهتما باعمالهم ، انه ابو العباس الشماخي . وقصته هذه هي قصة حياة أمة خلال عشرة

قرون . وابطالها الحقيقة لا الخيال ، حقيقة الحياة بما فيها من متعة ، بما فيها من فقر وغنى ، بما فيها من حركة وصراع ونضال ، بما فيها من عمل فردي وجماعي . والامة الاسلامية في حاجة كبرى الى كتّاب من هذا الطراز يصورون الواقع كما هو ، وكما تشهد به الحياة ، وكما يجري به التاريخ الواقعي في فلك الزمان الطويل»

هذا ما قاله العالمان الجليلان في حق هذا الكتاب ، وكفى به قولا ينبيء عن اهمية هذا الكتاب المفيد واعظم به حجة تبرهن عن جلالة قدره وعظيم محتواه . على ان كتاب «السير» يعتبر مصبا لكثير من الكتب التى تقدمته والتى فقد الكثير منها مثل كتاب النهروان وكتب للامام ابي يعقوب الوارجلاني وغيرها من الكتب مما اعطاه صفة المصدريه الموثقه ، وقد طُبع بمطبعة حجرية في القاهرة من نسخة منقولة كانت بخط المؤلف نفسه وقام بالطبع الشيخان الفاضلان محمد بن يوسف الباروني وسليمان بن مسعود النفوسي .

وقد انتشرت النسخ المتفرعه عن هذه الطبعة المباركة شرقا وغربا بحيث لم يعد الناس يقرأون سواها . بيد أنها مشحونة بالاخطاء الاملائيه ، فصححنا هذه الطبعة وفق قواعد الاملاء الحديثه وما وصل اليها الخط العربي من تطور في هذا الفن ، إضافة الى اللمسات الفنية التى عملناها في كيفية طبع الكتاب وإخراجه بهذا الشكل المناسب إن شاء الله .

وقد رجعنا الى كتاب «الطبقات» للامام ابي العباس الدرجيني لضبط بعض الكلمات والاسماء بصفته أهم رافد لكتاب «السيّر» فكان عملنا هذا ـــ ولله الحمد ـــ يقرب من التحقيق العلمي المعروف لم ينقصه سوى تعدد النسخ ، وقد الحق بآخر الكتاب في الطبعة الاولى «الحجرية» بعض

الرسائل هي :

١ ــ رسالة في ذكر نسبة الدين

٢ ــ منظومة للشيخ الباروني

٣ ــ رسالة في ذكر بعض المشايخ

٤ ــ رسالة في تسمية بعض مساجد جبل نفوسة .

فأثبتناها في هذه الطبعة أيضاً إتماماً للفائدة ..

ونرى لزاما علينا أن نتوجه بالشكر الجزيل الى وزارة التراث القومي والثقافة وعلى رأسها سمو السيد وزير التراث القومي والثقافة على العناية والاهتمام والجهود العظيمه الطيبه التى تبذل لنشر كتب التراث التي من بينها هذا الكتاب القيّم المفيد .

ونسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وما وضعناه فيه من عمل مفيد .

.... انه ولي التوفيق ....

أحمد بن سعود السيابي

مسقط



مقدمة

الحمد لله الذي كتب في صحائف القلوب الفة أوليائه الاخيار ونقش في الواح الضمائر التوادد بين الاتقياء الابرار . ومحى من رق الصدور محبة اولى الضلال الفجار . لخلافهم ما شرع عن الصراط للانام المبين بلسان الرسول عليه السلام . الذي نقله الاتقياء والعدول . خصوصا من ارتضاه ربنا لصحبة الرسول . مثل عمار والفاروق والصديق . والتابعين لهم بالاحسان والتصديق . هدى من اتبعه رشد واهتدى ومن حاد عنه تجنبا ضل وغوى وحل عليه غضب الله وهوى ومن آكدها بعد الايمان عقدا واكملها بعد التوحيد عهدا المحافظة على الاخوة في الدين والموالاة في ذات الحق اليقين فوجب علينا الولاية والدعاء للسابق . كما فرض علينا مراعات حق اللاحق . اذ نقلوا لنا الهدى ناصحين . وادوه الينا محتسبين . لا يسألون عنه اجرا ولا كانوا متكلفين . لازموا القبض على جمر التكليف من اتباع الرسول من غير تعنيف صلى الله عليه وعلى اله ما طلع شمس وعاد خريف .

وبعـد : فقد وردت رسالة ممن اهمه امرنا وابتغاء المطالعة على احوالنا ومعرفة اخبار بلادنا المصان منها باخواننا والذي ضرب بجرانه عدونا ومعرفة ما نحن فيه من التبرج والاكتنان والظهور والكتمان والوقوف على مناقب الاخوان ونسب من سلف به من الزمان من الائمة اولى البقية والاحسان ام من سنام المجد قحطان ام من اهل السماح والصباح والرماح رأس الشرف عدنان وتضمنت الرسالة انهم أحيوا نفس الشريعة الساطعة الغراء وّطلع شمس النحله النقية البيضاء وانهم رَعوا العفوَ وشربوا الصفو وَساسوا بالعدل العبْاد وتمكنوا في البلاد وَساموا الخسف اهل الجور والفساد بالامام الجواد الوارى الزناد الماجد الاجداد الهمام الفاضل الاشم الباذل اللباب الحلاحل ابو عبد الله محمد الامير العادل المنتهى في الشرف

الى قحطان سواء كان من حمير او ازْدٍ او همدان فانشرحت لسطوع نور هدايتهم صدورنا وسلوكهم محجة من مضى من اسلافنا وَاظهار منهج مذهب الحق مشرقاً بشهادة غرابيل الصدق ، وها انا اذكر بعض اخبار السالفين بعد التيمن بلمع من اخبار الرسول والتبرك بشيء من اخبار الصحابة ومن الله استمد العون والتوفيق والسداد واللطف .

سيرة النبي ﷺ

مولده ﷺ ونسبه وبعثته : اعلم ان الله تعالى مَنَ علينا بلطفه بان انزل علينا كتابا نوّر به كل حالك واضاء به المسالك واشرقت به دجى المهالك وارسل رسولاً هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان واختلف فيما فوق ذلك الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وعلى سيدنا محمد الصلاة والسلام ، ويتميز ﷺ من سائر بطون قريش بهاشم واصطفاه الله من بني هاشم كما اصطفى بنى هاشم من قريش ، وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب حملت به ايام التشريق في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى ، وَوُلد عليه السلام بمكة يوم الاثنين لاثني عشر خلت من رمضان وقيل من ربيع الاول وقيل لثمان وقيل اول اثنين فيه ، وقيل لليلتين خلتا منه عام الفيل وقيل يوم الفيل اى اليوم الذى حبس فيه ، وقيل بعده بشهر وقيل باربعين وقيل بخمسين يوما يوم عشرين من نيسان وقيل لثلاث عشرة بقيت من المحرم يوم الأحد ، وضعته امه قيل في شعب بنى هاشم وقيل بمكة بدار تدعا لمحمد بن يوسف اخى الحجاج ابن يوسف وارسله الله يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول سنة احدى واربعين من عام الفيل وهو ابن اربعين سنة ويوم ، ومن مبعثه الى اول المحرم عام الهجرة اثنى عشر عاما ، وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ، وكانت وقعة بدر يوم الاثنين على قول وقبضه الله يوم الاثنين ﷺ ، وقيل وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان وهو القول العدل ان شاء الله تعالى ، وقيل قدم المدينة يوم الاثنين الثامن من ربيع الاول سنة اربع وخمسين من عام الفيل يوم عشرين من ايلول وعليه ان من مبعثه الى يوم

دخوله المدينة ثلاثة عشرة كاملة ، واقام بالمدينة عشرة اعوام وقيل اقام بمكة عشرا وقيل لأمه حين حملت به انك حملت بسيّد هذه الأمة فاذا وضع الى الارض فقولى اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ، ورأت حين حملت به انه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من ارض الشام فلما وضعته ارسلت الى جده فدخل به الكعبة فدعا الله وتشكر له ما أعطاه ثم رده الى امه ثم دفعه جده الى حليمة بنت عبد الله بن الحارث ترضعه فردته في السنة الخامسة ومات ابوه وامه حامل به وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا وقبره بالمدينة ، وقيل سبعة اشهر وقيل ابن شهرين ، فكفله جده عبد المطلب وماتت امه وهو ابن ستة اعوام وقيل سبعة وقيل ثمانية وتوفى جده سنة تسع من عام الفيل وقيل مات جده وهو ابن ثمان سنين وقيل ثلاث سنين فاوصى به الى ابى طالب شقيق ابيه فكان في حجره الى خمس عشرة سنة فاستقل بنفسه وخرج مع عمه سنة ثلاث عشرة من الفيل فرآه بحيرى الراهب فقال احتفظوا به فانه نبيّ وشهد يوم الفجار عام واحد وعشرين من الفيل وخرج الى الشام عام خمس وعشرين في تجارة لخديجة بنت خويلد فرآه نسطور الراهب وقد اظلته غمامة فقال هذا نبيّ ، وتزوجها بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوما في عقب صفر سنة ست وعشرين وقيل تزوجها وهو ابن احد وعشرين عاما وقيل ابن ثلاثين وهي إبنة أربعين وشهد بنيان الكعبة بعد ذلك بعشر سنين وتراضت قريش بحكمه في وضع الحجر فوضعه بيده ﷺ ، وقيل عام خمسة وعشرين ، وقيل بين بنيان الكعبة ومبعثه خمس سنين ، ونزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة يوم الاثنين فاسر امره ثلاث سنين او نحوها ثم امره الله باظهار دينه والدعاء اليه وقيل وُكِلَ به اسرافيل ثلاث سنين ثم وُكِلَ به جبريل ، فلما دعا الى الله نابذه قومه وكذبوه واجاره عمه ابو طالب إذ أرادوا قتله وحصره قريش ومعه بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب في سنة ست من مبعثه وتوفي عمه سنة ثمان في النصف من شوال وقيل

عام عشر وهو اقرب وخرجوا من الشعب سنة خمسين بعد ان مكثوا في الحصار ثلاث سنين ومات بعد ذلك ابو طالب بستة أشهر وتوفيت بعده خديجة بثلاثة ايام وقيل بسبعة وقيل بشهر وبقيت مع رسول الله ﷺ اربعة وعشرين عاما وستة أشهر واربعة ايام وتزوج بعدها سودة وعائشة قيل في تلك السنة وفيها خرج رسول الله ﷺ الى الطائف بعد عمه فلم يجد عندهم خيرا ، ثم رجع في جوار مطعم بن عدى سنة احدى وخمسين وفيها جاءه جنّ نَصِيبِيْن بعد ثلاثة اشهر فاسلموا وأسْري به الى بيت المقدس ، وقيل بعد سنة ونصف من رجوعه من الطائف ، وقيل الاسراء قبل خروجه الى المدينة بسنة وقيل وشهرين ، ثم بايعته الانصار بيعة العقبة .

هجرته الى المدينة

ثم أذن الله له بالخروج في سنة اربع وخمسين حين اراد نصره واظهار دينه بعد ان اقام بمكة ثلاثة عشر عاما وقيل عشرا وقيل خمسة عشر فهاجر وكان رفيقه ابا بكر الصديق وكان يخدمهما عامر بن فهيرة فقدم المدينة ضحوة نهار يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول وكان خروجه من مكة يوم الاثنين بعد العقبة بشهرين وليال وَالعقبة ايام التشريق ، وقيل خروجه من الغار اول ربيع الاول يوم الاثنين ، وقيل قدم المدينة يوم الجمعة ، وقيل يوم الاثنين لثمان خلت منه فنزل في بنى عمرو بن عوف

فاقام عندهم اربعة ايام وقيل عند سعيد بن خثعمة او عند كلثوم بن الهرم وَاسَّسِ مسجدهم وخرج منتقلا الى المدينة فادركته الجمعة في بنى سالم فصلاها في بطن الوادى ثم استوى على ناقته فثارت لايردها راد حتى اتت موضع مسجده عليه السلام فبركت ثم ثارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها واطمأنت والنبى عليه السلام يراعى حكم الله تعالى فنزل عنها وآوى الى منزل ابى ايوب الانصارى النجارى فلم يزل عنده شهرا حتى بنى مسجده في تلك السنة ومساكنه فانتقل اليها واذن الله له بالقتال وَآخى بين المهاجرين والانصار .

الغزوات والسرايا

وبعث عمه حمزة في جمادى الاولى وهى اول غزوة واول من عقدت له راية في الاسلام في ثلاثين راكبا الى سيف البحر فلقى ابا جهل بن هشام في ثلاثمائة من قريش فحجز بينهم رجل من جهينة ، ثم بعث عبيدة بن الحارث في خمسين راكبا يعارض عير قريش فلقوا جمعا كثيرا فتراموا بالنبل ولم تكن بينهم مسايفة وقيل سرية عبيدة كانت قبل حمزة وفيها رمى سعد اول سهم رمى به في سبيل الله وقيل اول لوآء عقده عليه السلام لعبد الله بن جحش والصحيح ان سريته في العام الثانى الى نخلة وفيها قتل ابن الحضرمى لليلة بقيت من جمادى الاخرى فلما اطمأن رسول الله ﷺ واجتمع اليه المهاجرون والانصار فاقام الصلاة وفرضت الزكاة والصيام والحلال والحرام واقام الحدود ، ثم خرج غازيا في صفر غزوة الابواء حتى بلغ ودّان ، ثم خرج يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ربيع الاول الى بواط وهو على ثلاث مراحل من المدينة ورجع لعشر خلون منه ، ثم خرج غازيا في جمادى الاولى الى العشيرة من بطن ينبع وقد بعث فيما بين ذلك سعدا غازيا حتى بلغ الخوار من ارض الحجاز ، ثم خرج غازيا في اثر كرز بن جابر الى صفوان من بدر وهى بدر الاولى ، وذلك في جمادى الاخرى ، ثم بعث عبد الله بن جحش وقد تقدم التنبيه عليها ثم بدر الكبرى قتل فيها صناديد قريش يوم الجمعة على الصحيح صبيحة سبع عشرة من رمضان وافترض الله رمضان وحولت القبلة وليس فى الاسلام افضل منها ، ثم غزا بنى سليم بعد رجوعه من بدر بسبعة ايام حتى بلغ الكدر من مياههم فاقام به ثلاثا ، ثم رجع ثم غزا غزوة السويق خرج في اثر ابى سفيان في ذى الحجة حتى بلغ قرقرة الكدر ، ثم غزا نجدا يريد غطفان خرج اليها بعد ان اقام بالمدينة بقية ذى الحجة او قريبا منها واقام بنجد صفرا كله وتسمى غزوة ذى أَمَر ، ثم رجع واقام بالمدينة ربيع الاول كله او الا قليلا منه ،

ثم خرج غازيا يريد قريش حتى بلغ نجران من ناحية الفُرع فاقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى وفيما بين ذلك امرَ بنى قينقاع من اليهود ومحاصرة النبي عليه السلام اياهم حتى نزلوا على حكمه وتشفع ابن أبي فيهم وبعث النبي ﷺ زيد بن حارثه الى نجد فاصاب عير قريش على الفردة ماء من مياه نجد ثم قتل كعب بن الاشرف قتله محمد بن مسلمة في فتية امره رسول الله ﷺ بذلك وقتل محيصة بن مسعود بن مسينة او سبينة اليهودى ، ثم غزوة احد اصيب فيها حمزة عم النبى ﷺ وجماعة من الصحابة اكرمهم الله بالشهادة ، ثم رجع رسول الله ﷺ الى المدينة ثم خرج في اثر العدو حتى انتهى الى حمراء الاسد فاقام بها ثلاثا ثم رجع ، ثم بعث الى مرثد بن ابى مرثد وخبيب بن عدى في سبعة نفر واخذوا يوم الرجيع ، ثم بعث المنذر بن عمر في اربعين رجلا الى نجد يدعون الى الله فاصيبوا ببير معونة ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل الى نجد في جمادى الاولى ، ثم غزوة بدر الاخيرة لمعاد ابى سفيان في شعبان عام اربعة ، ثم غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الاول عام خمسة ، ثم غزوة الخندق ، ولرسول الله ﷺ فيها معجزات كثيرة ثم غزوة بنى قريظة ، ثم غزوة بنى لحيان من هذيل طالبا باصحاب الرجيع خبيب واصحابه ، ثم غزوة ذى قرد في اثر عيينة بن حصن اغار على لقاح لرسول الله ﷺ ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة وفيها حديث الافك ، ثم غزوة الحديبية في ذى القعدة بعد اقامته رمضان وشوال من رجوعه من بنى المصطلق فصده المشركون وفيها بيعة الرضوان وتقرب في الفضل من بدر ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة وادى القرى ، ثم اعتمر عمرة القضاء ثم الفتح ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك قاتل فيها ﷺ في تسع وزاد الواقدى غزوة وادى القرى وغزوة الغابة فهى احدى عشرة وقيل كانت غزواته وسراياه (١) وبعوثه من قدومه المدينة الى ان مات خمسا

(١) الغزوة ما اشترك فيها الرسول نفسه والسرية هي ما لم يذهب فيها ، وإنما يجعل عليها قائدا غيره

وثلاثين ، قال المسعودى ذكر الطبرى عمّن حدثه عمّن حدث الواقدى كانت ثمانيا واربعين وقيل كانت ستا وستين ثم قبضه الله اليه وهو ابن ثلاث وستين وقيل ابن ستين وقيل ابن خمس وستين .

زوجات النبي ﷺ واولاده

قال المسعودى تزوج من النساء خمس عشرة امرأة دخل باحدى عشر ومات عن تسع خديجة وسودة وعائشة بنت ابى بكر ولم يتزوج بكرا غيرها وام سلمة بنت ابى امية واسمها هند وكانت من اجمل النساء وجها وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان واسمها رملة زوجها النجاشي من النبى ﷺ واصدقها منه اربعمائة دينار وزينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث وجويرة بنت الحارث بن ضرار وصفية بنت حيي بن اخطب وزينب بنت خزيمة ماتت قبل النبى عليه السلام وعمرة بنت يزيد الكلابى واسماء بنت النعمان الكندية ، وله اسماء محمد واحمد والماحى والعاقب والحاشر ، واولاده القاسم وهو اكبرهم وبه كان يكنى وعبد الله وهو الطيب والطاهر ورقية وام كلثوم وزينب وفاطمة كلهم من خديجة وابراهيم من مارية القبطية .

مرض النبي ﷺ

عن ابى مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال يا ابا مويهبة انى قد امرت ان استغفر لاهل هذا البقيع فانطلق معى فانطلقت معه فلما وقف بين اظهرهم قال السلام عليكم يا اهل المقابر ليهنأ لكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع الآخرة الاولى والآخرة اشر من الاولى ثم اقبل عليَّ فقال يا ابا مويهبة انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة فقلت بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا ابا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة ثم استغفر لاهل البقيع ، ثم انصرف فابتدأ به الوجع ووجد عائشة تقول وا رأساه لوجع في رأسها فقال بل انا والله يا عائشة وا رأساه ، ثم قال وما يضرك لو مت قبلى فقمت عليكٌ وكفنتك وصليتُ عليكِ ودفنتكِ قلت والله فكأنى بك لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم عليه السلام فتتامّ به وجعُه وهو يدور على نسائه حتى اشتد به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن ان يمرض في بيتى فاذن له جميعا قالت فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين رجلين من اهله احدهما الفضل بن العباس ورجل آخر عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتى فاشتد به وجعه قال اهرقوا عليَّ من سبع قرب من آبار شتى حتى اخرج الى الناس فاعهد اليهم فاقعدناه في مخضب ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم والمخضب شبه اجانة يغسل فيها كالثور والمدكن ، ثم خرج ﷺ عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر فصلى على اصحاب أُحد واستغفر لهم فاكثر الصلاة عليهم ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر وفهم ان نفسه اراد فقال بل نحن نفدوك بأنفسنا قال له على رسلك يا

ابا بكر فأمر بسد أبواب المسجد إلا باب ابى بكر ثم نزل واشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس قالت عائشة ان ابا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء اذا قرأ القرآن ، قال مروه فليصل بالناس قالت فعدت لمثال قولى فقال انكن صويحبات يوسف مروه فليصل بالناس وانما فعلتْ ذلك عائشة خشية ان يتشاءم النّاس بمن قام مقامه عليه السلام في كل حدث فاحبت صرفه عن ابيها ، وقال ابن زمعة كنا عنده عليه السلام فدعا بلال الى الصلاة فقال مروا من يصلى فخرجت وكان ابو بكر غائبا فقلت لعمر قم صل بالناس فلما كبّر قال عليه السلام فاين ابو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون فكررها فبعث الى ابى بكر وكان يصلى بالناس غير تلك الصلاة فقال عمر ويحك ماذا صنعت بى يابن زمعة والله ما ظننت حين امرتنى الا ان رسول الله امرك بذلك فقال ما امرنى ولكن حين لم ار ابا بكر رأيتك احق ممن حضرنا للصلاة بالناس ، ثم خرج يوم الاثنين والناس في صلاة الصبح فلما رفع الستر وفتح الباب وخرج كاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ فرحا به فتفرجوا فأشار اليهم أن تثبتوا على صلاتكم وتبسم رسول الله ﷺ لما رآه من هيئتهم في صلاتهم وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منها تلك الساعة فعلم ابو بكر ان الناس لا ينفرجون كذلك الا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه فدفعه في ظهره فقال له صل وجلس الى جنبه الايمن فصل قاعدا فكلم الناس بعد الفراغ من الصلاة رافعا صوته سعرت النار واقبلت فتن كقطع الليل المظلم انى لم احل إلا ما أحل القرآن ولا أحرم إلا ما حرم القرآن ، ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون انه قد افاق من مرضه اى برىء فاضطجع في حجر عائشة فرآى سواكا اخضر في يد بعض آل ابى بكر فنظر اليه في يده نظرة عرفت انه يريده قالت فاخذته فمضغته حتى لينته ثم اعطيته أياه فاستن كأشد ما رأيته أستن بسواك قط ثم وضعه فثقل في حجرى فنظرت في وجهه واذا بصره قد شخص وهو يقول الرفيق الاعلى من الجنة قلتُ خُيِّرتَ فاخترت والذى بعثك بالحق .

وفاة النبي ﷺ

قالت عائشة : وَقُبِضَ رسول الله ﷺ ورضوانه ورحمته عليه بين سحرى ومنحرى وفي بيتى لم اظلم فيه احدا ثم وضعت رأسه على وسادة وقمتُ من سفهى التدم مع النساء واضرب وجهى فقال عُمر ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله ﷺ توفى وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعن كما رجع موسى ، فأقبل ابو بكر حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس فلم يلتفت الى شيء حتى دخل على رسول الله في بيت عائشة وهو مسجى عليه بردة حبرة فكشف عن وجهه فقبله فقال اما الموتُ الذي كتبه الله عليك فقد ذقتَهُ ثم لم يصبك بعده موت ابدا فرد البردة على وجهه فخرج فقال على رسلك انصت فلم ينصت فأقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه اقبلوا عليه فحمد الله واثنى عليه ثم قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لا يموت ثم تلى ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ... الى الشاكرين﴾ (١) فكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر وأخذها الناس عن ابى بكر وإنما هي في افواههم ، فاحتفل الناس واجتمعوا الى وفاة رسول الله ﷺ واعتزلت الانصار الى سعد بن عبادة في سقيفة لبنى ساعدة ، واعتزل بنو هاشم وعليٌّ والزبير وطلحة في بيت فاطمة ، واعتزل خالد بن سعيد بن العاصى وانحاز بقية الناس الى ابى بكر ومعهم بنو عبد الاشهل فأتى ابا بكر وعمر فقال لهما ان كان لكما بأمر الناس حاجة فادركوا الناس قبل ان يتفاقم امرهم ورسول الله في بيته لم يفرغ من امره قد اغلق اهله دونه الباب فقال عمر لابى بكر انطلق بنا الى إخواننا من الانصار قال عمر فلقينا منهم رجلان صالحان فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم فقالا فلا عليكم

(١) سورة آل عمران ١٤٤

الا تقربوهم واقضوا امركم فقلت لنأتيهم فأتيناهم في سقيفة بنى ساعدة فاذا سعد بن عبادة مزمل لوجع به فاتفق رأيهم بعد ان كثر اللغط وارتفعت الاصوات فبويع ابو بكر فأول من بايع بشير بن سعد وقيل عمر بن الخطاب والرجلان عويم بن سعدة ومعن بن عدى ، أما عويم فمن الذين قال الله فيهم ﴿رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾ (١) وفيه قال عليه السلام نعم المرأ عويم بن ساعدة ، وأما معن فقتل يوم اليمامة شهيدا واتى ابو بكر المسجد فبويع بيعة العامة فحمدا الله واثنى عليه ثم قال «توليت عليكم ولست خيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقومونى وقال الضعيف فيكم قوى عندى حتى ازيح اليه حقه والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ثم قال اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم» ثم اقبل الناس على جهَاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وتولى غسله وكفنه ودفنه وامره كله عمه العباس وابناه والفضل وقثم وعلى واسامة وشقران واوس من الانصار فغسل وعليه قميصه يدلك من ورائه وصلى عليه المسلمون جميعا من غير امام الرجال ثم النساء ثم الصبيان ودفن ليلة الاربعاء في جوف الليل وكُفن في ثلاثة اثواب سحولية ليس فيها عمامة ولا قميص وحفر له تحت موضعه الذى قبض فيه ودفنت معه قطيفته التى يفترشها وآخر الناس عهدا برسول الله ﷺ قثم بن عباس فعظمت بموته مصيبة المسلمين وارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وهمّ أكثر أهل مكة بالرجوع عن الاسلام حتى خافهم عتاب اسيد عاملها فتوارى فقام سهيل بن عمرو فحمد الله واثنى عليه وقال ان موت محمد عليه السلام لم يزد الاسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه وكف الناس عما هموا به ..

---

(١) سورة التوبة ١٠٨

ذكر خلافة ابى بكر
رضي الله عنه

لما بويع في المسجد بيعة العامة يوم الثلاثاء لم يتخلف عن بيعته الا من ذكرنا فبايعه عليٌّ بعد ستة أشهر وبعد موت فاطمة وقيل اقل وبعد مخاطبات ومراجعات وبايعه جميع من تخلف إلا سعد بن عباده وأراد عمر ان يلجأ الى البيعة فأبى بشير بن سعد من ذلك وكان ابو بكر ازهد الناس واكثرهم تواضعا في اخلاقه وطعامه ولباسه وكان يلبس العبَاءة والشملة فأوصى عائشة ان ترد ذلك الى عمر بن الخطاب بعده واوصى بما انفق من بيت المال وهو ثمانية آلاف درهم ان يقضى عنه قال الحسن هو غداء بعضهم اليوم ، وقدمت زعماء العرب واشرافهم وملوكهم وعليهم الحلل وبرود الوشى المثقل بالذهب والتيجان والحِبَر فلما شاهدوا ما عليه من الزهد واللباس والتواضع والنسك والوقار وما ألبسه الله من الهيبة في أعين الناس ذهبوا مذهبه منهم ذو الكلاع الحميرى قدم ومعه الف عبد غير عشيرته فنزع وزهد وتزيا بزيه وقد رئى يوما يمشى في السوق على كتفه جلد شاه ففزعت عشيرته لذلك وقالوا فضحتنا بين المهاجرين والانصار والعرب قال لهم اردتم منى ان اكون جبارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لا والله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد في الدنيا الفانية ، فغلب على الناس في ايامه الزهد والتواضع تأسيا بفعله وسمعه أبوه يوما يصيح على ابي سفيان وهو يتذلل له ويتملق فقال لقائده على من يصبح فقال على ابى سفيان فقال اعلى ابى سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم ابو بكر ومن حضره فقال ان الله عز وجل رفع بالاسلام قوما واذل به آخرين .

حروب الردة

وارتدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيام فلبس لهم جلد النمر كما لبس للمؤمنين ثوب التواضع وشمر لهم عن ساق الجد وحسر عن ساعد الجهاد والحرب بعد ماشاور اصحاب النبي عليه السلام فأشاروا ان يتركوا وما اختاروا لظنهم لا طاقة لهم بالعرب لطول ما عالج رسول الله ﷺ فيهم من الجهاد والتكذيب والأذى والشدة والمشقة والمكروه مع كثرة عددهم وشدة شوكتهم وتخوفوا ان يكون لا طاقة لهم بحربهم فرضوا ان يتمسكوا بدينهم ويتركوا الناس وما اختاروا لانفسهم ، فقال ابو بكر والله لو لم اجد احدا يؤازرنى لجاهدتهم بنفسى وحدى حتى أموت أو يرجعوا الى الاسلام ولو منعوا منى عقالا لجاهدتهم حتى الحق بالله فشمرّ الذيل وقاتل من أرتد فعادوا جميعا مذعنين للحق وذلك سنة احدى عشرة ، ثم وجه فيها خالدا الى اليمامة فقتل مسيلمة بعد ان استشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل وقيل واربعمائة منهم سبعمائة جمعوا القرآن وفيها بعث المهاجر بن ابى امية الى حرب الاشعث بن قيس فأوتى به اسيرا في الحديد فقال لابى بكر بعد ان وبخه وشدّ عليه وعدّ عليه رذائله وسوء فعله ابقنى لحربك وزوجنى اختك ففعل ابو بكر .

الفتوحـــات

وفيها (١) امر خالد ان يسير الى العراق لقتال الفرس ففتح حصونا في طريقه الى ان بلغ الحيرة ، فلقى فيها صاحب مصالح كسرى فقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم الله للمسلمين فصالح اهل الحيرة وحج بالناس ابو بكر فلما انصرف بعث ابا عبيدة الى الشام لقتال الروم وكتب الى خالد ان يمده اميرا على المسلمين وفتح في طريقه حصونا وصالح فنزلوا على بصرى وصالحوها والتقوا بجموع الروم باجنادين بين الرملة وحيرون فهزم الله المشركين بعد قتال شديد مات منهم في المعركة ثلاثة آلاف وذلك عام ثلاثة عشر في جمادى الاولى .

---

(١) اي في سنة احدى عشر للهجره

وفــاته

وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ودُفن خلف رسول الله ﷺ .

فضـــائله

وله مع رسول الله احوال واخبار وله فضائل ومنزلة عند رسول الله لا يطمع فيها غيره وهو افضل من اهتدى بهداه وخير من سلك سبيله واتم من اقتدى به واكمل من اتبع اثره ، وقال فيه رسول الله عليه السلام ارحم امتي بامتي ابو بكر وفي رواية أرأف امتي بامتي ، عن ابي الدرداء ان رسول الله ﷺ قال ما طلعت الشمس وما غربت على احد خير وافضل من ابى بكر ، وكان مجلسه عن يمين رسول الله وصلاته خلفه وهو الذى يؤمن اذا دعا ويتلوه اذا مشى وكان اول الناس إسلاما واخلصهم ايمانا واشدهم يقينا واخوفهم لله قلبا واحسنهم صحبة واحوطهم على رسول الله ﷺ وافضلهم مناقب واكثرهم سوابق واقربهم من رسول الله مكانا واشبهم به هدى وخلقا وفضلا وسمتاً واكرمهم عليه واوثقهم عنده ، وردت فيه عن النبي احاديث تدل على كمال فضله وتمام قربه وكثرة يقينه ورسوخ ايمانه فاطلبها في فضائله ومناقبه وكفاك ان الله سماه صديقا متقيا والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وسماه صاحبا ﴿ثانى اثنين اذ هما في الغار ... الى معَنَا﴾ (١) وانه رافق رسول الله في الهجرة وموطن الكره ، وسار مع رسول الله ﷺ حين تخلفوا واقام معه إذ قعدوا وصبر في الشدائد اكرم الصبر واستخلفه رسول الله في الصلاة بل قيل انه اراد ان يكتب له ان لايختلف عليه اثنان ، فلما تولى قوى اذ ضعفت اصحابه وجبنت وبرز حين استكانوا ونهض حين وهنوا وقام بالامر حين فشلوا ومضى بقوة الله حين وقفوا كان اطول الناس صمتا وابلغهم قولا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا فحمل ثقل ما عنه ضعفوا وحفظ ما اضاعوا وراعى ما اهملوا وعلا إذ سفلوا وصبر إذ جزعوا ما

---

(١) سورة التوبة ٤٠

اشبهه بالجبل الذى لا تحركه العواصف ولا تزلزله القواصف صدق فيه عليه السلام «ضعيف في نفسك قوى في امر دينك متواضع في نفسك عظيم عند الله محبوب من اهل السموات والارض» فجزاه الله عن الاسلام خيرا .

خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدى بن كعب اسلم قبل الهجرة باربعة اعوام وكنيته ابو حفص ولقبه الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل .

اســـلامه

وسبب اسلامه انه توشح سيفه وخرج يريد قتل النبى واصحابه فلقيه النحام نعيم بن عبد الله العدوى وكان مسلما فصرفه الى اخته فاطمة وزوجها ابن عمه سعيد بن زيد وهما مسلمان فقال فامره ان يقيم امرهما وكان خباب بن الارت يختلف اليهما ليعلمهما فلما دنا عمر سمع القراءة فلما احسوا به توارى خباب وجعلت فاطمة لوحا يعلمها فيه خباب تحت فخذها فسألهما عما سمع فانكرا فآل امرهم الى ان بطش بهما وشج اخته فرق لها وندم لما رأى الدم وقال لاخته اعطنى الصحيفة وكان قارئا فخافته عليها فحلف ان يردها إذا قرأها وقالت انت نجس على شركك ولا يمسها الا الطاهر فاغتسل فلما قرأ صدرا منها قال ما احسن هذا فخرج خباب وقد طمعوا فيه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم ايد الاسلام بابى الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فقال دلنى على محمد اسلم فقال هو في بيت عند الصفا فلما اتاهم نظر رجل من خلل الباب فقال هذا عمر متوشحا سيفا فقال حمزة ائذن له فان اراد خيرا بذلناه له وان اراد شرا قتلناه بسيفه فقال عليه السلام ائذن له فلقيه عليه السلام في الحجرة فاخذ بمجمع ردائه ثم جبذه فقال ما جاء بك يا بن الخطاب فوالله ما أراك تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة فقال جئتك لأومن بالله ورسوله وما جاء به حق من عند الله فكبر رسول الله فعلموا ان عمر قد اسلم وتفرقوا من

مكانهم وعزوا في انفسهم باسلامه واسلام حمزة فكان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة ، وتوفى رسول الله وهو عنه راض وهو اول من تسمى بأمير المؤمنين وكان رديف ابى بكر في التواضع والعدل والاخلاق والملبس وخشونة المطعم والزهد يلبس العباءة والجبة من الصوف المرقعة بالادم ويحمل القربة على كتفه شديدا في حق الله تعالى ورزقه الله هيبه ، شبه رسول الله عليه السلام ابا بكر بابراهيم وعيسى وشبه عمر بموسى ونوح في الرأفة واكثر ما يركب الجمل ورحله مشدود بالليف وسلك اصحابه مسلكه وقال في بعض خطبه من اظهر الينا منكم خيرا ظننا به خيرا واحببناه ومن اظهر منكم شرا ظننا به شرا وبغضناه عليه وقال فيه لا يصلحنا الا اربع شدة في غير عنف ولين في غير ضعف واخذ مال من حله ووضعه في محله ورآى نارا بليل فقال ارى ركبا فيضربهم الليل والبرد فهرول حتى دنا منهم فاذا بصبية صغار يتضاغون وقدر نصبتها امرأة على نار فقال السلام عليكم يا اصحاب الضوء أادنو فقالت وعليك السلام أدن بخير أو دع فقال ما بالكم وما بال الصبية قالت ضربنا الليل والجوع ونصبت القدر اسكتهم بها حتى يناموا والله بيننا وبين عمر قال وما يدرى بكم عمر قالت يتولى امرنا ويغفل عنا فرجع بمن معه حتى اتى دار الدهن فاخرج عجلا من دقيق وكبة شحم فحمله على ظهره حتى اتاهم يهرول فاخرج من الدقيق شيئا فقال للمرأة ذرى علي وانا احرك لك وينفخ تحت القدر فأتته بصفحة فافرغها فيها فمازال حتى شبعوا وترك لها الباقى ثم قام وهى تقول جزاك الله خيرا كنت اولى بهذا الامر من امير المؤمنين ويقول قولى خيرا اذا جئت امير المؤمنين وجدتنى هناك ان شاء الله وتربص مستقبلا غير بعيد فما انصرف حتى ابصر الصبية يصطرعون ثم ناموا فقال لا اريد ان انصرف حتى ارى ما رأيت وكان يأمر عماله ان لا يقتلوا امرأة ولا يغدروا ولا يقاتلوا حتى يدعوا الى الاسلام ثم الجزية فان ابوا قوتلوا ، وارسل اليه بعض عماله بسفطين عظيمين من المال فردهما اليه وقال ان الجيش احق بهما .

الفتوحـــات

وفي السنة الاولى من خلافته فتحت حمص والايلة والفرات وَولى ابا عبيدة الشام كله وعزل خالدا ، وفيها وقعة الاردن وفيها بعث ابا عبيدة ابن مسعود الثقفي الى العراق فبلغ الجسر ، وفي سنة اربعة عشر فتحت دمشق وما حولها الى حمص في ربيع الآخر أو رجب كذا ذكره بعضهم وقيل غير ذلك وفيها امر بالقيام في شهر رمضان ، وفي عام خمسة عشر وقعة اليرموك وكسر الله بها شوكة الروم على يد ابى عبيدة فلم يكن لهم وقعة بعدها قيل انهم اربعمائة الف منح الله اكتافهم للمسلمين يقتلونهم كيف شاءوا وركب بعضهم بعضا فانتهوا الى مكان مشرف على اهوية تساقط منهم نحو مائة الف وقتل منهم نحو خمسين الفا في المعركة بعدما أدبروا وتبعهم المسلمون يقتلونهم في كل واد على جبل وانتهت الهزيمة الى قيصر وهو في انطاكية وارتحل الى القسطنطينية ، وفيها وقعة القادسية بالعراق على يد سعد بن ابى وقاص وعلى الفرس رستم عامل يزدجرد بن كسرى فاستشهد فيها من المسلمين الفان وخمسمائة وقتل هلال بن علقمة رستما وقتل معه مائة الف واسر نحو خمسين الفا ، وفيها فتحت الاردن كلها عنوة إلا طبرية فتحت صلحا وفي سنة ست عشرة فتح ابو عبيدة الجابية من عمل دمشق وفيها قدم عمر الشام وفتح بيت المقدس ، وفي سنة سبع عشرة فتحت دار من الجزيرة وبنى عمر المسجد الحرام واقام بمكة عشرين يوما يقصر الصلاة وهي عام الرمادة فاستسقى عمر بالعباس عم النبي عليه السلام فقال اللهم انا نستشفع اليك بعم نبيك عليه السلام فسقوا مكانهم ويأتى ان عمر ترك فيها قطع يد السارق ، وفي عام ثمانية عشر وقع طاعون عمواس بالاردن وفلسطين مات فيه من المسلمين بضعة وعشرون الفا وهي قرية من الرملة وفيها مات ابو عبيدة ومعاذ وفيها فتحت الدها وشمشاط وحران والموصل وحلوان والمهات ونيسابور ، وفي عام تسعة عشر فتح

سعد وابن اخيه هشام جلولا من ارض العراق وتسمى فتح الفتوح بلغت غنائمها ثمانية عشر الف الف وفيها فتح معاوية قيسارية ولم يبق في اقصى الشام ولا ادناه عدو للمسلمين وفيها مات يزيد بن ابى سفيان واثبت عمر معاوية مكانه على بعض الشام وفيها زاد عمر في مقدم مسجد النبى عليه السلام ، وفي سنة عشرين فتح عمرو بن العاص مصر وفيها فتحت انطاكية وتستر وفيها أجلى عمر يهود خيبر ومن كان بالمدينة والحجاز وفيها دون الدواوين وفيها كتب الى نيل مصر اما بعد «فان كنت تجرى من قبلك وبحولك وقوتك فلا تجرى وان كان الله الواحد القهار الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» فالقى عمرو بن العاص الكتاب في النيل قبل يوم الصليب بيوم فاجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقد كان قبل ذلك يلقون فيه جارية بكر محلاة بأنواع الزينة قد ارضى ابواها ، وفي سنة احدى وعشرين كانت غزوة نهاوند ولم تكن لفارس بعدها وقعة وفيها فتح عمرو بن العاص اسكندرية وفيها فتح عثمان بن ابى العاص الثقفي[(١)] في ثلاثة آلاف من اهل عُمان وغيرهم توج وقتل باب الحميرى ملكها شهرك وهو في ثلاثين الفا وبيعت منطقته في البصرة بثلاثين الفا ، وفي سنة أثنتين وعشرين فتحت اذربيجان الاولى وفيها كانت غزوة سانيدما من ارض الشام وغزوة عمورية وفيها بعث عمر عثمان بن حنيف لمساحة ارض العراق فبلغ الخراج مائة الف الف ونيفا وفي سنة ثلاث وعشرين كان افتتاح الرى على يد قرطبة بن كعب وافتتاح اصطخر وهمدان واصبهان وفتحت سرت وطرابلس واراد عمرو بن العاص غزو افريقية وكتب اليه عمر انها ليست بافريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها احد ما بقيت وكان الامر على ما قال عمر .

---

(١) كان عثمان بن ابي العاص الثقفي واليا على عُمان من قبل الخليفة عمر بن الخطاب ، وسار في ثلاثة الاف من اهل عُمان الى فارس فيهم كعب بن سور الازدي اول قاض على البصرة في الاسلام .

مواقفـــه

واعلـم : ان الله سدد عمر فكانت افعاله موافقة للحق ولذلك نقمت الشيعة عليه امورا قالوا خالف فيها كتاب الله ، منها منعه قرابة النبى حقهم من الخمس الذى جعل الله لهم بقوله «وذي القربى» وكان الذي يتولى امره في زمان الرسول محمية الاسدى واجراه ابو بكر في اول خلافته وكان النبي عليه السلام يجريه على ايتام بنى هاشم وينكح به إماءهم بدلا مما طهرهم به من الصدقات التى هى اوساخ الناس ، قال الشيخ ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم في كتاب «العدل» منعه برأى رآه ونظر ولم يجوزه احد من المهاجرين والانصار وهو دليل على جواز القياس والتعبد وذلك انه لما اغناهم بالعطا نزههم عن مزاحمة اليتامى والمساكين وابن السبيل كما نزههم عن مزاحمة الفقراء والمساكين في الزكاة ، ومنها منع المؤلفة قلوبهم سهمهم من الصدقات فقيل له في ذلك فقال ذلك اذ كان الاسلام حقيا واما الآن فقد بزل ، ومنها اسقاط القطع عن السارق عام الرمادة لأن المسغبة عمت الآفاق فنظر انها شبهة تدرأ بها الحدود وبه اخد بعضهم في جواز تنجية النفوس من الهلاك بمال الغير وقال حق اوجبه الله على اهل الاموال وذكر بعضهم انه يجوز له ان يقاتل صاحب الطعام والماء لينجى نفسه ان منعه ، ومنها انه ترك على الناس الصدقة عام الرمادة واخذها في العام القابل مرتين قال صاحب العدل مع انتقال الاموال وتبدل الاحوال فربما رجع المعسر موسرا أو الموسر معسرا او الحى ميتا والميت حيا ، ومنها انه اعتق امهات الاولاد عن اربابها بعدما اجتمعت الامة على انهن اماءٌ على عهد النبى عليه السلام وابى بكر وعمر ثم بدا له رأى منه ان يعتقهن على مواليهن فعوتب فقال ما اردت الا خيرا الحقت حزمة بحرمة اى منع بيعها لاغير مدة حياة مولاها ويجرى عليها احكام الاماء في غير ذلك ، ومنها اسقاط اسم الجزية والذلة على نصارى بنى تغلب واضعف

عليهم الصدقة وسماها صدقة والله عز وجل يقول ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .. الى قوله .. حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (١) نظر رضى الله عنه ان التجارب حنكتهم وارضعتهم الحروب البانها وهم على ذلك من عهد المهلهل الابد فانفوا من الجزية وهموا بقطع الفرات ودجلة الى ارمينية لمعاضدة النصارى على المسلمين واختاروا السيف حين خيرهم عمر بين السيف والجزية فصالحهم على ذلك وجعلهم المسلمون بينهم وبين العدو فأيد الله بهم الاسلام وكانوا اهل نكاية ثم ظهران رسول الله عليه السلام قال ان الله ليؤيد هذا الدين بناس من ربيعة في شاطىء الفرات فشكر الله عمر اذ وفقه الله ، ومنها رد الاملاك والاصول من الفيء الى اربابها بعد ان حازها جيوش المسلمين واعتقهم على المسلمين بعد ان كانوا عبيدا لهم واجرى عليهم جميع احكام الاحرار والله عز وجل قد قسم الغنيمة في كتابه فعورض بذلك وبتقسيم رسول الله عليه السلام خيبرا اصولا وغنائم ، وأجاب بفعل رسول الله عليه السلام في اهل مكة وبلدهم ، قال صاحب العدل نظر الى الفرس وغيرهم وقد تعلقت بحصونها ولو قسم بينهم الارض لاشتغلوا بها فيكر عليهم العدو فيعطل الجهاد وينقطع ما اراد الله لهم من الغنائم ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ ( ) وسلمها الى اربابها وضرب عليهم للمسلمين ضريبة كالخراج يأخذونها وتفرغ المسلمون للجهاد ، ومنها اجلاؤه اليهود من الحجاز بعد عهد الله وذمة رسوله من خيبر وفدى واجلا نصارى نجران لئلا يجتمع دينان في جزيرة العرب ، ومنها تمصير الامصار وتدوينه الدواوين وقسم الفيء بالتفضيل وضرب للاحرار والعبيد فيه وللصبيان ولأهل الذمة ومقاسمته العمال وقد كان رسول الله قسم الفيء وجعله في حوايج المسلمين

---

(١) سورة التوبة ٢٩

واثر به اهل الفاقة وابو بكر قسم بالسوية وله فضائل كثيرة مشهورة وكثير ما يقول رسول الله عليه السلام فيه وفي ابى بكر ذهبت أنا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر ، قال على بن ابى طالب ما خلفت احدا احب ان القى الله بمثل عمله منك يخاطبه وهو على النعش .

وفاته واستخلافه

توفى لاربع بقين من ذى الحجة تمام ثلاث وعشرين من طعنة ابى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله بعدما كبر لصلاة الصبح وطعن معه ثلاثة عشر مَات منهم سبعة ودفن في بيت عائشة مع صاحبيه وهو ابن ثلاث وستين سنة ولم يقدم احدا خليفةً بل جعلها شورى بين ستة الى ثلاثة ايام وصلى عليه صهيب وقيل له حين طُعِنَ استخلف فقال اتقلد امركم حيا وميتا فقال له ابنه عبد الله لو كان لك راعى ابل او غنم ثم جاءك وتركها لرأيت انه ضيع فكيف بأمة محمد فقال ان الله يحفظ دينه وان رسول الله لم يستخلف ، عن ابن عباس بينما انا امشى مع عمر رضى الله عنه اذ تنفس نفسا ظننت انه قد فضت اضلاعه فقلت سبحان الله ما أخرج هذا منك إلا لامر عظيم قال ويحك ما ادرى ما اصنع لامة محمد قلت انت بحمد الله قادر ان تصنع ذلك قال اراك تقول صاحبك ازكى الناس يعنى علياً قلتُ اجل لسابقته وعمله وقرابته وصهره قال انه كما ذكرت ولكنه كثير الدعابة «أى المزاح» قلتُ فعثمان قال لو فعلت حملت بنى مُعَيْط على رقاب المسلمين يعملون فيهم بمعصية الله والله لو فعلت لفعل ولو فعل لفعلوا فوثب الناس اليه فقتلوه فطلحة بن عبيد الله فقال به بلوى ما كان الله ليرانى اوليته امر امة محمد ﷺ وهو على ما هو عليه من الزهو قلت فالزبير قال إذا كان يلاطم الناس في الصاع والمد قلتُ سعد بن ابى وقاص قال ليس بصاحب ذلك قلتُ عبد الرحمٰن قال نعم الرجل ذكرت لكنه ضعيف ولا يصلح لهذا الامر الا القوى في غير عنف اللّين في غير ضعف الجواد في غير سرف الممسلك في غير بخل فرحم الله عمر ورضى عنه ..

ذكر خلافة عثمان بن عفان

ابن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بويع في غرة المحرم بعد موت عمر بثلاثة ايام يوم السبت عام اربعة وعشرين وذلك ان المقداد جمع اهل الشورى في بيت ومعهم عبد الله بن عمر فامروا ابا طلحة الجمحي ان يحجبهم فجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فصحبهما سعد واقامهما وقال تريدان ان تقولا حضرنا وكنا في الشورى فتنافس القوم في الامر فقال ابو طلحة والذى ذهب بنفس عمر ما ازيدكم على الثلاثة الايام التى أمرّكم فردوا الامر الى عبد الرحمن بعد ان خلع نفسه منها إلا عليا قال ما تقول يا ابا الحسن فقال اعطنى موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تألو الامة خيرا فاخذ ميثاقهم واعطاهم مثله على ان يختاروا دون هوى وان يرضوا بمن يختار فاختار عثمان لسنه وسابقته وقال المقداد بن الاسود أناشدكم الله لا تولوا امركم رجلا لم يشهد بيعة الرضوان وفر يوم احد يعنى عثمان واجتمع الناس حتى غص بهم المجلس فقال عمار ان اردت الا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد صدق عمار ، وقال ابن ابى سرح ان اردت الا يختلف قولان فبايع عثمان وكان قد ارتد عن الاسلام على عهد النبى عليه السلام ، وقال عبد الله بن ابى ربيعة صدقت فتكلم بنو هاشم وبنو امية فقال رجل من بنى مخزوم لعمار وقد قال ان الله اكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه فكيف تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيكم لقد عدوت طورك يابن سمية وما انت وتأمير قريش ومازال عبد الرحمن حتى بايع عثمان بعد ان اخذ عليه عهد الله وميثاقه ليعملن بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام فقال علىٌّ ليس هذا أول ما تظاهرتم علينا فصبر جميل والله المستعان ، فلما بويع دخل داره ومعه بنو امية ، فقال ابو سفيان افيكم احد من غيركم وقد كان اعمى قالوا لا فقال يابنى

امية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به ابو سفيان مازلت ارجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وسأله عثمان كتمان ذلك ونما الى المهاجرين والانصار وغير هذا من الكلام .

توليته أقاربه

ثم شرع في عزل عمال عمر ويولى اقاربه على فسقهم عزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن سعد بن ابى سرح وسعد بن ابى وقاص من الكوفة وولاها المغيرة بن شعبة ثم عزله بعد ايام يسيرة ثم ولاها سعدا ثم عزله وولاها الوليد (١) بن عقبة بن ابى معيط ، قال المسعودي وهو ممن اخبر النبى عليه السلام انه من اهل النار وعزل ابو موسى الاشعرى عن البصرة وولاها عبد الله بن عامر وهو ابن ستة عشر عاما وقيل غير ذلك وسبب ذلك انه دخل شبل بن معبد على عثمان وليس معه إلا أموى فقال اما فيكم يا معشر قريش صغير تريدون نبله او متحير تريدون غناه أو خامل تريدون التنوّه باسمه على ما اقطعتم هذا الاشعرى العراق يأكلها خضما وقضما فقال عثمان ومن لها واشار الى ابن عامر وهو ابن خاله من بنى حبيب بن عبد شمس ومعاوية بن ابى سفيان بالشام وسعيد بن العاص ورد الحكم بن العاص وابنه مروان ، قال المسعودى هو طريد رسول الله ﷺ الذى غربه عن المدينة ونفاه عن جواره انتهى قال غيره طلب عثمان ابا بكر وعمر من بعده ان يرداه فابيا وكثر شرب الخمر واقتناء الاموال في ايامه ، قال المسعودى شيد داره بالحجر وجعل ابوابها من الساج وَالعرعر واقتنى اموالا وجنانا وعيونا بالمدينة وضياعا بوادى القرى وحنين وغيرهما ثم قال بعد ان عد اموالا لغيره ولم يكن قبل ذلك في عصر عمر بن الخطاب شيء مما وصفنا رضى الله عنه بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة وقد قال لولده لقد اسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا وقد انفق

---

(١) كان عقبة بن ابي معيط شديد الاذى لرسول الله ﷺ وهو من رؤوس الكفر بمكه ، واسر في معركة بدر وأمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتله وقال عند قتله من للصبية يا محمد فأجابه عليه الصلاة والسلام النار . فكان يقال لابنائه صبية النار ، والوليد بن عقبة فاسق بنص القرآن ، ففيه نزل قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ وذلك انه اراد أن يوقع حربا بين الرسول ﷺ وبين بني المصطلق .

في حجة غاديا ورايحا ستة عشر دينارا وفرض كل يوم شاة بين عمار بن ياسر عاملا على ثغر الكوفة وعثمان بن حنيف على الخراج وابن مسعود على بيت المال وتعليم الناس كل يوم انتهى اما الوليد فكان يشرب مع ندمائه ومغنياته من اول الليل الى الصباح فخرج منفصلا في غلايله فصلى بهم اربعا وقال ازيدكم ، قال المسعودى قيل قال في سجوده اشرب واسقنى وقال عتاب بن غيلان : لا تزيدنا لا زادك الله مزيد الخير والله ما اعجب الا ممن بعثك الينا اميرا وعلينا واليا فدخل قصره لعنه الله وهو يتمثل :

★ ★ ★

ولست بعيدا عند خمر وقينة
ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكننى اروى من الخمر هامتى
وامشى الملا بالشاحب المتشلشل

وفي ذلك يقول الحطيئة :

نـــادى وقـــد تمت صلاتهم
ازيـــدكم ثملا ومـــا يـــدرى
ليزيدهـم اخـرى ولـو قبلـوا
لأتت صلاتهم على العشـــــر
حبسوا عنانك إذ جريت ولـو
خلـوا عنـانك لم تـزل تجرى

قال المسعودى وشاع بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر ، وهجم عليه جماعة فاخذوا خاتمه وهو سكران لا يعقل فاتوا به عثمان فزجرهم ودفع في صدورهم واتخذ الوليد يهوديا معه انواع من

السحر والخيالات والشعوذه فآراه في المسجد ضربا من الخيالات اظهر له فيلا عظيما على فرس يركض في صحن المسجد ثم صار اليهودى ناقة يمشى على حبل وأراه في صورة حمار يدخل من فيه ويخرج من دبره وضرب عنق رجل فرق بين رأسه وجسمه فقام الرجل فاخترط جندب بن كعب الازدى وقيل ابن زهير سيفه بعد ان استعاذ من فعل الشيطان فضرب اليهودى ضربة أبان رأسه فقال احي نفسك ان كنت صادقا فسجنه الوليد فاطلقه السجان وقتل السجان ومات عثمان والوليد مخلق الوجه سكران عليه مصغبات واسعة ، قال المسعودى كان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون .

احداثـــه

وقال صاحب العدل (١) انتهك من المسلمين الحرم الاربع وانتهك عنه المسلمون الحرم الاربع ، اولاها استخلفوه على دينهم ودمائهم واموالهم واماناتهم فولى على المسلمين الظلمة والفجرة والخلفاء الخونة ليحكم بين الناس في دين الله وعلى صلاتهم وزكاتهم وفروجهم وازواجهم ودمائهم واموالهم فأى بغى أعظم من هذا وقد صلى بهم عامل من عماله في اعظم مصر من امصارهم وهو الكوفة بمحضر من المهاجرين والانصار صلاة الصبح ثلاثا وهو سكران فشغر وبال فقام وقال الا ازيدكم فقال ابن مسعود حسبنا من ثلاثك ثنتان ، والثانية منعه العطايا التى افترضها لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقصر بيوت الاموال على ذوى قرابته وارحامه ومنع منها كبراء الصحابة ، والثالثة ضربه الابشار وهتكه الاستار وطرد وشرد الصالحين من افاضل اصحاب النبى عليه السلام طرد ابا ذر وسيره وفتق بطن عمار وامر بابن مسعود فكسرت اضلاعه ، فتوفى في خلال ذلك وطيف بعبد الرحمن ابن حنبل في الاسواق على قوله :

★ ★ ★

فـــان الامـــامين قـــد بينـــا
منـــار الطريـــق عليـــه الهدى
فمـــا اخـــذا درهما غيلـــة
ولا جعـــلا درهما في هـــوى

---

(١) هو الامام العلامة ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني الجزائري من علماء القرن السادس الهجري بلغ شأنا عظيما في العلم ، وقطع شأوا بعيدا في التحقيق العلمي ، له مؤلفات عديدة منها كتاب العدل والانصاف وكتاب الدليل والبرهان والتفسير الكبير وغيرها من الكتب ويعتبر من الكتب ذات القيمة العلمية الراقية وقد ذكر ذلك في كتابه الدليل والبرهان المجلد الثاني الذي طبعته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان .

واعطيت مـروان خمس العبـاد
فـهيهات شارك فيمـن سعـى

والرابعة كتب الى عماله في خواص المسلمين ما كتب انتهى كلام ابو يعقوب ملخصا ، اما ما كتب عثمان فهو الذى كتب الى عبد الله بن سعد حين رجع الناس بعد توبته واعطائه المواثيق والعهود للمهاجرين والانصار ان يرد المظالم ويقيم الحدود التى عطلها ويعزل عماله اما بعد فانظر فلانا وفلانا فاضرب اعناقهم وفلانا ادبه بكذا وفلانا بكذا منهم نفر من اصحاب رسول الله ﷺ ومنهم قوم من خيار التابعين ، واما عبد الرحمن بن حنبل ضربه مائة سوط وحمله على بعير فطاف به المدينة كلها واوثقه في الحديد ورمى به في السجن واخرجه بعد على ان يسكن خيبرا حتى يموت ، واما تشريد الصالحين وطردهم فكفعله بابى ذر حين رد على كعب في مجلسه إذ قال ليس في المال حق غير الزكاة بقوله تعالى ﴿وآتى المال على حبه .. الاية﴾ (١) فقال ما اكثر اذاك لى غيب وجهك فانتقل الى الشام فكتب اليه معاوية احمل ابا ذر اليك وإلا افسد عليك القلوب فقال ارسله فارسله محمولا على بعير عليه قتب يابس يطرد به خمسة من الصقالبة الى المدينة وقد انسلخت بواطن افخاذه وكاد يتلف فلما افاق بعد عشرين ليلة احضره وقد هيأ بنى ابى العاص ليكذبوه وقد أرسل الى قريش فجمعها فقال لا انعم الله لعيرعينا فقال ما سمانى الله غيرا وما غيرت العهد الذى فارقت النبى عليه ولا بدلت فقال عثمان كذبت على نبينا وطعنت في ديننا وفارقت رأينا وضغنت قلوب المسلمين علينا وقد رأينا ان نقتله او نصلبه او ننفيه من الارض ، وقال علىّ هل ادلكم على خير من ذلك واقرب رشدا انزلوه منزلة مؤمن آل فرعون ﴿ان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا ... الى قول كذاب﴾ (٢)، بعد ان قال عثمان تكلم حتى يكذبوك هؤلاء فقال ابو ذر انى اسألهم فان صدقونى تكلمت والا

---

(١) سورة البقرة ١٧٧ (٢) سورة غافر ٢٨

كففت ثم سألهم بالله وباسمائه هل سمعوا رسول الله عليه السلام يقول ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء اصدق لهجة من ابى ذر قالوا اللهم نعم ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا ودينه دغلا وعباده خولا فقال عثمان كذبت فاجابه عليّ بما تقدم وقد كان قائما على عصاه إذ لم يجد في البيت مقعدا لمجيئه اخرا قال له عثمان بفيك الحجر فقال عليّ بفيك التراب فقال عثمان قد اخذك رسول الله سارقا ثما منعه من قطع يدك إلا قرابتك منه قال له كذبت على الله وعلى رسوله فنادى مناديا عثمان لا تكلموا ابا ذر فنفاه الى الريذة فمات بها وشيعه عليّ وعمار فاراد ان يمنعهما مروان فضربه عليّ بالسوط فشكاه عثمان الى الناس فاستقبلوه فقالوا ان امير المؤمنين عليك غضبان فقال غضب الخيل على اللجم ونفى جماعة من اهل الكوفة وسيرهم وكذا من اهل البصرة ، واحدث ما لم يكن عند رسول الله عليه السلام ولا ابو بكر ولا عمر وحمى لاحبابه واهله واقاربه قطر السماء وضرية وما اشبهما ونقص اهل بدر الفا الفا من عطاياهم واعطا ابنى طريد رسول الله ﷺ مائة الف درهم لكل واحد منهما مروان والحارث ولابيهما ثلاثة آلاف من صدقات البحرين واعطاه خمس افريقية وبعث اليه ابو موسى مع زياد بن عتبة مالا فقسمه بين اهله واولاده وقرابته بالصحفة واين هذا من نزع عمر من فم ابنه درهما فرده في مال الله واعطا عبد الله بن خالد ستمائة الف درهم ، ومنع اهل البحرين واهل عمان ان لا يبيعوا طعامهم حتى يبيع طعام الصدقة وامر عمر بقتل ابنه عبيد الله في الهرمزان وابا وضعه على مرقات رسول الله ﷺ في المنبر وابو بكر مرقاة وعمر مرقاة واستسلف مالا من مال المسلمين فاتاه عبد الله بن ارقم وهو في بيت المال يتقاضاه فماطله فألحَّ عليه قال له والله لا اقضى منه شيئا ابدا فلما سمع منه ذلك عبد الله اخذ المفاتيح فالقاها له ولجماعة المسلمين فقال والله لا آلِي لك ولاية ابدا ، وجاءه رجل يتظلم بان اهل الحمى ضربوه ووطئوا

بطن امرأته فالقت ولدها فقال ما اصنع افأردَّ اليك امرأتك حاملا وحضره بصرى فقال والله لا اسأل عن عثمان احدا بعد اليوم ، وقال ابن مسعود وددت انا وعثمان برمل عالج يحثو عليَّ واحثو عليه حتى يموت الاعجل قيل له يقتلك اذا قال لا يعين الله الكافر على المؤمن ، وكان ابن مسعود بالبصرة يخطب عشية كل خميس يذكر معايب عثمان فسيره فنزل على سعد بن مالك فسأله عثمان اين نزل فتجاهل بأن قال أو قَدِمَ قال عثمان نعم والله لاشفينك لشىء كان بينه وبين ابن مسعود قديما ، قال سعد لا اريد ان تتجاوز فيه الحق فاعيا امره اين نزل فخطب الناس فقال ايها الناس قد اطرقتكم الليلة دويبة من تمشى على طعامه تسلخ وتتقيا فاحذروها ، فقال ابن مسعود انا صاحبه عليه السلام يوم بدر ويوم احد إذ فررت ويوم بيعة الرضوان اذ غبت فقال انك لهاهنا فأمر به أسْوَداً له فضرب به الارض فكسر بها اضلاعه .

(قال الراوى) فكأنى انظر الى ساقيه تخفقان على عنق الاسود وصاحت عائشة وفتحت الابواب وحلفت لئن لم تخلو عنه لاكشفن عن وجهى وقال لها لتسكتن او لأملأنها عليك سودانا وامر بابن مسعود فاخرج الى ناحية المدينة فضربت امهات المؤمنين بيوتهن حوله يمرضنه وقد حبس عطاءه خمس سنين وله خمسة آلاف كل عام فدخل عليه بعد ان استشفع بعائشة فقال ارسل الى اعطياتك واستغفر لى فقال ان كان الامر كما تقول الا يضرك عدم استغفارى وان كان كما اقول فما ينفعك وابا من قبض العطا فمات ابن مسعود فعجلوا بتجهيزه فركب عثمان اليه وقد فرغوا من دفنه وقد امر ان لا يصلى عليه عثمان فأراد أن ينبشه ليصلى عليه فقال ابن حنبل تصلى عليه بعدما قتلته فياشر ذى قتلة وياشر نابش في ابيات ، وفي الخبر طول اختصرته واكثر الناس في عثمان وعابوه في وجهه وصاحت عائشة هذا قميص رسول الله ونعلاه لم يخلقا وخلقت سنته ان فيكم فرعون او مثله تعنيه فقال عثمان لئن لم تنتهى لادخلن عليك حمر

الرجال وسودها فقالت لقد لعنك رسول الله وما استغفر لك حتى مات ، وكان حذيفة من اشد الناس عليه ، وروى عنه عليه السلام انه قال فتنة بعضكم اخوف من فتنة الدجال فلما اكثر الناس على عثمان صعد المنبر فقال لقد هممت ان لا تكون عقوبة سفيهكم الا السيف ان رسول الله يؤثر بنى هاشم وابا بكر يؤثر بنى تميم وعمر بنى عدى فعلى بنى امية تلومونني والله لاخصنهم ولاكرمنهم على رغم الانوف ولو كانت الجنة بيدى لادخلتموها قبل الناس فقال عمار انفى وانف رسول الله وانف ابى بكر وانف عمر ترغم فقال ارغم الله انفك وانف ابى بكر وعمر ونزل اليه فوطئه فاستخرجوه من تحته وقد غشى عليه وفتق بطنه وقد ثبت عندهم ان رسول الله عليه السلام قال يا آل ياسر موعدكم الجنة ، ومن اشد الناس عليه عبد الرحمن بن عوف قال له والله لئن بقيت لك لاخرجنك من هذا الامر كما ادخلتك فما لبث ان مات فاوصى ان يدفن سرا لئلا يصلى عليه عثمان فدفن كذلك فشتم ولده فقال بعضهم كره ان تصلى عليه فاراد ضربه ، وخطب بنى امية بان قال يا بنى امية يافراش النار وذبان الطمع اشأمتم بى الناس وأللبتم عليَّ اصحاب محمد عليه السلام .

مقتلـــه

فلما رأى المسلمون عتوه وعصيانه واستئثاره بالفيء وضربه الرجال واخذه الاموال ومنعه العطايات وتعطيله الحدود واستحلاله الحرام وإذلاله الناس وما عمهم به من البلاء اجتمعوا اليه من كل افق على ان يتوب او يعتزل او يقتل فتاب كما قدمنا فكتب فى قتل بعضهم وتأديب بعض فرجعوا اليه وارسل الى عماله فتباطأوا عليه لعلمهم باجتماع الناس عليه فقتلوه حيث لم يف بما عاهد عليه من رد المظالم واقامة الحدود وعزل العمال وما اشبه ذلك وقد ارسل الى عليّ ان يؤخر عنه ويتوب ففعل ثانيا فلم يف وارسل الى عائشة وارتحلت الى مكة وقالت لمروان وددت انه في غرايرى مشدودا حمله حتى اقذفه في البحر وسمته طاغيا وقالت لابن عباس لا تخذل عنه الناس وطلحة يصلى بالناس وعليّ يحرض الناس وطلحة عليه السلاح وارسلت ام حبيبة الى عليٍّ امن اهلى من الدار ، فقال كلهم آمنون إلا سعيد بن العاص الشقي وعثمان فان قلت ان الحاصرين له والقاتلين اهل مصر والبصرة دون اصحاب النبى عليه السلام ، قلت عن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وقد سئل عن هذا فقال انما قتله اصحاب رسول الله عليه السلام فكيف يحاصره الوافدون ويقتلوه والمدينة مشحونة بالمهاجرين والانصار فيها الوف والقادمون ستمائة رجل ويسلمون خليفتهم للاعراب والغوغاء وفيهم مثل عليٍّ والزبير وغيرهما الذي يقوم بقتال الستمائة وحده ، قال المسعودى اقرض طلحة والزبير مائة الف لمالك الاشتر النخعى وحاصروه شهرين وعشرين يوما ، وقيل تسعة واربعين يوما فما نصره احد من ستمائة رجل والله عز وجل يقول ﴿قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ (١) فالذى نسب كبراء الصحابة الى ذلك

---

(١) سورة آل عمران ١٦٧

نسبهم الى ارتكاب كبائر من الذنوب عظيمة من عدم النهى عن المنكر وهم قادرون ولا يأمرون بالمعروف وقد مدحهم بقوله ﴿كنتم خير أمة اخرجت .. الى قوله وتنهون عن المنكر﴾ (١) وذم بنى اسرائيل بقوله ﴿لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل .. الى قوله عن منكر فعلوه﴾ (٢) ومدح طائفة منهم بقوله ﴿من اهل الكتاب امة قائمة .. الى وينهون عن المنكر﴾ (٣) واعجب من هذا ان يقتل خليفة المسلمين بين ظهرانهم وموضع بيضتهم وكبرائهم ويمنع ان يدفن في مقبرة المسلمين وخطب بعض المسلمين يومئذ فقال لم نقتله خطأ ولم نصبه غيلة ، واختلف الناس في هذه الفتنة فقال بعضهم مسألة اجتهادية المصيب مأجور والمخطىء معذور وقيل كل مجتهد مصيب ، وقال اهل الحق مسألة دينية المحق مأجور والمخطىء مأزور بل هالك بدليل ﴿فان بغت احداهما على الاخرى ....﴾ (٤)

---

(١) سورة آل عمران ١١٠

(٢) سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩

(٣) سورة آل عمران ١١٤

(٤) سورة الحجرات ٩

خلافة علىّ بن ابي طالب

ابن عبد المطلب بويع في اليوم الذي قتل فيه عثمان وخلافته حق باجتماع اهل العقد من المسلمين واختلفت اهل السنة فيها فقيل انما اتاه الاشتر النخعى فقال هل تنتظرون احدا قم يا طلحة ويا زبير فبايعا فقاما فبايعا ثم خرجا فقالا لم نبايعه بقلوبنا ، وقيل جلس على المنبر وبعث الى طلحة والزبير فشرع اهل مصر الرماح لهما فبايعا على شرط ان قام احد بدم عثمان قمنا معه فقال والله لا ينتطح فيه عنزان فبايعاه على ذلك وفيهم من قال انها عن رضى المسلمين ولم يأخذها غصبا بان دخل داره حين قتل عثمان فجاء اصحاب رسول الله ﷺ وقالوا ان هذا الرجل قد مات فلابد للمسلمين من امام فدافعهم فابوا فبايعه في المسجد المهاجرون والانصار وارسل الى طلحة والزبير فتلكأ طلحة و سل الاشتر عليه سيفه ، وقيل اول من بايعه طلحة ومرادهم التماس العذر لهما في نكث البيعة والمرجئة ارجوه عن الخلافة واخذها هاشم بن عتبة له البيعة على اهل الكوفة حين تربص ابو موسى الاشعرى ، فلما تولى الخلافة قسم بيت المال على العدل بين الناس وجعل مال عثمان بين اولاده إلا شيئا معروفا بعينه .

خروج طلحة والزبير ومعركة الجمل

وارسل ابن عباس الى طلحة والزبير ليستعملهما فقالا وصل امير المؤمنين رحما فاخبره ابن عباس بذلك فقال لا اراهما يعدان استعمالى لهما إلا صلة فامر بالرجوع على ان يقعدا فاضمرا عدواته فاشتكيا كثرة العيال وضيق عيش المدينة وكثرة المؤنة فاراد ان يعطيهما ما يسعهما فقال شاورا المسلمين فقالا اشد العهود وآكد المواثيق وجعلا الله كفيلا على انهما يعتمران ويرجعان ولا يحدثان حدثا دون ان يصلا المدينة فلمابلغا مكة نكثا وخالفا ونسيا اعظم العهود التى اعطياها والفيا بها عائشة وعبد الله بن الزبير وابن عامر وسعيد بن العاصى ويعلى بن منبه والوليد بن عقبة ومن كان بمكة من بنى امية فالتمسوا وجها يتوصلون به الى الخلاف لجمع الناس فاشار ابن عامر ان يطهروا ان عثمان قتل مظلوما واظهروا لعائشة ان عثمان استخلف عبد الله بن الزبير فالتمسوا خروجها معهم فامتنعت فمازالا يزينان لها امر الصلح بين عبد الله وعليٍّ وكان عبد الله عزيزا عليها فأبت الا ان تخرج ام سلمة فكانت رسولهما اليها فاغلظت لها ام سلمة واكثرت عليها فقالت عائشة والله لا اخرج ابدا فمازالا بها اعنى الزبير وطلحة واراها ان عبد الله غير راجع وانه مقتول ولعله اذا كانت ان يستمع منها فرقت له وخرجت ترده عما اراد او تصلح مافسد وهما يريدان اجتماع الناس عليهـا فخرج الناس وسائر قريش لخروجها حتى وردوا بليل ماء يقال له الحوأب عليه اناس من بنى كلاب فقالت عائشة ما اسم هذا الماء فقال لها السائق الحوأب فاسترجعت وقالت ردونى الى حرم رسوله وذكرت ان رسول الله عليه السلام قال كلاب ماء يقال له الحوأب قد تنبح امرأة من نسائى وهي فيه راكبة معصية فقال عبد الله بن الزبير ليس هذا بالحوأب وقيل القائل الزبير وكان الزبير في ساقة الناس ، قال المسعودى فلحقها فاقسما انه ليس بالحوأب وشهد معهما خمسون ممن كان معهم ، قال المسعودى وذلك اول شهادة زور في الاسلام وقاله غيره فاتى الخبر عليا بخروجهما وطلبهما بدم عثمان قال والله يعلم انهم قتلوه وقد اعان

يعلى بن منبه طلحة والزبير باربعمائة الف واعطى عائشة العسكر جملا اشتراه بمائة دينار وجهزهم ابن عامر بالف الف درهم ومائة من الابل ، وبعث على عثمان بن حنيف فمانعهم البصرة حين وردوها وقد سبقهم اليها فاصطلحوا عن الكف عن القتال الى ان يرد عليٌ فلما كان في بعض الليالى بيتوا عثمان واسروه ونتفوا لحيته وضربوه ومنعهم من قتله خوفهم على اهل المدينة من اخيه سهل ومانعهم الخزان بيت المال فقتل منهم سبعون رجلا غير الجرحى منهم خمسون قتلوا صبرا ، قال المسعودى وهؤلاء اول من قتل في الاسلام صبرا وظلما وقتل حكيم بن جبلة وكان سيدا زاهدا ناسكا ويسمى المقتولون هناك السبابجة وسار عليٌ من المدينة بعد اربعة اشهر في تسعمائة راكب منهم اربعمائة من المهاجرين والانصار منهم سبعون بدريا واتته طيّ في ستمائة راكب واستنفر اهل الكوفة فثبطهم ابو موسى عامله فعزله عليٌ وكتب اليه اعتزل عملنا يا ابن الحنا مذموما مدحورا فما هذا اول يوم منك وان لك فيها لهنات وهنات فلما انتهى الى البصرة التقى مع طلحة والزبير فاقتتلوا قتالا شديدا وعائشة على الجمل في هودج من دفوف الخشب عليه جلود البقر وقد غشى على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فناداها الى ماذا تدعين قالت الى الطلب بدم عثمان قال انكم ايها الناس لتعلمون ايكم الممالىء فى قتل عثمان ثم انشأ يقول وقد رشقوه بالنبل :

فمنك البكا ومنك العويل
ومنك الرياح ومنك المطر
وانت امرت بقتل الامام
وقاتله عندنا من امر

وتواتر عليه الرمى واتصل وزال عن موضعه والتحم القتال وقد امرهم عليٌ ان لا يجهزوا على جريح ولا يقتلوا اسيرا ولا يتبعوا موليا ولا يطلبوا مدبرا ولا يكشفوا عورة ولا يمثلوا بقتيل ولا يهتكوا سترا ولا

يأخذوا مالا الا ما يجدونه في عسكرهم من سلاح او كراع او عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم ، وذكر عليّ الزبير بقوله عليه السلام انك ستقاتله وانت ظالم له وقال له طلحة قتل الله اولانا بدم عثمان وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبة وخرج الزبير الى وادى السباع فادركه ابن جرموز فقتله ومات طلحة وابنه محمد في المعركة وصرع عبد الله بن الزبير صرعه الاشتر ولم يجد الى قتله سبيلا لشدة اضطرابه وقتل منهم ثلاثة عشر الفا ومن اصحاب عليّ خمسة آلاف ، وقيل قتل من الفريقين عشرة آلاف ، وقيل سبعة ، وكان في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى عام ستة وثلاثين وسقط الجمل ووقع الهودج وامر عليّ اخاها وانزلها دار صفية بنت الحارث بن طلحة وهى ام طلحة الطلحات فدخل عليّ البصرة واقام بها خمسة عشر يوما وخلف فيها ابن عباس وسار الى الكوفة واتى الاحنف بن قيس عائشة فقال الم تقولين ان الله قتل عثمان بذنبه ان سربال رسول الله ﷺ لم يبل حتى بدل عثمان دينه فقالت بلى ، قال اتاب عثمان بعدما مات ، وحديث الجمل والدار كثير ومن اراد بسطه فعليه بحديث المسلمين يوم الدار والجمل من الكتاب المسمى بالنهروان (١) وغيره من الكتب المبسوطة وكذلك تسمية رجالها من بدرى وغيره واكثر حديث الناس في ذلك على قدر شهواتهم والحق ابلج وعلى الشهوة ظلمة ولم احفظ خلافا في الفتنة ان الحق فيها مع عليّ والخلاف في توبة طلحة والزبير والاتفاق على توبة عائشة ورجوعها الى المدينة ، عن موسى بن طلحة جاوزت ثمانية اشهر بعد الجمل فمارأيت مريضا كان اشد منها تأوها ولا حزينا باكيا فما رقى دمعها حتى ماتت وتقول إذا ذكر يوم الجمل يا ليتني كنت نسيا منسيا .

(١) كتاب النهروان يذكر ولا يصر ، والظاهر انه كتاب يبحث بصورة واسعة في قضية التحكيم ومعركة النهروان ، وعسى الايام المقبلة تكشف عن هذا الكتاب القيم الذي يوضح الواقع الحقيقي للتاريخ ودوافعه الفكرية والعقائدية الصحيحة دون تزييف أو تحريف ويظهر أن كتاب النهروان من المصادر المهمة التى اعتمد عليها المؤلف .

حرب صفين

ثم كتب عليٌّ الى معاوية ان يدخل فيما دخل فيه المسلمون وامتنع من بيعته والرسول جرير بن عبد الله البجلى قيل هواه اموى ونهاه عنه مالك الاشتر النخعى واكثر الناس هواهم عثمان لما مكنهم من الدنيا كالاشعث وابى موسى ولكون عليٍّ يقسم بالسوية وكان عثمان يؤثر الكبرى واجتمع اهل الشام مع معاوية والطلب بدم عثمان واجتمع شرحبيل وعمرو ابن العاص وغيرهما واجتمعت الكلمة في ذلك ورجع خائبا وخطب عليٌّ الناس وقال ان الله قتل عثمان وانا معه وارتحل عليٌّ الى صفين ومعه اهل العراق والمهاجرين والانصار وارتحل معاوية ومعه اهل الشام ومعه من اختار وركن اليها الباغون بعد مكاتبات ومخاطبات جرت بينهم كاتب معاوية من تخلف عن بيعة عليٍّ كسعد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وانكروا عليه مقالته وانه ليس اهلا لذلك وكان عليٌّ في سبعين الفا ومعاوية في خمسة وثمانين الفا وقيل غير ذلك ومات بصفين سبعون الفا من اهل العراق خمسة وعشرون وخمسة واربعون من اهل الشام وكانت الوقائع تسعين ، ومات فيها عمار ، وثبت عن النبى عليه السلام عند الامة ان الفئة الباغية تقتله ومات فيها جماعة من كبراء الصحابة وخيارهم ، ومن كلام عليٍّ فيه المموا الاصوات واكملوا اللامة واستشعروا الحسنة واقلقوا السيوف في الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا المتن بالضبات وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن انفسكم انفسا فانكم بعين الله عز وجل ومع ابن عم نبيكم ﷺ عاودوا الكر واستقبحوا الفر فانه عار عليكم في الاعقاب ونار يوم الحساب ، ومما يحفظ لعمار والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تاويله كما قاتلناكم على تنزيله وقوله والله لو هزمونا حتى يبلغوا شعبات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل ، ولقد اشتهرت الاحاديث التى وردت في عمار في الفتنة وغيرها .

(فـائـدة) : نصرت العرب من وقت ولد رسول الله على غيرهم واضاء الارض بمبعثه وكان الخير يزيد منذ اسلم عمر الى يوم مات فبدأ في النقصان وبدا ظهور الجور مذ سقط خاتم رسول الله عليه السلام لعثمان في بئر اريس وكان الناس على بصيرة من امرهم في القتال حتى مات عمار فالتبس الامر على الناس الا قليلا منهم ، عن ابى وائل شقيق ابن سلمة قال والله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا قط الا اسهلن بنا الى امر نعرفه حتى كان يوم صفين وما مات القوم حتى شكوا وكف الناس عن القتال .

قضية التحكيم

وذلك ان اهل الشام لما رأوا انفسهم الى التلاف اشار عمرو على معاوية ان ينادوا بان كتاب الله بيننا وبينكم فمن لثغور الشام من النصارى ومن لثغور العراق من فارس فرفعوا المصاحف على الرماح ، قال عليّ قد قبلت فقام عمار بن ياسر فقال يا عليّ لقد اخرجها اليكم معاوية بيضاء من اقرّ بها كفر ومن انكرها سلم كفتنة نهر طالوت اشككنا في ديننا ورددنا على بصائرنا المحكم في ديننا بعد مائة الف منا ومنهم وقد دعاك طلحة والزبير وعائشة الى ذلك فابيت وزعمت ان من خالف ضال حلال الدم وقد حكم الله في الملل ما قد سمعت فما فاؤا الى امر الله ولا طفيت الفتنة فلما رأى عليا واصحابه مسارعين الى القضية نادى هل من رائح الى الجنة فحمل في خمسمائة من البدريين والعقبيين والاحوديين وغيرهم من خيار من بقى بعد الشربة التى اخبره الرسول عليه السلام انه آخر ما يدخل بطنه اللبن وهو يقول اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه ، وحمل عليّ بعد موت عمار فهزم اهل الشام وقد رفع اهل الشام المصاحف فقال الاشعث بن قيس والله ما نرد ما دعونا اليه ابدا والصحيح ان رفع المصاحف عند انتقاض صفوفهم والدعاء الى كتاب الله قبل موت عمار وانكر الحكومة طائفة من اصحاب عليّ فقال مالك الاشتر أمهلونى غدوة فرس فانى طمعت في النصر قالوا إذا لا ندخل معك في خطيئتك فقال متى كنتم محقين حين يقاتل خياركم فيقتلون ويقتلون ام الآن حين امسكتم وخياركم الذين لا تشكون في فضلهم في النار وكلام هذا معناه ، فمر الاشعث ببنى حنظلة وهو يسير على الاحياء يعرض على الناس امر الحكومة فحمل عليه عروة بن ادية فضربه فوقع السيف على عجز بغلته فقال اين قتلانا يا اشعث «لا حكم الا لله» وهو اول من قالها ، ثم ارسل معاوية ابعثوا حكما منكم وحكما منا ونرضى بما يحكمان فقبل عليّ القضية تبعا لرضاء الاشعث

والسواد الاعظم ممن معه وانكرها الاخيار من المسلمين تبعا لعمار وعبد الله بن بديل وغيرهما ممن قتل وبعض من خالفنا يقول طلب الحكومة بعد قتل عمار والصحيح انها قبله وانظر في رفع المصاحف ، فلما اتفق الناس على التحكيم إلا من انكر وكتبوا على ذلك كتابا وسمى عليٌّ نفسه امير المؤمنين فابى معاوية فقال عليٌّ على يدى يدور هذا الامر وذكر انكار سهيل بن عمرو على رسول الله ﷺ واراد ان يكتب اسمه مجردا من امير المؤمنين فنهاه الاحنف وقال خشيت الا يرجع اليك ابدا انه ليس لكم ما لرسوله ﷺ فعصاه ثم رجع الناس الى العراق بعد كتابة الكتاب يتدافعون على الماء ويتزاحمون عند الارتحال يعير الراضون المنكرين بانكم عصيتم امر امير المؤمنين وخالفتموه يا اعداء الله ويرد المنكرون عليهم بانكم اعداء الله إذ شككتم في دينكم وعصيتم امر ربكم وحكمتم الرجال وتركتم حكم الله إذ يقول اقتلوا الفئة الباغية حتى تفيء الى امر الله وقبل كثير منهم الحق ورجع اليه الا من مال الى الدنيا ، وكان معاوية يمنيهم بها فلما نزل عليٌّ الكوفة دخل عليه نفر ممن انكر الحكومة فعاتبوه وسالوه نقضها فابى فخرجوا ونزلوا حروراء باثنى عشر الفا وقيل عشرون الفا وقيل اربعة وعشرون وهم خيار اهل الارض يومئذ وقراؤهم وزهادهم ممن بقى من كبراء الصحابة والتابعين وفيهم من اهل بدر ومن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كحرقوص بن زهير السعدى الذى قال فيه رسول الله عليه السلام في رواية عائشة اول من يدخل علينا اليوم من اهل الجنة فكان هو الداخل الى ثلاث مرار وشجرة ابن اوفى وكان بدريا ، ومن اراد معرفة اسمائهم فعليه بالنهروان وغيره من الكتب ، واخرج عليٌّ اليهم ابن عباس فناظروه بان الامر الذى كانوا عليه اهدى في قتل عثمان لاحداثه وامتناعه من كتاب الله وفي سفك الدماء يوم الجمل لنكثهم وعدم رجوعهم الى كتاب الله وفى قتلنا اهل الشام لبغيهم وتعديهم على كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام ام ضلال ، قال بل رشد قالوا فهل نزل امر من السماء يحرم الامر الاول

قال لا قالوا فَلِمَ حكم في دين الله قال قد علمتم ان الله قد امر بالتحكيم في رجل وامرأة وفي طير يقتله المحرم قال فكيف بأمر أمة محمد عليه السلام قالوا تحكيم الحكمين في رجل وامرأة وفي طير رد الله الحكم فيه الى العدول وهذا الامر جاء الحكم فيه من الله كالزنا والسرقة والقذف ولا يمكن لانسان ان يحكم فيها بغير حكم الله ولو اراد امام قطع يد السارق فقال له الناس حتى نحكم فيه حكمين أَلَهُ ان يحكمهما أم يمضى على حكم الله قال بلى لا يحكم الرجال قالوا معاوية فاء الى حكم الله وعمرو بن العاص قال لا قالوا افعمرو بن العاص عدل الذى صرح بالعداوة والبغى وباع دينه بمصر وسفك دماء المسلمين بغير حق وابو موسى الذى ثبط الناس عن الجهاد قال لا وايضا ان كان عمرو عدلا وهو يقاتلنا فنحن على غير حق ، وقد كان شنأ (١) رسول الله ﷺ في سبعين بيتا من الشعر فقال عليه السلام اللهم انى لا احسن الشعر فالعنه بكل بيت قاله لعنة ، واذا كان عدلا فنشهد ان عمار ومن استشهد معه قتلوا على باطل وضلالة ، ثم رجع الى علىّ فقال خصمك القوم ، ثم خرج اليهم علىّ فوقعت بينهم مناظرة قال لهم دعوني الى كتاب الله فاجبت قال الله تعالى ﴿الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ (٢) قالوا اذن انزلت معاوية منزلة المؤمنين وانت منزلة اهل الكتاب اذا كانوا هم الذين يدعونك الى كتاب الله فان كنت على الحق فان كتاب الله حكم عليهم بالقتل الى ان يرجعوا الى الحق فقال انتم القائلون لا نقاتل قوما يدعوننا الى كتاب الله فقلت هذه خدعة فقلت ابعث رجلا لا يعقد صاحبهم عقدة الا حلها وابيتم الا ابا موسى الاشعرى قالوا عرفنا اخواننا الحق فتبنا قال انى استغفر الله واتوب اليه

---

(١) هجى (٢) سورة آل عمران ٢٣

فكبروا ورجعوا وقيل قال له بعضهم ان الله حكم العدلين في الجرادة وحكمتم في دماء المسلمين عمرا فمازال به الاشعث بن قيس حتى نقض الذى اعطاه ورجع إلى الحكومة ومعاوية يرسل الى وجوه اهل العراق يمنيهم ويحثون على عليّ في التحكيم وبعث ابا موسى فخرجوا الى النهروان وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى يدافع عنهم من ارادهم ، وخرج مسعر بن فدكى من البصرة في عصابة فجاز على قرية فيها عبد الله بن خباب فاخبره بالتحكيم فقال ان ابى اوصانى ان الزم بيتى اذا وقعت الفتنة فقال ان الله اوصانا بغير ما اوصاك به ابوك. قال ﴿قاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ (١) فقتله مسعر فاتى اصحاب النهر فانكروا ذلك عليه وهموا بقتله وفر منهم وبرؤا منه وقيل الذى تولى قتله ريسة الفهرى وطرده اهل النهر وبرؤا منه فخرج يستعرض الناس ، وفي كتاب النهروان حدثنى عتاب بن ابراهيم ان مسعرا حين هرب لقى اناسا من اهل خراسان حجاجا فضرب اعناقهم ثم اتى المدائن فما شعر عليّ الا وهو واقف على رأسه فأمنه والله أعلم في صحة ذلك ، ثم التقى الحكمان بادرج وحضرها عبد الله بن عمر في جماعة من قريش وآلا الأمر بينهم اى بين من حضر حتى اتفق الحكمان على خلع عليّ من الخلافة بل عن الامر واختلفا في معاوية اتباعا للهوى وميلا الى الدنيا ، وذكر بعض المخالفين ان عبد الله بن عباس حضرها من جهة عليّ وليس كذلك بل الذى ارسل عليّ شريح بن هانىء الحارثى بل طلب حضوره وطلب الاحنف ان يحضر أو أبو الاسود ولم يجدوا ذلك بالناس فلما بلغ عليا فعلهما صعد المنبر فبرأ منهما وخلعهما وقد فاته الامر ولم يأخذ بقول نصحاء الدين الذين ضللوا الحكومة ولا بقول نصحاء الدنيا ونصحاء الدنيا قالوا ارسل الاحنف او ابا الاسود او ابن عباس وعصى الفريقين ثم نفر الناس الى معاوية واعطاهم العطا فلما انتهى الى

---

(١) سورة البقرة ١٩٣

الانبار فالتمسوا وجها يصرفونه عن الشام فقال له الاشعث اتسير الى اهل الشام وتدع اهل النهر خلفك فصرفه اليهم فبعث ابنه حسنا ، وفي كتاب النهر قالوا له فيما حدثنا عبد الله ما تريد منا يا حسن نذكرك الله في دمائنا أتقاتلنا على أن سمينا اباك امير المؤمنين وخلع نفسه فابينا أن نخلعه وطلبناه ان يمضي الى قتال عدوه فابى وشك وثبتنا على ذلك في كلام كثير فانصرف الحسن عن قتالهم فقال الاشعث ناجز القوم وان كلموا الناس افسدوهم عليها ثم قدم عليهم صعصعة بن صوحان فخطب فقالوا اعطاك الله بضعة تقلبها في فيك لكن لو انكر عليّ الحكومة وقد دعونا اليها أمعنا الحق أم معه فسكت وانصرف ، فارسل اليهم قيس بن سعيد فناظروه فقال هذا أمير المؤمنين يحكم بكتاب الله قالوا ألم يخلعه وكيله وغضب لنفسه حين لم يحكم له وقد سلب دينه وسلطانه قال قيس ان اتاكم تائبا قتلتموه كما قتلتم عثمان قالوا انتم قتلتموه وعلى امركم قُتل قال قيس انى اتيكم به تائبا ففرحوا وسرِّحوا خيولهم ثم اقبل بجميع من معه فلما رأى عزتهم وقلتهم أشار الى امراء خيوله أن أحملوا وابوا حتى يبدأ بنفسه واعظم ذلك فرماهم بسهم فانعطفت عليهم الخيل ثم اجتمعوا الى عبد الله ذى الثفنات (١) فقال اكسروا الجفون ثم ارموا بها وتنادوا هل من رائح الى الجنة وقاتلوا قتالا شديدا وقتل زيد ابن حويم نحو مائة واكثرهم من همدان فقال عليٌّ افنى بيت همدان رجل واحد واقتتلوا من صلاة الغداة الى الاصيل ، وعليٌّ واقف ومعه ذو العقيصة فسمعه يقول والله ان كنتم لاصحاب الدار يوم الدار واصحاب الجمل يوم الجمل واصحاب صفين يوم صفين واصحاب القرآن اذ تلى القرآن فقال له فيما نحن إذاً فضرب فرسه فلحق بهم واقبل ابن لِعدى ابن حاتم فسأل عن زيد بن حصن فقيل له هناك فلحق بهم وقتل فيها خيار من على وجه الارض وقتل فيهم اويس القرنى ، عن ابن

---

(١) هو الامام عبد الله بن وهب الراسبي رضي الله عنه من بني راسب من ازد عمان ، كان يلقب بذي الثفنات ، اي ان ركبه كركب البعير من كثرة السجود ، قيل انه من الصحابة وشارك في الفتوحات الاسلامية مع سعد بن ابي وقاص وله فيها مقام معلوم .

عباس قال حدثني قنبر مولى عليّ قال تحولت انا وعليّ الى النهر بعد القتال فانكب طويلا يبكى فقلت ما يبكيك قال ويحك صرعنا هاهنا خيار هذه الأمة وقراءها فقلت اى والله فابكى فبكى طويلا ثم قال جدعت انفى وشفيت نفسى فاظهر الندامة على قتله اياهم وقال له رجل هؤلاء الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا قال ويحك اولئك اهل التوراة والانجيل وقال له آخر والله ما بين الطريقين طريق ان كان امر الحكمين هدى فقد ضللت بنقضك عهدك وبراءتك منهما وان كان ضلالة لقد ضللت بقتلك اهل النهر إذ نهوك عن الضلالة ، ودفن الناس قتلاهم ودفن عدى بن حاتم ابنه فقال الحمد لله الذى ابتلانى بموتك حين حاجتى اليك ومات فيهم اويس القرنى وخبره مشهور في المبسوطات وتفرق عن عليّ اصحابه لما رأوا انهم قتلوا خيارهم فخرج عنه في يوم اثنا عشر الفا وايضا ثلاثمائة ومازالت ايامه في الادبار من يومهم ، ونزع له معاوية اليمن والحجاز ومصر وغارت خيله الى الانبار وقتلوا عماله ولا يسمع له كلام ولا يمتثل له امر قال له عدى ابن حاتم تركتنا لا ندرى اين نسكع قتلت من رضى القضية ومن انكرها لانه قتل ايضا الحارث بن راشد إذ رضيها وتلقاه ابنه الحسن حين دخل الكوفة فقال يا ابت اقتلت القوم قال نعم قال لا يرى قاتلهم الجنة قال ليت انى ادخلها ولو حبواً فلما فقد على تلك الاصوات بالليل كانها دوي النحل قال اين اسود النهار ورهبان الليل قالوا له قتلناهم يوم النهر ، وفي كتاب النهروان حدثني مسعود ابن الحكم الهمدانى ان ابن عباس قال للحسن انكم لأحق بيت في العرب ان تتيهوا كما تاهت بنو اسرائيل قمتم بكتاب الله وبسنة نبيه عليه السلام فجاهدتم بها ثم جعلتم حكما على كتاب ربكم ثم قتلتم خيار المسلمين وفقهاءهم وقد افنوا المخ واللحم واجهدوا الجلد والعظم من العبادة وبذلوا اموالهم وانفسهم في سبيل الله وفيه ، وحدثني مسعود بن عبد الله بن شداد انه قدّم المدينة فارسلت اليه عائشة فقالت يا عبد الله أقتل عليّ اصحابه فحدثها بالقصة

كلها فقالت ظلمهم قالت هل تسمى احداً ممن قتل قال نعم حرقوص بن زهير السعدى فاسترجعت وقالت اشهد ان رسول الله عليه السلام كان في منزلى قال يا عائشة اول رجل يدخل من هذا الباب من اهل الجنة فدخل حرقوص ولحيته تقطر ماء وقال ذلك في اليوم الثانى فدخل وكذلك في اليوم الثالث قالت ومن قلت زيد بن حصن الطائى فبكت وقالت والله لو اجتمعت الامة على الرمح الذى طعن به زيد لكان حقا على الله ان يكبهم جميعا في النار ، وفرح معاوية فرحا شديدا لقتله اياهم فاستنفرهم من النهر الى الشام فقال الاشعث نفذ الزاد وكلت السيوف ونصلت الاسنة فارجع بنا الى مصرنا نستعمل احسن عدتنا ويزيد امير المؤمنين فينا عدة من هلك منا فننزل النخيلة فامر الناس ان يلزموا معسكرهم فتسللوا فدخلوا الكوفة وتركوه فدخل في اثرهم فغار سفيان بن عوف العامرى على الانبار وعليه حسان ابن حسان فقتله واجلى ما هناك من الخيل وسلب النسوان ورجع وافرا فخرج علىٌّ في اثره حتى ورد النخيلة فاقام بها واستنفر الناس فابطوا عنه ووبخهم بخطبه وَعيَّرهم وكتب لهم فما نفع ذلك أجمْعَ وقال في بعض خطبه جندى لا يمنعون الضيم ثم مَنْ فاز بكم فقد فاز بالسَّهم الاخيب اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصرتكم فرق الله بينى وبينكم ، وفي كتاب النهروان قال الشعبى لما قتل علىٌّ اهل النهر آيس ان يستقيم له الامر قال لابنه لا تكرهوا بيعة معاوية وفيه ، عن جابر بن زيد ان عليا لما اظهر الندامة للناس ، قيل له قتلت قوما واظهرت الندامة عليهم وطفقت تمدحهم وتزين امرهم لتخلعن او لتقتلن فلما اصبح قال ابتغوا في القتلى رجلا فوجدوا نافعا مولى ترملة صاحب رسول الله ﷺ وكان صالحا مجتهدا قطع الفحل يده فقال هذا هو فقال له الحسن هذا نافع مولى ترملة قال له اسكت الحرب خدعة فانتقل من بقى من اهل النهر الى النخيلة .

مقتل عليِّ بن ابي طالب

ثم قتل عبد الرحمن بن ملجم (١) عليا وبايعت الناس الحسن وخادعه معاوية وسلم له واقبل ليدخل الكوفة فدعاه اهل النخيلة (٢) الى كتاب الله فابى فقاتلوه فقال اغدرا يا اهل الكوفة وخرج الحسن في اهل الكوفة ونصروه وعاتبهم ابن عباس على ذلك واستقام الامر لمعاوية وذهب العمل بكتاب الله لا ينازعه احد الا اتى عليه ..

---

(١) عبد الرحمن بن ملجم المرادي شخص اقحم في المحكمه أو اهل النهروان اقحاما وزج به في اوساطهم زجا ، مع انه مجهول في صفوفهم .. يقول العلامة محبوب بن الرحيل (اما عبد الرحمن بن ملجم فلم اجد من اصحابنا من يمدحه ولا من يذمه ، وقول هذا الامام الجليل «لم اجد من اصحابنا من يمدحه» لانه ليس منهم ولا متصل بهم ، «ولا من يذمه» لترفعهم وتنزههم عن السب والشتم ، وانما ابن ملجم دبر من قبل الاشعث بن قيس وطبيعي ان يتم ذلك بإيعاز من معاوية أو علم منه) ، فان ابن ملجم بات ليلة مقتل الامام علي بن ابي طالب في بيت الاشعث بن قيس ، وقد سمع حجر بن عدي الاشعث وهو يقول لابن ملجم قم لقد فضحك الصبح . وقيل ان الذي سمع ذلك عفيف بن قيس أخو الاشعث ، ثم الصقت تهمة القتل وصاحبها بالمحكمة ونسجت حول ذلك قصة حب بطلاها عبد الرحمن بن ملجم وامرأة اعطيت اسم قطام ، وبتدبير من معاوية أيضا تزوج الحسن بن علي جعدة بنت الاشعث بن قيس فعملت له السم فقتلته ، فعلى الباحث أن يتدبر .

(٢) هذه الحقيقة التاريخية تدفع المقولة الزائفة التى اطلقها كثير من المؤرخين الذين يقلد بعضهم بعضا بان علي بن ابي طالب قتل جميع اهل النهروان ولم يبق منهم سوى عشرة او تسعة أشخاص تفرقوا في الاقاليم ونشروا الفكر الخارجي على حد زعمهم ، فان اهل النخيلة كانوا حوالي الفي رجل بقيادة فروة بن نوفل الاشجعي ومعظمهم من بقايا اهل النهروان . وقد تعاون على قتالهم معاوية بن ابي سفيان والحسن بن علي .

فصـــل ..

فان قلت الصحابة كلهم عدول والواجب إذا ذكروا ان يمسك لمدح الله لهم في غير موضع من كتابه ولامره عليه السلام بالامساك اذا ذكر اصحابه ولما روى في جملتهم وخاصتهم من الاحاديث قلت الامر كذلك الا من احدث ويدلك على ذلك قتال ابى بكر للعرب الذين ارتدوا وكثير منهم صحب وسمع وروى ولقوله تعالى ﴿واتقوا فتنة .. الآية﴾ (١) ﴿وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون﴾ (٢) فان قلت ان معاوية اعطاه الله سهما عليه السلام فقال خذها حتى تلقانى بها في الجنة وقال اللهم قه العذاب ، وعن عون بن مالك انه نام في بعض المساجد فاذا باسد ففزع منه قال له انما ارسلنى ربى لتخبر معاوية انه من اهل الجنة فيكون تسليم الحسن له صوابا ، قلت قال ابن عبد البر حديث مجهول ولو ثبت هذا ما اسماه عليه السلام هو واتباعه فئة باغية في قتلهم عمارا ولقوله لعمار قاتلك وسالبك في النار وروى ان ابا سفيان اقبل راكبا جملا يقوده معاوية ويسوق عتبة فقال لعن الله السائق والقائد والراكب واجمع اصحاب على والعارفون من اصحاب معاوية ان معاوية باغ في سفك الدماء وسيأتى بيان ذلك ، فان قلت قال عليه السلام في الحسن سيصلح ما بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، قلت لو ثبت هذا الحديث لما اتفق جميع اصحابه على تعييبه حتى سموه مذل المؤمنين بعد امير المؤمنين يا عار المؤمنين ولو كان الفعل لله لم يشترط عليه ان الامر من بعده له وايضا لا يجوز له ان يسلمها لمعاوية وقد علم انه لا يعمل بكتاب الله وان علم انه يعمل بكتاب الله فقد تحقق ان من قاتله باغ ضال هذا تخليط صدق ابن عباس في قوله له لأنتم أحق بيت في العرب ان تتيهوا ..

---

(١) سورة الانفال ٢٥   (٢) سورة النور ٥٥

دولـة معاويـة وايامـه

لما غصب الناس الملك وقهر الناس بسيفه وإذا رآى الحسن رحب واعطاه ثلثمائة الف وحمل الائمة الجورة على رقاب المسلمين واصطفى لنفسه البيضاء والصفراء وتكلم الحسن عنده يوما فزجره فقال الحسن اياى تزجر ثم افتخر عليه فقال معاوية كنت، حولك مائة الف سيف يغمدها رضاك ويسلها غضبك فتركت ذلك اما ضعفا عنه فانت اليوم اضعف واما زهدا فاليوم احرى ان تزهد فلا يوردك لسانك موردا يقل فيه اخوانك واخدانك في كلام يصغره به ، قال ابن عبد البر لما بايع الحسن لمعاوية قال عمرو لمعاوية مره ان يخطب فكره معاوية فمازال به حتى امره وخطب ومراد عمرو أن يبدو عيّه وقال لمعاوية لا يدرى في هذه الامور ما هي مستجهلا له ونسبه الى ضعف الرأى والعقل وعدم الدها وقال ابن عبد البر اول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة ، وكان يقول انا اول الملوك وولى الكوفة المغيرة بن شعبة وامره بشتم علىٍّ وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له فامتثل وكان اذا خطب ذم عليا وشتمه وترحم على عثمان واستغفر له فينكر عليه حجر بن عدى قائلا اياك ذم الله ولِعِنَ وكان المغيرة شيخا كبيرا ويتحلم عن مثله لمنعته في قومه وشرفه فقيل للمغيرة على ما تترك هذا الرجل يجترىء عليك في سلطانك قال انى تركته يجترىء على من بعدى فياخذه باول وهلة فمات فتولى بعده زياد وترحم وشتم كالمغيرة ورد عليه حجر فاخذه وارسل به الى معاوية فقتله في ستة من اصحابه ، وتتبع اصحاب علىٍّ فمن شتمه اطلقه ومن ابى اخذه فبعث الى بعض اصحاب حجر فقال له يا عدو الله ما تقول في ابى تراب فقال لا اعرفه قال هو علىٍّ قال فيه احسن قول اقول فضربه بالعصا على عاتقه حتى الصق بالارض ولزمها ثم قال له لتلعننه او لاضربن عنقك فاستقام هم

الامر وظهر الجور وعم الناس فتبعهم القريب والبعيد خوفا من سلطانهم ورغبة فيما في ايديهم وتزاحمت على طاعتهم العلماء والاشراف وذهب الدين وسكن اهل الحق زوايا الخمول والكتمان وقد بقي في ايديهم شيء من اليقين وعرفوا من جور الظلمة ما عرفه من قبلهم فلم يستطع احد ان ينهى عن معصية وتتبع زياد وابنه المسلمين يقتل ويسجن وكذا شيعة عليٍّ وربما جمع اهل العراق فمن لعن عليا اطلقه والا قتله كذا في كتاب المسعودى ، قال المسعودى ان اصحاب معاوية ارتقى بهم الامر في طاعته الى ان جعلوا لعن عليٍّ سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير ويلعنه على المنابر قيل لبعضهم من هذا ابو تراب الذى يلعنه الامير على المنبر قال لص من لصوص الفتن ، فاقام المسلمون على ذلك بعد ان قتل اهل النخيلة مع امامهم فروة بن نوفل الاشجعى ثم صار الامر من بعده الى عبد الله بن ابى الحيسا الطائى الى عام ثلاثة واربعين فانسوا من انفسهم قوة فاجتمعوا ، منهم معاذ بن جوين بن حصن الطائى ، وحيان بن ظبيان السلمى ، والمستورد بن علقمة التيمى تيم الرباب وغيرهم فقالوا اخرجوا بنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر فلا عذر لنا واخواننا قتلوا في المجالس آمنين فان ظفرنا يشفى الله صدور المؤمنين وان قتلنا ففي مفارقة الفاسقين راحة ولنا باسلافنا الصالحين اسوة ففطن لهم زياد وسجن معاذ بن جوين وحيان بن ظبيان ، وبايع المسلمون المستورد فخرج في ثلثمائة وسار على شاطىء دجلة فارسل المغيرة في اثره معقل بن قيس الرياحى في ثلاثة آلاف من قريش فالتقوا عام خمسة واربعين فقتل كل من المستورد وابن قيس صاحبه ، ولما خرج معاذ وحيان من السجن في نحو عشرين اجتمع اليهما اصحابهما فقام حيان فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله كتب علينا الجهاد فمنا من قضى نحبه واولئك الفائزون بفضلهم ومن يكن منا ينتظر فهو من سلفنا القاضين نحبهم فحرض اصحابه على الجهاد فبايعوه فخرج بعدما تشاوروا اين يوجهون فقال معاذ ارى ان نسير الى حلوان

فانها كورة بين السهل والجبل والثغر والمصر قالوا له ان اعداءنا لا يتركوننا ويمهلوننا بل يعاجلوننا قبل ذلك قال حيان نخرج الى جانب الكوفة فنقاتل حتى نموت فذلك عذر لنا عند ربنا فقال عتريس بن عرقوب الشيباني الرأى ما قال معاذ او تسيرون الى عين التمر فقال حيان عدوكم معاجلكم عن ذلك فقالوا الرأى ما رأيت فقال انكم تبادرون بذلك الجنة فخرجوا فقتلوا جميعا رحمهم الله ، ثم اراد خالد بن عباد السدوسى رحمه الله الخروج فسعى به فاخذه ابن زياد لعنه الله وكان زاهدا صالحا ناسكا وكذب الساعى فضمنه رجل ثم اتى ابن زياد بعد ذلك انه لم يبت البارحة في اهله فارسل اليه فقال اين كنت قال عند اخوان لى ذكرنا الله وذكرنا ائمة الهدى وذكرنا ما الناس فيه من الجور قال دلنى عليهم قال لو دللتك لقتلتهم وسعدوا واشقى ولم اكن لاروعهم قال له العن اهل النهر قال ان كانوا لله اعداء فلعنهم الله قال فما تقول في ابى بكر وعمر قال خيرا قال وعثمان ومعاوية قال ان كانا ولين لله فلست اعاديهما قال له رجل انك في تقية قال قد علمت ولكن لا تقية اليوم في الله فامر بقتله وكان شاسفا من العبادة بين عينيه اثر السجود وكره الناس قتله لما رأوا عليه من اثر العبادة والخشوع فاتى المثلم بن مسروح فقتله فائتمر المسلمون بقتله فدسوا اليه رجلا في هيئة الفتيان فلقيه بالمربد يسال عن لقحة صفى قال له قد علمت مكان كذا وكذا ناقة صفى فان شئت تركت حاجتى وسرت معك فسار معه حتى دخل دار فقال ادخل بفرسك فقتله حريث بن حجل السدوسى وكهمس بن طلق الصريمى وجعلوا دراهمه في بطنه ، ثم خرجت جماعة من الموالى اميرهم ابو ليلى مولى لبنى الحارث بن كعب فخرجت معهم قطام وكحيلة فدعوا الناس الى الحق حتى قتلوا وتولى ذلك جابر بن حشر البجلى بعثه المغيرة فناداهم على ما تقولون ﴿قالوا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد .. الآية﴾ (١) ثم خرج زياد بن الحراش العجلى من الكوفة في

---

(١)سورة الجن ١ ، ٢

ثلثمائة وقيل انه سار بالبسط والله اعلم حتى اتى الاجنوبية فقتلوا منهم عددا كثيرا وهو يوم من ايام الكوفة لا ينسونه ثم انتقلوا وبعث اليهم زياد من اتى على جميعهم ، ثم خرج عليّ الاعرج الكوفي ثم خرجت جماعة فعاجلتهم الخيل فاصيبوا بنهر عبد الرحمن عليهم ابن معاذ الطائي وقد كان عبد الله بن عوف فيمن خرج مع اهل الكوفة لقتال أهل النخيلة فقتل ابن وداع الاسدى رحمه الله فقال :

قتلت اخا بنى اسد سفاها
لعمر ابيك ما لقيت رشدى
قتلت مصليا محييا لليل
وذاك لشقوتى وعثار جدى
تقبل توبتى يا رب واغفر
إذا حاسبتني خطأى وعمدى

واخذ المغيرة معبد المحارب ورجلا من بنى تميم فسجنهما وارسل الى معاوية فقال ان شهدا انى امير المؤمنين فاطلقهما فشهد تميم ان صاحبهم مجنون فخلي سبيله فقال للمحارب اتشهد ان معاوية امير المؤمنين فقال اشهد ان الله حق وان الله يبعث من في القبور فقال المجنون فقال وددت انى من صالحى الجن فقال أحرورى قال وددت انى من الذين تحروا رشدا قال اتشهد بذلك على معاوية واخلى سبيلك فقال اشهد ان تميما اكثر من محارب فقال قبيصة بن التبر الهلالى اسقني دمه فقتله المغيرة وزياد وابنه وخالد بن اسيد والضحاك وعبد الرحمن بن ام الحكم ، ثم النعمان بن بشير ، ثم بشير بن مروان فاقبل رجل من عمان فاستثبت قبيصة باربعة شهود فقتله ، ثم خرج طواف في جماعة فاصيبوا ، ثم خرج قريب الازدى

وزحاف الطائي وهما ابنا خالة فقتلا رحمهما الله بحومة بنى راسب عاجلوهما ولم يكونا تهيأ للخروج فرموهما من فوق البيوت ومن الازقة فبعث عبيد الله ابن ابى بكرة الى زياد بالكوفة ان كان لك بالبصرة حاجة فالعجل العجل فلما قدم قامت الخطباء على رأسه وعم عمران بن حطان وابوه من الخطباء فرأيا عمران يريد السير معهما فعزم عليه ابوه ان يرجع وينزع ففعل ثم عاد فلم يشعرا به إلا وهو يخطب على رأس زياد فقال الناس هذا اخطب العرب لو مازج خطبته بكتاب الله قال فرجعت الى كتاب الله فاذا به شاغل وهذا سبب توبته رحمه الله .

خروج ابي بلال

ثم خرج ابو بلال مرداس ابن حدير احد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم واصحابه وادية جدته من محارب وقيل امه ، وسبب خروجه فيما ذكر في كتاب الاعلام ان زيادا قال على المنبر لآخذن المحسن بالمسيء والحاضر بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه رحمه الله فقال ما هكذا ذكر الله اذ يقول ﴿وابراهيم الذى وفى ـ الا تزر وازرة وزر اخرى ـ وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى﴾ (١) وذكر عبيد الله بن زياد البلجاء الحزامية من بنى حازم بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة ابن تميم وكانت مشهورة بالورع والزهد والنسك فلقى غيلان بن خرشة الضبى ابا بلال فقال له سمعت الامير يذكر البلجاء فمضى اليها ابو بلال فقال ان الله جعل لاهل الاسلام سعة في التقية فان هذا الجبار المسرف ذكرك قالت اكره ان يصل الى احد مكروه بسببى فان اخذنى فهو اشقى له واخذها عدو الله فقال لها انك حرورية محلوقة الرأس فقالت ما انا كذلك قال لارينكم منها عجبا اكشفوا رأسها فمنعتهم فقال لاكشفن احسن بضعة منك قالت لقد سترته حيث لم تستره امك قال ايه ما تشهدين على قالت شهد الله عليك ثلاث شهادات بقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وشهدت على نفسك ان اولك لزنية واخرك لدعوى فعض لحيته فقتلوها ، فخرج ابو بلال في جنازتها قال لو اعلم انى ابعث على ما تبعث عليه لعلمت انى ابعث سويا على صراط مستقيم ، وفي كتاب الاعلام انه قطع يدها ورجليها وطرحها في السوق فمر بها ابو بلال فقال لهذه اطيب نفسا عن بقية الدنيا منك ما من ميتة اموتها احب الىَّ من

---

(١) سورة النجم ٣٧ ـ ٤١

ميتة البلجاء ، وفي بعض النسخ البثجاء بثاء وألحَّ عبيدُ الله في طلب المسلمين فاجمع ابو بلال على الخروج وقال لاصحابه ان الاقامة على الرضا بالجور لذنب وان تجريد السيف واخافة الناس لعظيم ولكن نسير في ارض الله ولا نجرد سيفا وان ارادنا قومٌ بظلم امتنعنا منهم فقالوا له انت سيد المسلمين وبقيتهم فخرج في ثلاثين فلقيه عبدُ الله بن رياح عامل عبيد الله على الجسر وكان صديقا لابى بلال ، وفي كتاب الاعلام كان فاضلا فراودهم على الرجوع فأبوا فاتوا الاهواز. فاصابوا اموالا تحمل الى ابن زياد فاخذوا عطيتهم وردوا الباقي فبلغ عبيد الله خروجهم فوجه اليهم اسلم بن زرعة في الفين قال يونس بن ارقم خرجنا في جيش نريد خراسان فدخلنا ذَرْبَاسك فيه ثلاثة اخبية فاذا هو ابو بلال في ستة وثلاثين رجلا فقال ابن عمى السلام عليكم قالوا وعليك امن هذا الجيش الذين يريدون قتالنا قلنا لا قال سلمكم الله ابلغوا من لقيتم انا لم نخرج لنفسد في الارض ولا نقاتل الا من اكرهنا على قتاله ولا نأخذ من الفيء الا اعطيتنا فبلغهم اسلم بآسك وهم في اربعين رجلا فقالوا له اتق الله فانا لا نريد قتالا فما تريد قال اردكم الى ابن زياد قال يقتلنا وتشاركه في دمائنا قال نعم دماؤكم حلال وهو محق قالوا اللهم ان كان كاذبا فانصرنا عليه ، قال حريث بن حجل يا عدو الله المحق وهو يطيع الفجرة ويقتل بالظنة ويخص بالفيء

ويجور في الحكم فرموا رجلا من المسلمين فقتلوه قال ابو بلال جاهدوا ولتكن الى الله رغبتكم واستعينوا بالله واصبروا فحملوا فانهزم وكاد معبد ياخذه فغضب عليه ابن زياد فقال لان يذمنى ابن زياد حيا احب الى ان يمدحنى ميتا وارسل اليهم عباد بن اخضر في اربعة آلاف مع ما انضم اليه قال له ابو بلال ما تريد قال أردكم قال اتدعونا الى طاعة من يسفك الدماء وياخذ المال الحرام ويعطل الحدود ويرتشى في الحكم ويتسلط بالجبرية ويقتل بالظنة وياخذ على التهمة لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة قال نعرف ما تقولون ولكن لهم مع ذلك الطاعة وقيل قال كذبتم هو خير منكم وانتم

اولى بالضلال منه ، وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحج ، قال ما هذا قيل له الشراة فحمل عليهم وانتشب الحرب في يوم جمعة وابو بلال يتلو ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه .. الآية﴾ (١) فاسروا القعقاع فقال لست من اعدائك وانما غدرت ولم اعلم واطلقه ورجع فرجع يقاتل فحمل عليه حريثُ وكهمس فاسراه فقتلاه فلما جاء وقت صلاة الجمعة ناداهم ابو بلال انكم في يوم عظيم فادعونا حتى نصلي وتصلوا فاجابوهم فلما دخلوا في الصلاة حملوا عليهم فقتلوهم بين راكع وساجد وقائم وقاعد ..

---

(١) سورة الشورى ٢٠

ذكر طبقة التابعين

ابو بلال واخوه عروة وبعض اصحابه ممن حضر صفين وكان مع اهل النهر وله في العلم والورع والديانة والشجاعة هو واخوه الامد الاقصى ولكل منهما فضائل لا تحصى لا تاخذهما في الله لومة لائم ، ومن شجاعته ان غيلان بن خرشمة ذكر اصحابه عند ابن زياد فلما خرج لقيه فقال قد بلغنى ما كان منك يا غيلان ما يؤمنك ان يلقاك رجل احرص والله على الموت منك الى الحياة فينفذك برمحه فقال لن يبلغك انى ذكرتهم بعد الليلة ، ومر على فرسه ينادى قومه فوقف وسلم فقال شاب منهم فرسك حرورى قال وددت والله لو وطأته بطنك في سبيل الله فمضىٰ وقال الفتى لاصحابه انى مقتول فمشوا اليه بالفتى فقالوا اصفح عنه فصفح عنه وقال اذا كنت في مجلس فاحسن حملان راسك وَمن خوفه انه جاز مع صاحب له على الحدادين فسقط مغشيا عليه ولم يزل صاحبه يرشه بالماء حتى افاق ثم سارا فاستقبلتهما امرأة جسيمة عليها زينة عظيمة فغشى عليه فلم يزل يرشه حتى افاق ورأى رجلا فغشى عليه فرشه حتى افاق فقال ما هذا الذى ارى قال امّا اولا فمعاينة النار والثاني تفكرت كيف تقلبها في النار مع الجسامة والحسن واما الرجل فكثير ما اراه يشهد مجالس المسلمين فرجع الى مارايت من الهيئة والغلمان والنزهة فاستعدت من سوابق الشقا ، ومن تورعه هو واصحابه انهم يبيعون حلى سيوفهم من الحاجة وابوا اخذ المال الاّ من له عطاءٌ وقد تقدم ، ومن كراماته ما قال ابو سفيان قال اخبرنى ابو العلا بن الشهيد رجل من حجبة البيت عن آبائه قال انى لفى الطواف في ليلة صاحية قمراء فاذا برجل تحت الميزاب يدعو الله ويرغب اليه فبينما هو كذلك اذ لحّ فقال اللهم حاجتى فكرر فسمعه اهل الطواف قالوا اللهم اقض حاجته قال اللهم ان كنت رضيت ما اريد فارنى من ذلك علما فقال فقطرت عليه من الميزاب قطراتٌ فلما احس بالماء انساب في

الناس فاذا هو ابو بلال ، قال ابو سفيان لما حضر خروجه اجتمع هو واصحابه في بيت لبنى تميم قال فدعوا الله ورغبوا اليه ان يجعل لهم علامة ان رضى خروجهم قال فانشق سقف البيت حتى نظروا الى السماء روى روى ابو سفيان عن قرة بن عمران اتى بنى تميم يسأل عن البيت فاذا هو مشهور فيهم فرايته وكثيرا ما يخرج الى ساحة الدار بليل ويقول ولو «ارادوا الخروج لاعدوا له عدة» (١) ويقول لاصحابه عرضت نفسى على الله فلم اره يقبلنى ، ابو سفيان قال دخل هو وجابر على عائشة ام المؤمنين

فعاتباها مما كان منها يوم الجمل فتابت واستغفرت مما كان منها ، وكان ابو بلال يفارق جابرا من بعد ما يصلى العتمة الى آخر الليل مع بعد ما بين منزليهما فيقول له ارفق بنفسك او كلام مثل هذا فيجيب بانه لا يقدر على مفارقته .

واما عروة فهو اول من قال لا حكم الا الله وسلَ سيفه وضرب عجز دابة الاشعث واحضره زياد وسأله عن الخلفاء الولاة ثم سأله عن نفسه فقال اولك لزنية وآخرك لدعوى وانت عاص لربك فامر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال له صف لى اموره واوجز قال ما اتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط فقال اذا قتلناه صالحا ، وبقى فى حفظى قديما ان ابن زياد لما صلب عروة عاين الحرس النورَ عليه فكذبهم فخرج فعاين فتركه ودفنه المسلمون وسال غلامه ، وفي كتاب الاعلام ان ابن زياد خرج في رهان فقال له عروة خمس كن في الامم قبلنا وقد صرنا اليوم فينا تبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين وخصلتان لم يحفظهما الراوى فترك رهانه وطلبه ابن زياد وقدم به عليه وقطع يديه ورجليه ثم قال له ما رايت قال افسدت دنياى

---

(١) سورة التوبة ٤٦

وافسدت آخرتك فقتله وقتل بنيه ، وقيل لما قتل ابن اخضر ارسل الى ابن زياد من الكوفة الى ابن ابى بكرة لا تدع احدا ممن يذكر بهذا الراي وأوتي بعروة فكفله ابن ابى بكرة فلما قدم ابن زياد قتل من في السجن وتغيب عروة وقال ابن زياد للكفيل لئن لم تأت به لاقتلنك فاوتى به من سرب يعبد الله فكتب الكاتب في شرب فقرأ في شرب فقال ابن زياد كذبت وصحفت يا ليته ممن يشرب قال له بعد محاورة لامثلن بلك قال اختر لنفسك من القصاص ما شئت ، وابن اخضر لما رجع بعد غدر ابى بلال في الصلاة واصحابه اتفق عبيدة بن هلال مع ثلاثة من اصحابه فقتلوه في يوم الجمعة فنجا عبيدة بن هلال ، ومن امانة ابى بلال ان ابن زياد سجنه في جماعة من المسلمين فرأى السجان اجتهاده فقال ان تركتك بقيت عند اهلك أترجع ، قال نعم فاتاه الخبر عند اهله ان ابن زياد اراد قتلهم غدا فرجع ابو بلال الى السجن بعد ان قال له اهله اتق الله في نفسك قال اتريدون ان القى الله غادرا وقال للسجان قد علمت رأى صاحبك ، قال اعلمت وجئت قال نعم فقتل ابن زياد من في السجن فاخبره السجان بفعله فاطلقه رحمه الله .

ومن اصحابه حريث بن حجل السدوسى وهو الذى طلبوه ان يؤمر عليهم فأبى وقال لا أَلِي على رجلين ابدا وقد سمعت ما قيل يؤتى بالامام يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه حتى يفكه عدله او يوثقه جوره ، وسأل الهيثم امين بن سماعة أابو بلال أفضل أمْ حريث فقال ما كنت ارى ان اعيش او ابقى في قوم يشكون في فضل حريث .

ومنهم كهمسُ بن طلق الصريمي وليس له اهل الا امه وكان عابدا زاهدا من خيار المسلمين وقال لامه خرج ابو بلال وحريث وحويص ابو الشعثاء ولا فى العيش بعدهم خيرٌ فقالت مالى غيرك قال اكره الخروج وانت ساخطة قالت وهبتك لله فخرج .

ومنهم حويص ابو الشعثاء وكان فاضلا تقيا واليه يفزعون في المهمات وقد قيل له الا تقبل منا هذا قال انطلقوا الى كهمس فانى والله ما رايت رجلا من المسلمين يعدله .

ومنهم غسان وله بنات وقد همَّ بالرجوع لاجلهن فقال له حويص ﴿ما مِنْ دابة في الارض الا على الله رزقها﴾ (١) وهو والله خير لبناتك منك وفي حفظى طلبت احداهن ان تشرب ليلة فسكت عنها فقامت اختها فسقتها فتيقن ان الله نعم المتكفل .

ومنهم شيبان وجاء الى البصرة يطلب ارثا فصادف خروج ابى بلال فاختار ما عند الله على عرض الدنيا .

ومنهم ابو العباس بن عبد القيس وهو الذى ارسلوه الى ابن اخضر يدعوه الى كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام فدعاهم الى طاعة ابن زياد .

ومنهم ابو عمران عون وهو الذى ضرب برمح فمشى في الرمح الى طاعنه فقتله فقال ان ربى ارضيت .

ومنهم ابو عمر بن عقيل ويزيد ومعاذ بن ضيبان وبيهس والمغيرة رحمهم الله وذكرهم عمران بن حطان في قصيدته جمعهم فيها .

ومنهم جابر بن زيد الازدى رحمه الله بحر العلم وسراج الدين اصل المذهب واسّه الذى قامت عليه اطامه صاحَبَ ابن عباس رضى الله عنه وكان اشهر من صحبه وقرأ عليه ، وفي الطبقات ذكر ابو طالب مكى في كتاب قوت القلوب «ان ابن عباس قال اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه» وفيه قال اياس بن معاوية رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد ، وعن الحصين عن حيان قال سمعت ابن عباس في المسجد الحرام يقول جابر بن زيد اعلم الناس بالطلاق وعن الحصين بن حيان قال لما مات جابر بن زيد فبلغ موته انس بن مالك

(١) سورة هود ٦

فقال مات اعلم من على ظهر الارض او قال مات خير اهل الارض ، وعن ابن عباس رضى الله عنه قال جابر بن زيد اعلم الناس ، وعنه قال عجبا لاهل العراق كيف يحتاجون الينا وعندهم جابر بن زيد لو قصدوا نحوه لوسعهم علمه ، ابو سفيان كان جابر بن زيد يحج كل سنة فلما كان ذات سنة بعث اليه عامل البصرة ان لا تبرح العام فان الناس يحتاجون اليك فقال لا افعل فسجنه فلما كان غرة ذى الحجة جاءه الناس فقالوا اصلحك الله قد هل هلال ذى الحجة قال فارسله فخرج من السجن فاتى منزله وناقته حوله في الدار قد كان هيأها للخروج فاخذ يشد عليها الرحل ويقول ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ (١) يا آمنة اعندك شيء قالت نعم فهيأته في جرابين فقال من سالك فلا تخبريه بمسيرى يومى هذا فخرج من ليلته وانتهى الى عرفات والناس بالموقف فضربت بجرانها الارض وتجلجلت فقال الناس ذكها ذكها قال حقيق لناقة رأت هلال ذى الحجة بالبصرة ان لا يفعل بها هذا ثم سلمها الله تعالى وقد كان سافر عليها اربعا وعشرين مرة بين حج وعمره ، ابو سفيان اصاب الناس على عهد جابر بن زيد ظلمة وريحٌ ورعد ففزعوا الى المساجد فخرج ابو الشعثاء الى بعض المساجد فجلس يذكر الله والناس في تضرع وضجة فلما انجلت اخذ الناس ينصرفون الى اسواقهم ومنازلهم فدعا من كان قريبا منه فقال ما كنتم تظنون هذا الامر قالوا خفنا ان تكون القيامة قامت قال وانما خفتم طي الدنيا والافضاء للآخرة قالوا نعم قال خفتم امرا عظيما فحق عليكم ان تخافوه ثم قال اين تذهبون الآن قالوا الى منازلنا قال لقد خفتم امرا عظيما ففزعتم الى الدعاء ولو جاء ما خفتم لم يغن عنكم ما كنتم فيه شيئا فالآن إذ رد الله عليكم دنياكم فاعملوا حين قبول العمل فاما ما كنتم فيه فلو كان الامر كما خفتموه لم يغن عنكم دعاؤكم من الله

---

(١) سورة فاطر ٢

شيئا ، ابو سفيان دخل جابر وابو بلال على عائشة فعاتباها على ما كان منها يوم الجمل فاستغفرت وتابت قال ودخل جابر عليها فاقبل يسألها عن مسائل لم يسألها احدٌ عنها حتى سألها عن جماع رسول الله ﷺ كيف كان يفعل وان جبينها يتصبب عرقا وهى تقول سل يا بنى ثم قالت له ممن انت قال من اهل المشرق مَنَ عمان فذكرت له شيئا لم احفظه الا انى اظنها قالت ان النبى ﷺ ذكره او نحو هذا قال ورآى رجلا من الحجبة يصلى فوق الكعبة فقال من المصلى لا قبلة له وكان ابن عباس في ناحية المسجد فسمع قوله او اخبر به فقال ان كان جابر في شىء من البلد فهذا القول منه ، قال ودخل ثابت البنانى على جابر حين احتضر فقال هل تشتهى شيئا قال انى لاشتهى ان القى الحسن البصرى قبل ان اموت فخرج ثابت فاعلمه بقول جابر وكان مستخفيا من الحجاج فركب بغل ثابت على السرج وركب خلفه ثابت بطيلسانه فلما دخل على ابى الشعثاء وهو مضطجع انكب الحسن عليه وهو يقول قل لا اله إلا الله فرفع جابر عينيه وهو يقول اعوذ بالله من غدو أو رواح الى النار فقال له قل لا اله الا الله فقال اعوذ بالله من غدو أو رواح الى النار ثم قال يا ابا سعيد ﴿يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا﴾ (١) فقال الحسن هذا والله الفقيه العالم ثم قال يا ابا سعيد اخبرنى عن حديث ترويه عن رسول الله ﷺ في المؤمن اذا حضرته الوفاة فقال قال عليه السلام ان المؤمن اذا حضرته الوفاة وجد على كبده بردا فقال جابر الله اكبر اللهم انى اجد بردا على كبدى ثم قبض رحمة الله عليه.، قال مر رجلان من المسلمين وابو الشعثاء قاعد في سقيفة باب داره ولم يرياه فلعنا رجلا قال لعن الله من لعنتما فقالا ما علمنا بمكانك وكيف تلعن رجلا لم يثبت عندك امره قال واى تثبيت اثبت منكما

---

(١) سورة الانعام ١٥٨

وقد اجتمعتما على لعنه ، قال خرجت آمنة زوجة جابر الى الحج ولم يخرج
تلك السنة فلما رجعت سألها عن كريها فذكرت سوء الصحبة واثنت
ثناء قبيحا فخرج اليه وادخله دارا واشترى لابله علفا وعولج له طعام
واشترى له ثوبين كساه بهما فدفع له ما كان مع آمنة من قربة وادوات
وغير ذلك فقالت اخبرتك بسوء الصحبة ففعلت ما ارى فقال افنكافئه
بمثل فعله فنكون مثله لابل نكافئه بالاساءة احسانا والسوء خيرا ، قال
شاورته امرأةٌ على جاريتها يخطبها رجل قال لا تزوجيه فعادت فقال لا فقال
لها الخاطب ان لم تزوجينها اوقعتها حراما قال زوجيه الآن فهذا خوف
العنت ، قال ابو سفيان كان جابر خاصا بيزيد بن ابى مسلم كاتب الحجاج
فوفد عليه مرة فادخله على الحجاج فقال اتقرأ قال نعم قال اتفرض قال
نعم فعجب به قال لا ينبغى ان نؤثر بك احدا نجعلك قاضيا للمسلمين
قال جابر انا اضعف عن ذلك قال وما بلغ ضعفك قال يقع بين المرأة
وخادمها شر فما احسن ان اصلح بينهما قال ان هذا لهو الضعف قال
فهل لك من حاجة قال نعم قال وما هى قال تعطينى عطائي وتدفع عنى
المكروه قال الحجاج هذا لا يستقيم انعطيك من بيت مال المسلمين ولا
نستعملك لهم قال فقال يزيد بن ابى مسلم هاهنا خصلة تخف عن الشيخ
وفيها عون للمسلمين تجعله في اعوان صاحب ديوان البصرة قال كذلك
فلما خرجا قال جابر ما صنعت شيئا اترانى اكون عونا لصاحب الديوان
فقال يزيد انا اكتب لصاحب الديوان ان لا يكلفك مؤنة ويعطيك عطاءك
كاملا وكان عطاؤه سبعمائة او ستمائة وكان في ديوان المقابلة قال وكان
يزيد شديد الحب لجابر فخرج اليه ذات مرة الى واسط في يوم جمعة فلما
تغديا دعا يزيد جارية له فجاءت بغالية ففلت بها رأس جابر ولحيته فقال
يا غلام اسرج البرذون لابى الشعثاء قال اعفنى من البرذون قال فالبغلة
قال نعم فخرج فقال للغلام قف لى عند باب المسجد بموضع سماه له واخذ
على دجلة ونزل وغسل راسه ولحيته ودلكها دلكا شديدا يقول اللهم لا

تجعل حظى منك منزلتى عند هؤلاء القوم ثم جاء الى المسجد فلما حضر خروج جابر تنافست امرأتا يزيد في زاده فصنعتا له شيئا كثيرا وكان معه عمارة بن حيان فلما ركبا السفينة قال لعمارة لا تدع احدا من اهل المركب يفتح زاده فلما انتهى الى البصرة قال بقى جرابان احملهما الى الصبيان قال صبهما على ظهر السفينة واطعم ملاحيك وادع المساكين وادفع اليهم ما بقى ، قال وقع في نفس الحجاج شيء من امر القدر فشكا ذلك الى يزيد فكتب الى جابر فاجابه قل للامير يكثر ترديد خطبته فان فيها بيان ما سأل عنه فرددها مرارا كل ذلك لم ينتبه ثم بعد ذلك انتبه فقال ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له﴾ قال ويحك يا يزيد ما اعلم صاحبك ، قال اتى جابر الجمعة فتلقى الناس خارجين عنها فشق عليه ذلك فقال اللهم لك علىّ ان لا اعود ، قال ابو سفيان ارسلت عاتكة بجزور الى جابر فامر العنبران ينحرها ويجزئها بين جيرانه وان يرسل الى اهله فاطاب واكثر في جزء ابى الشعثاء فقال اكل جيراننا اصاب مثل هذا قال بلى ولكن اطبنا هذا لاهل البيت قال وا سوأتاه لا تفعل ساو بيننا وبين جيراننا ، قال اتى شاب ابا الشعثاء فقال اى الجهاد افضل قال قتل خردلة والشاب لا يعرفه فاراه اياه رجل من المسلمين في المسجد ووضع يده عليه لئلا يخطأه فضربه بين كتفيه ضربة بخنجر قد سمه واخذ فقال له الوالي قد علمت انك لم تفعل هذا من نفسك وانما امرتَ فدلنى على من امرك وَمناه فقال دع عنك هذا فقتله وكان خردلة سعى بجماعة من المسلمين فقتلوا ، قال خرج ابن لجابر وهو قاعد على باب داره فقبله ومسح راسه فقال لجلسائه اترونى احبه قالوا اجل قل صدقتم والله انى لاحبه وما من نازل ينزل به احب اليّ من الموت ينزل به وباخوته ثم ينزل بى ثم بآمنة قالوا فآمنة اعز عليك من ولدك قال ما هى باعز علىَّ منهم ولكن لا احب ان ابقى في الدنيا يوما واحدا عازبا وكان كما تمنى ، قال ابو سفيان نفى الحجاج جابرا وهبيرة جد ابى سفيان الى عمان وقال كانت جدة ابى ام الرحيل عم ابى وجدى العنبر فأتيا أبا الشعثاء فقالا

أُمنا لا تطيق الصوم قال صوما عنها فصام عنها الرحيل فاتياه في العام القابل فقالا ، ام الرحيل لا تطيق الصوم قال فاطعما عنها فاطعم عنها العنبر ، قال قال جابر بن زيد ليس للعالم ان يقول للجاهل اعلم مثل علمى والا قطعت عذرك وليس للجاهل ان يقول للعالم ارجع الى جهلى وضعفى والا قطعت عذرك واذا قال العالم ذلك قطع الله عذر العالم واذا قال الجاهل ذلك قطع الله عذر الجاهل ، قال قال ضمام كان جابر ياتى الخوارج فيقول لهم اليس قد حرم الله دماء المسلمين بدين فيقولون نعم وحرم الله البراءة منهم بدين فيقولون نعم فيقول اوليس قد احل الله دماء اهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين فيقولون بلى فيقول وحرم الله ولايتهم بدين بعد الامر بها بدين فيقولون نعم فيقول هل احل ما بعد هذا بدين فيسكتون ، قال قال جابر لامرأة من المسلمين انى احبك فافترقا فتفكر فى قوله لها انى احبك فرجع اليها فقال في الله قالت وما تظن انى حملت ذلك على غير الحب في الله اى والله في الله ، قال لما مات جابرا اتى قتادة قبره وهو اعمى اذ ذاك فقال ادنونى من قبره فوضع يده على قبره فقال اليوم مات عالم العرب ، قال طلع ابو الشعثاء فاذا برجل من الاكارين يبكى ويمسح دموعه قال مالك ويحك قال صبيان دربكم هذا نزعوا منى قنوين جئت بهما الى صاحب الارض فاخاف ان لا يصدقنى فبعث جابر الى بعض اصحابه له نخل فاخذ قنوين فبعث بهما اليه ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفى سنة ست وتسعين وكان اعلم الناس واورع الناس واعبد الناس استضاء بنوره جماعة عظيمة واخذ عنه ناس كثيرة وكان مجاب الدعاء قال سالت ربى امرأة مؤمنة وراحلة صالحة ورزقا كفافا فاعطانيهن .

ومنهم عبد الله بن اباض المرى التميمى امام اهل التحقيق والعمدة عند شغب اولى التفريق سلك باصحابه محجة العدل وفارق سبل الضلالة والجهل وكان رحمه الله على ما حفظت ممن خرج الى مكة لمنع حرم الله من مسلم عامل يزيد الملقب بمسرف وكان كثيرا ما يبدى النصائح لعبد

الملك بن مروان وفي حفظى انه يصدر في امره عن رأى جابر بن زيد وله مناظرات مع الخوارج وغيرهم .

ومنهم عمران بن حطان الشيبانى تقدم سبب توبته وكان ورعا صالحا شاعرا خطيباً عالما واشعاره كثيرة وتغيب من الحجاج فانتقل في القبائل حتى نزل بروح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان فانتمى له من الازد وكان مسامرا لعبد الملك وكان لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريبا عند عبد الملك الا سأل عنه عمران فيجده عنده ويزيده ما ليس عنده فذكر ذلك لعبد الملك فحدثه ببعض اخباره وانشاده فقال عبد الملك اللغة عدنانية واظن صاحبك عمران بن حطان فتذاكرا ليلة :

يا ضربةً مِنْ تَقي مَا ارَاد بِهَا
إلاَ ليبلغَ منْ ذِى العَرش رضوانا
انى لأَعلمــهُ يومــاً واحسبَــهُ
أوفى البريــة عِنْـدَ الله ميزانــا

ولم يعرفا لمن هما فسأل عنهما عمران فقال لعمران بن حطان فاخبر عبد الملك بذلك صاحبه عمران فجيء به فقال له روح ان امير المؤمنين احب ان يراك فقال عمران اردت ان اسألك ذلك فاستحييتُ فامض فانى بالاثر فاخبر عبد الملك بذلك فقال انك سترجعُ فلا تجده فخرج من عنده وخلف له رقعة فيها ابيات ونزل بزفر بن الحارث الكلابى فانتسب له اوزاعيا وكان يطيل الصلاة وكانت غلمان بنى عامر يضحكون منه فسلم عليه رجل يعرفه عند روح بن زنباع فسأله زفر من يكون فقال من الازد رأيته ضيفا عند ابن زنباع فقال له زفر يا هذا أازديا مرة وأوزاعيا مرة اخرى ان كنت خائفا أمناك وان كنت فقيرا اجزناك فلما امسى خلف

في منزله رقعة فيها ابيات منها :

ان التى اصبحت يعيى بهَا زفر
اعيت عياء على روح بن زنباع

ثم ارتحل حتى نزل عمان فوجدهم يعظمون امر ابى بلال ويظهرونه فنزل فيهم واظهر امره فبلغ ذلك الحجاج فكتب فيه الى عمان فهرب فنزل بقوم من الازد فلم يزل فيهم حتى مات رحمه الله وقال في ذلك :

نَزَلنا بحمدِ الله في خَيرَ مَنْزِل
نسرُّ بِمَا فيه منَ الاَنْسِ وَالفخر
نَزَلنا بقوْم يجمَعُ الله شَمْلهُـمْ
وليس لهُم فعل سوى المجْد يُعْتَصر

في ابيات ومنهم الوليد جد حمزة بن عنبسة وهو رجل من عبد قيس ، قال ابو سفيان كان من خيار المسلمين ومن بقية اصحاب ابى بلال قال وكان عنبسة وحمزة فاضلين وادركت عنبسة شيخا كبيرا قال لما اخذا ابن الازرق في الخروج اخذ له خيلا وسلاحا من نحو اربعة وعشرين الف درهم فلما احدث ابن الازرق ما تبرأ منه المسلمون به ورفضوه ورجعوا عنه سقط في يد الوليد وكان ذو جاه خرج اليه واخبره خبر المال فتبسم وقال صرنا الى غير ماتعرف فقال الوليد لا اجد قضاها فجاءه جمل مال ودفعه الى الشيخ فلما قرب من البصرة وجد به فضلا على ماله وسقط في يده وكره ان يرده فلقيه عمران بن حطان فاخبره الخبر فقال عمران انى اطالبه باربعة الاف فدفع اليه ما فضل من حق القوم .

ومنهم جعفر بن السماك العبدى رحمه الله شيخ الصيانة والنزاهة

المشهور في الورع والعلم والنباهة له الكعب العالى بين الفضلاء والنصيب الاوفى بين الاتقياء ، قال ابو سفيان كان معلم ابى عبيدة وما حفظ عنه اكثر مما حفظ عن جابر قال وفد هو والحباب بن كليب وسالم الهلالى في جماعة الى عمر بن عبد العزيز فدخلوا عليه فكلموه فقال لهم هل تنكرون من امر الاحكام شيئا فكلما كلموه فزع لهم الى الاحكام فعاتبوه وذكروا أمر عثمان فاخذ يعذره ويريد ان ينصرفوا عنه وضرب الحباب على ركبته وقال وانك لهاهنا تعذر الظلمة وتفعل فقال له امسك يدك يا عبد الله وكان جعفر الطفهم به وقال ما فيكم ارفق من الاشج فاجابهم عبد الملك ولد عمر وقبل منهم ما دعوا اليه اباه وكان عبد الملك فاضلا متقيا دخل عليه رجال من بنى امية فقال بعضهم سمعت امير المؤمنين يقول اذا صليت الظهر ناديت في الناس بالصلاة جامعة فيامر كل من له مظلمة عنده او عند احد بنيه او غيرهم من الناس فهى مردودة عليه لئن فعل لهلاك اهل البيت قال له عبد الملك بئس والله بداخل وبئس المحضر حضرته فدخل على ابيه نصف النهار فقال رايت بابا من العدل واردت ان تنام عنه قبل ان تنفذه ولا تدرى ما يحدث عليك في نومك قال بارك الله فيك من ولد ثم توضأ فخرج فنادى الصلاة جامعة فقال من كانت له مظلمة فهى مردودة عليه عند من كانت فمات عبد الملك قبل ابيه فدعا الحباب وجعفر واصحابهما فولوا امر صاحبهم فلما اخذوا في غسله دخل عمر فغشى عليه ووقع فرفع فقال له بعضهم يا امير المؤمنين لو خرجت الى الناس وعزوك وحدثوك فخرج فغسلناه وكفناه وصلى عليه ابوه وكتب الى عماله ان لا يقام عليه مأتم ، وسئل جعفر عن عمر فقال مثل الحسن بن الحسن أبي البصرى .

ومنهم الحباب وسالم الهلالى وتقدم الكلام عليهما .

ومنهم صحار العبدى قال ابو العباس كان ممن يدعو الى الله على بصيرة

ويده في العقائد طويلة ، قال ابو سفيان قال صحار في القدرية كلموهم في العلم فان اقروا به نقضوا وان انكروا كفروا وكان احد شيوخ ابى عبيدة ، قال ابو سفيان اكثر ما حمل ابو عبيدة عن جعفر بن السماك وعن صحار وكان من ائمة المسلمين وقاداتهم .

ومنهم هبيرة جد ابى سفيان محبوب بن الرحيل بن العنبر بن هبيرة وكان فاضلا تقيا ، قال ابو سفيان وكان الحجاج نفى جابرا وهبيرة الى عمان .

ومنهم الاحنف ابن قيس التيمي السعدى يكنى ابا بحر واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ادرك النبى عليه السلام ولم يره ودعا له النبى ﷺ فقال اللهم اغفر للاحنف وهو احد الجلة الحلماء الدهاة الحكماء العقلاء معدود في كبراء التابعين وتوفى سنة سبع وستين ومشى مصعب بن الزبير في جنازته واخباره كثيرة وهو الذى قال لمعاوية على يزيد حين اراد ان يأخذ له البيعة انظر من تشيد اليه عهدك ومن توليه الامر من بعدك واعص رأى من يشير عليك ولا ينظر وله اخبار مع عليٍّ ومع عبيد الله وزياد وغيرهم كثيرة .

ومنهم اياس بن معاوية ، قال ابو العباس به تضرب الامثال في الذكاء وتحرّي الصواب في القضاء ، قال ان والى البصرة جمعه والقاسم بن ربيعة بأمر من عمر ابن عبد العزيز لينظر اصلحهما للقضاء فيقدمه فقال اياس سل عنى وعنه فقيهى المصر الحسن وابن سيرين فقال القاسم لا تسئل احدا واسمع منى قال قل فحلف يمينا مستوفاة جامعة لمعانى الحلف ان اياسا لاصلح للحكم منى فان صدقتنى فقدمه وان كذبتنى فلا يحل لك ان تقلد الحكم بين المسلمين من يبارز الله تعالى بمثل هذا اليمين الكاذبة فقال اياس لا تسمع منه اتيت به الى شفير النار فافتدى منها بيمين يكفرها ويستغفر الله ، قال الوالى اولست فطنت لها وقلَد اياسا الحكم وله مآثر قد عمرت

بها الدفاتر .

ومنهم ابو روح تبرح على وزن المضارع في بعض النسخ بالتاء وبعضها بالياء ومازن ، قال ابو سفيان حدثني يسار وهو من خيار من ادركت عن والدته وهي بنت ثمانين سنة قالت ادركت اخوين من بني راسب يقال لاحدهما تبرح والآخر مازن ابنا كنان وكانا من خيار من مضى من اهل هذه الدعوة وكانا نظيرى ابى بلال واخيه عروة رحمهم الله وكانا في زمانهما فاما تبرح فكان عابدا مصليا لا يفتر من العبادة حتى دبرت ركبتاه ويداه ورجلاه وجبهته كدبر البعير وكان قد اتخذ سربا في الارض يعبد الله فيه .

قال ابو سفيان قال يسار ادركت سربه ذلك وحضرته الوفاة وقعد مازن عند رأسه فافاق فقال اين تراها تذهب يعنى نفسه قال نحو الذى كانت تعبد فلما حضرت الوفاة مازن صاحت بناته فقال يا بناتى لا تبكين عليَّ ان اباكن عن ساعة هو الباكى او الضاحك ، قال قال يسار عن والدته انى كنت في مجلس من مجالس المسلمين يذكرون اذ دخل رجل متقنع بثوبه فجلس وهم لا يعرفونه فلما فرغ المتكلم قام فقال انى اخبركم بمارات عينى وسمعته اذنى او عن خبر من رآى وسمع واقتص الفتن المتقدمة واحدة بعد اخرى ونبه على من انجاه الله تعالى منها ، قالت فما رايت احدا في مجلس من مجالس المسلمين يتكلم قائما قبله ولا بعده فاذا به مازن وهذا كاف في ذكر ائمتنا وقادتنا من هذه الطبقة اعنى التابعين ..

طبقة تابعي التابعين

منهم ابو عبيدة مسلم بن ابى كريمة التميمى كان مولى فيهم كان اعور وشهر بالقفاف توفى في ولاية ابى جعفر بعد وفاة حاجب رضى الله عنهما

تعلم العلوم وعملها ورتب روايات الحديث واحكمها وهو الذى يشار اليه بالاصابع بين اقرانه ويزدحم لاستماع ما يقرع الاسماع من زواجر وعظه وقد اعترف له بحوز قصب السبق في العلوم واعترف مع ذلك بضيق الباع مع ما هو عليه من الاتساع وكان رحمه الله يضعف امر الشفعة ويقول لا تحبس على يتيم ولا غائب فابتلى بها رجل من اصحابه فجاءه يسأله فقال اذهب فاسأل اشياخ البصرة هل لجابر فيها ذكر فاخبر ان جابرا يوجبها فاخذ بقول جابر ، قال ابو سفيان بعث عبد الله بن الحسن الى ابى عبيدة والى جماعة المسلمين حين اراد الخروج فتشاوروا فتكلم برأيه فاتفق رأيهم ان يبعثوا اليه صالح بن كثير وقد قال لهم انى على دينكم وكان من متكلمى المسلمين الا انه احدث اشياء قلاه المسلمون عليها ، فقال ابو عبيدة ان هذا ليس برأى اترون رجلا يخاف على نفسه ويطلب الملك الا يعطيكم كل ما سألتموه وإذا طاوعكم على ما تدعونه اليه قال انا مقر بدعوتكم ولكن الناس الى اسرع وانا احق فما عسى تقول له يا صالح وقد صدق فان اراد الدين كما يزعم فليلحق بصاحبنا بحضرموت عبد الله بن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت ففرق جماعتهم وافسد رأيهم ، قال ابو سفيان قيل لابى عبيدة ما يمنعك من الخروج ولو خرجت ما تخلف عنك احد قال ما احب ذلك ولو انى فعلت ما احببت ولا احب ان اقيم ما بين الظهر والعصر مخافة الاحكام ، قال ابو سفيان كان ابو عبيدة يتخذ جوارب يصلى فيها يتقى بذلك ان يصيب مذاكيره مواضع الوضوء من رجليه فبلغ ذلك حيان الاعرج فقال لقد اشقانا الله في ديننا ان كان الامر

كما يقول ابو عبيدة ، قال ابو سفيان عن من حدثه ان ابا عبيدة قدم مكة ومعه امرأة من المهلبيات وهي جدة سعيدة او عمتها فلما فرغا من حجهما قالت له اريد المقام بمكة قال لها الخروج افضل ، قال الراوى فقلت وانا اخرج معكم قال انت فاقم فقلت تامر هذه بالخروج وتامرنى بالاقامة قال لانك قريب من مكة ونحن بعيد منها انتم قريب من خيرها يعنى الطواف وبعيد عن شر اهلها كانه يكره المقام فيها للتجارة ، قال ابو سفيان شهد رجلان على شهادة ابى عبيدة عند قاضى البصرة قال المشهود عليه اصلحك الله انما شهدا على شهادة فلان قال ويحك أنا به عارف ولو جاز لى ان احكم بشهادة رجل واحد لحكمت بشهادته ، قال ابو سفيان اتى حمزة الكوفى ابا عبيدة ليذاكره في امر القدر فخرجنا الى منزل حاجب فتناظرا كثيرا وآخر ما سمع من ابى عبيدة يا حمزة على هذا فارقت غيلان فخرج فكلمه حاجب وكان هيبته من حاجب اعظم من هيبته من ابى عبيدة فقال حمزة انما اخذت هذا القول عن المسلمين فقال له حاجب لم تدرك احدا إلا وقد ادركته إلا جابر فعن من اخذته ، فقال عنك فقال حاجب انى أرجع عنه فارجع عنه كما رجعت عنه ، فقال ارفق بى واقبل ما اقول ﴿ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك﴾ (١) فالحسنة من الله والسيئة من العباد واقول ﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ (٢) فقال له اما هذه الكلمة فمقبولة من غيرك وامّا منك فانا اعرف مذهبك فيها اولا فخرج فسئل عنه حاجب فقال ارفقوا بحمزه ثم بلغهم بعد مدة انه مشى الى النساء والضعفاء فكلمهم ، قال فامر ابو عبيدة حاجبا فجمع له الناس قال فتكلم المتكلمون ثم تكلم حاجب فحمد الله واثنى عليه وقال ان حمزة وعطية احدثا علينا احداثا فمن آواهم او انزلهم

---

(١) سورة النساء ٧٩

(٢) سورة البقرة ٢٨٦

او جالسهم فهو عندنا الخائن المتهم فتفرق الناس وطردا من المجلس ، قال ابو سفيان وهجره ابو عبيدة وامر بهجرانه لقوله بشيء من القدر فقال يا عجباً لابى عبيدة قد امر بهجرانى وهؤلاء الفتيان يقولون اراد وشاء واحب ورضى عنهم وهو يدنيهم ولا يقول بمثل قولهم ، فقال ابو عبيده هؤلاء ارادوا اثبات القدر فغلوا فيه وحمزه يريد ازالته وليس مثبته كمزيله ، وقيل لابى عبيدة هل يستطيع الكافر الايمان فقال من يستطيع ان يأتى بحزمة حطب من حل الى حرم يستطيع ان يصلي ركعتين ولا اقول يستطيع ذلك

الا بتوفيق من الله ، وساله جماعة من الفتيان على من كان على دين عيسى ولم يبلغه امر النبى عليه السلام فدّعا رجلا من المجوس فاجابه فانظر فيها قال فما تقولون قال الداعى مسلم والمجيب كافر ، قال فهل يدعو الى طاعة الله ودينه قالوا نعم ، قال وكيف يكون الداعى الى طاعة الله مسلما والمجيب كافرا فرادوه الجواب فبرىء منهم فخرجرا من عنده منكسرين فاتوا حاجبا فقالوا اغثنا قد عجل علينا بالبراءة انما اردنا ان نستفهمه فاخبره بتوبتهم فقال فلياتوا الربيع وعبد السلام بن عبد القدوس فليخبراهما بتوبتهم فقال ففعلوا وامر بهم وادخلوا المجالس ، قال ابو سفيان اجتمع ابن ابى الشيخ البصرى وابو عبيدة بمنى فقال لابى عبيدة هل اجبر الله احداً على طاعة او معصية فقال لا ولو قلت ذلك لكان تخويفه لهم وترهيبه اياهم فقال فالعلم هو الذى قاد العباد الى ما عملوا قال لا ولكن سولت لهم انفسهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فكان منهم ما علم الله ، قال ابو سفيان اشترى رجلا غلاما فبرىء اليه البائع من الرمد وبرىء من الرمد وخلف في عينيه بياضا فسألا نخاسا بأمر ابى عبيدة فقال ان برىء اليه من الرمد وماجرّ فلا شيء عليه والا فعليه ماجر الرمد او يرد غلامه فاستحسنه ابو عبيدة واخذ عنه خلق كثير وعنه حملت العلم الى المغرب والى المشرق حملة العلم .

ومن اهل طبقته ضمام بن السائب من اهل العلم والتحقيق والكاشف امر المعضلات عنه حصر ذوى الضيق اخذ عن جابر وغيره وكان ما اخذ عن جابر اكثر مما اخذ عنه ابو عبيدة ، قال ابو سفيان اشتكى ضمام شكاية فعاده الربيع فوجد عنده رجلا من المسلمين يسمى عمران وهو يقول يا ابا عبد الله ان فى نفسى لشيئا وانى لاضيق منه ان يكون الله امر العباد بامر ثم يحول بينهم وبينه .

قال الربيع فقلت له اتوفيق الله وتسديده وفضله ومنّه على ابى بكر وعمر كتوفيقه وتسديده وفضله ومنّه واحسانه على ابى جهل ، قال لا والله ، قال ضمام اشدد يدك عليه يا ربيع أى قم بالحجة .

قال ابو سفيان لما سجن الحجاج ابا عبيدة وضماماً منع ان يوصل اليهما شىء وكانا يقصان شاربهما باسنانهما وكان احدهما لينفض لحيته فيتساقط منها القملُ وكان يطعم اهل السجن خبز الشعير وملح الجريش ويعمد الى مراكن عظامٍ فيسكب فيها الماء ويطرح فيها الملح ثم يضربوه حتى تخرج رغوته فمن شرب اولا كان امثل قليلا ومن شرب آخرا كان العذاب وربما ضاق ضمام فيقول ابو عبيدة على من تضيق ولم يخرجوا من سجنه حتى مات الفاسق الى النار ، وعمد الى ثلاثة من رؤساء الخوارج فبنى عليهما بنيانا من قصب وطلاه بالعَذرة داخلا وخارجا فلما ابقوا فيه ثلاثا ماتوا ووقع الموت في اهل السجن ، فقال لطبيب مجوسى اردت ان اعذبهم ، قال له اجعل طعامهم الزيت والكراث قال ضمام فلما اكلنا الزيت والكراث سمنا وقيل للمجوسى لو تركتهم فماتوا قال لعله يموت فيخرجون ومن مات فلا مطمع فيه (١) ، قال ابو سفيان كان رجل من اهل خراسان بمنزلة عظيمة من ابى عبيدة وضمام والمشايخ وله قدر في

(١) ان المرء عندما يقف على هذه القصة المؤلمة تندهش نفسه ويرتجف قلبه امام تلك القسوة والجفاوة والوحشية التى استحكمت على نفوس اولئك الطغاة المتجبرين تجاه المؤمنين المستضعفين الذين يعبر لسان حالهم بقول الله تعالى ﴿هل تنقمون منا إلا ان آمنا بالله﴾ بينما تنبعث الانسانية والرحمة من قلب مجوسي لا يدين بالاسلام مع ان الانسانية والرحمة من خصائص الاسلام وروح تشريعاته .

اهل بلده اتى يوماً ضماما فذكر رجلا من المسلمين فنقصه فقال له ضمام مَهْ لا تفعل فعاد فانتهره فقال تبرأ الله منه فقال ضمام تبرأ الله منك فقال اتبرأ منى يا ضمام قال انت احللت بى ما ترى والجأتنى اليه اترى انك تبرأ من رجل أتولاه واتولاك بئس ما ظننت قال فاستغفر الله واتوب اليه قال فغفر الله لك .

وأتت امرأة ابى طارق ضماماً تسأله عن امر زوجها وقد قال لها اخري عني انغالك يعنى اولادها فضمت ثيابها فاستغفر الله فقال ضمام دعينى حتى القى جابرا فأتى هو وابو حمزة جابرا فقال لا بأس عليهما فليسترا ما ستر الله عليهما .

قال ابو سفيان قال ابو الحر لابى عبيدة اقم للناس خمسة ايام بعد الموسم فابى فقيل له عليك بضمام فقال اوعنده من العلم ما يكتفى به الناس ، قالوا وفوق ذلك فأتاه فاقام للناس وكثر عليه السؤال وكان جوابه سألت جابرا وسئل جابر وسمعت جابرا وقال جابر وكان راوية جابر ، قال ابو سفيان وقد سئل عن الجهر في الدعاء فقال بلغنى عن ضمام وكان راوية جابر يقول ما بال احدكم يصر ديناره ودرهمه ويبدى دينه على كفيه ولعله يلقاه من يسلبه اياه فاذا لم يكن شاريا ولا باذلا لنفسه فان الستر والمدارات والرفق بالناس اعجب الينا فاذا اشترى نفسه فليس بشيء من الاعمال اعظم عند الله شرفا من الشرى .

ومنهم ابو نوح صالح الدهان وكان شديد الورع غزير العلم ممن ادرك اهل العلم واخذ منهم اخذ عن جابر وغيره رحمهم الله ، قال ابو سفيان دخل ابو نوح على عاتكة بنت المهلب وكانت من المسلمات فقال كأنى أرى مجلس رجل قالت الآن خرج من عندى الاحول تعنى جابرا ، قال فهل ظفرت منه بشيء قالت سألته عن لباس الخفين قال ان كنت تلبسينهما

من حر الارض وبردها وخشونتها فلا بأس فلا تبالين وان انكشفا وان لبستهما لغير ذلك فلا تبديهما ، وعن حلى لبنات اخى يستعار منى فيقوم بمال فقال ان اعرته فاضمنى فانت ضامنة ، وعن عبد كان من انفس مالى عندى واوثقه فاعتقته ثم استخلفته على ضيعتى قال لا اخرجيه من ذلك ولا تدخليه في شيء من منافعك ، قال الشيخ ابو العباس احمد بن سعيد رحمه الله هذه بمناقب جابر اولى بها وانما اثبتناها هاهنا لتعلم حرص ابى نوح على التقاط الفوائد من كل من يثق به .

قال ابو سفيان قال ابو نوح صالح الدهان ادركت الناس ثلاثة اصناف صنفا يزينون امر عثمان ولا يفرطون في الارجاء وصنفا يزينون امر علىّ ولا يفرطون في التشيع والمسلمون بعد على هداهم وما رزقهم الله من العون والتوفيق واصابة الحق ، قال المليح دخلت انا وعبد الملك الطويل على ابى عبيدة فسألناه عن رجل ادخل يده تحت امرأة فانكرت انكارا تاما ونهضت أله ان يتزوجها ، فقال ابو عبيدة انها الفروج يا ابا نوح قال صدقت ولكن افتى بها جابر فقال انها الفروج فقال نعم ثم قال ابو نوح الم انهاكم يا معشر الفتيان ان تسألونى إذا كان ابو عبيدة حاضرا .

ومنهم حيان الاعرج وكان من العلماء الراسخين واهل التقوى والدين من كبراء من صحب جابراواخذ عنه ، قال ابو سفيان ممن حمل عن جابر وكان اكبر سنا من ابى عبيدة وكان ابو عبيدة يتخذ جوارب ليصلى فيها يتقى بذلك ان يصيب مذاكيره مواضع الوضوء من رجليه فبلغ ذلك حيان الاعرج فقال لقد اشقانا الله في ديننا ان كان الامر كما يقول ابو عبيدة وكان ابو نوح يقول لا ينقض الوضوء الا من مس البول منه وَاما القضيب فليس فيه وضوء الا من مس الثقبة التى يخرج منها البول ، وقال ابو عبيدة القضيب كله ينقض ، قال ابو سفيان واما الدبر والانثيان وموضع الشعر فلا ينقض مسهن عندهم ، قال ابو نوح حدثنى حيان الاعرج عن جابر انه قال للرجل ان يتزوج المرأة إذا ادخل يده تحت ثيابها فانكرت .

ومنهم ابو حمزة الاشعث بحر العلم الزاخر والجامع بين العمل والورع الفاخر ، قال ابو سفيان كان من كبار اصحاب جابر وممن جاء عنه الفقه قال سألت امرأة ضماما عن امرأة قال لها زوجها اخري عني انغالك فراح هو وابو حمزة الاشعث الى جابر فقص عليه القصة فقال لا بأس عليهما .

قال ابو سفيان تكلم نساء من المسلمين بعد جابر في تحريم الذى يجمعه الجبابرة من المال وافشين ذلك ووافقهن ابو الوزير وهممن ان يرفعن ذلك الى ضمام وابى عبيدة فلقين ابا حمزة الاشعث فكلمنه في ذلك فقال ومن يوافقكن على ما تقلن قلن ابو الوزير ، قال اوبلغ من ضعف ابى الوزير ما أرى ثم نهاهن وعظم ذلك عليهن وقال إذا زعمتن ذلك فانكن تقدمن على جابر وابى بلال واصحابه فانهم ماتوا وهم ياخذون عطاهم فبلغ ذلك ضماما فاشتد في ذلك وعظم عليه قولهن فرجعن واستغفرن الله .

ومنهم حاجب ابو مودود الطائي رحمه الله ، قال ابو العباس كان بالاجتهاد موصوفا وبالزهد والورع معروفا ، قال ابو سفيان قال المليح بلغنا ذات ليلة ان في منزل حاجب مجلسا قال ابو سفيان وكان المشايخ لا يدعوننا ان نحضر معهم المجالس بالليل فقلت لرجل من اهل عمان انطلق بنا الى منزل حاجب فلعلهم يأذنون لنا فجئنا المنزل فاذن لنا فوجدنا المختار بن عوف ورجلين او ثلاثة من المشايخ فقال لنا حاجب اخبرا بلج بن عقبة واخبراه بمكاننا فاخبرناه فاتى فلما صلينا العتمة اخذوا في الكلام فيقوم احدهم فيتكلم ما شاء الله ثم يجلس فيقوم الآخر فكذلك حتى اضاء لنا الصبح .

قال المليح ما رأيت متكلما يتكلم قائما في مجلس قبله ولا بعده فجاء شعيب بن عمرو وكانت اخته تحت حاجب فرده وابى على ادخاله وكان يومئذ من افضل الفتيان وكان بين منزله ومنزل حاجب نحو ثلاثة اميال ، قال ابو سفيان احتبس حاجب ولم يخرج الى الحج حتى بقى للموسم ثمانية

ايام قال واراد الخروج هو وجماعة معه ووافق خروجهم يوم الجمعة فقال لاصحابه ان فى نفسى من يوم الجمعة لشيئا فقالوا سبحان الله انما بقى ما تعلم فقال اخرجوا وانا الحقكم فخرج القوم وتخلف حاجب حتى صلى الجمعة فركب فلحقهم على مسيرة ليلتين من البصرة ، قال ابو سفيان وقع غلام كان لحاجب عند ابى جعفر فسأله لمن كان فقال لحاجب وكان عالما به وبابى عبيدة فدخل عليه يوما فرآه حزينا فسأله فقال مولاى الذى كنتُ له مات يعنى حاجبا فرجّع ابو جعفر فقال رحم الله حاجبا ثم دخل عليه بعد ذلك فرآه حزينا فقال مالى اراك حزينا فقال مات صديق لمولاى يقال له ابو عبيدة الاعور قال وانه قد مات قال نعم فرجّع وقال ذهبت الاباضية .

قال ابو سفيان خرج ابو عبيدة وحاجب من البصرة يريدان مكة فاصبحا بالابطح فاذا جماعة تصلى الصبح فدخلا معهما الصلاة فقنت الامام في الركعة الثانية فلما انصرفا الى خبائهما فقد ابو عبيدة حاجبا فسأل عنه فقالوا خرج فقال لعل اللحيانى يريد ان يعيد الصلاة وكان حاجب كبير اللحية وليس علينا اعادة الصلاة لانا لم نتعهدهم وهم يريدون أن يقنتوا ، قال ابو سفيان ولا ينبغى لمن علم ان الامام يقنت ان يصلى معه .

قال ابو سفيان عن وائل ان حاجبا قدم مكة عام وقع بين اهل حضرموت ما وقع في امر عبد الله بن سعيد حين جعلوه في الحديد وبايعوا حسنا وخالفت طائفة يكرهون ما فعل به فبعث هؤلاء رجالا وهؤلاء رجالا فدخلوا على حاجب وهو ارمد فقال لقد خرجتُ من اجلكم فما ابصر من البصرة سهلا ولا جبلا ومما ارجو من قضاء نسكى يا اهل حضرموت انكم قد غلبتمونا قال وائل يرحمك الله لا نخرج من رأيك فقال له اسكت والله ما اريدك ولا صاحبك فقال الذين انكروا على عبد الله

ما احق بالامر الدافع ام الشارى قال بل الشارى فقال اصحاب ابن سعيد اما إذا شروا فليخرجوا عنا فانا لا طاقة لنا بالحرب فقال صدقوا اخرجوا عنهم فقالوا يؤجلوننا شهرا فقال لا والله ولا ثلاثة ايام إلا برضاهم ، قال ابو سفيان وكان حاجب هو القائم بمثل هذه الامور للمسلمين في مثل هذه الاشياء من امر الحرب وجمع المال والمعونة والخصومة وابو عبيدة اليه يسند امر الدين والمسائل وكان حاجب لم يبصر الاسلام الا بعد جابر .

ومنهم ابو سفيان قنبر كان شيخا تقيا وفي الناس مرضيا قال ابو جميل ما رأيت احدا ممن مضى يذكر الجنة والنار ويصف من امرهما مثل ما كان يصف ويذكر قنبر وكان يصف صفة من رآى وعاين وشاهد وكانو يقولون ما راينا متكلما يتكلم بالقرآن مثل ابى سفيان وكانت امرأة من المسلمين من بنى كلاب يقال لها ام يحيى وكانت تحت يوسف ابن عمرو ثم تزوجها جعفر بن سليمان بن على الهاشمى وكانت عظيمة الشأن فبلغها ان مجلسا فيه قنبر فاقبلت فدخلت البيت التى تكون فيه النساء فاشتم رائحة انكرها فحول وجهَهُ نحو النساء ثم قال تأتى احداكن الى مجلس الذكر والقرآن والتخويف بهذا فمن اراد منكن التطيب والزينة والفخر والحلى ففى غير مجالس المسلمين فتصاغرت اليها نفسها ولم تسفر عن وجهها فلما سكت المتكلمون خرجت نصف النهار ولم تكن تخرج حتى تبرد ثم تتروح .

قال ابو سفيان بلغنا ان الرجل يرى عليه اثر الخشوع فيقال ان هذا الرجل قريب العهد بمجلس ابى سفيان قال ابو سفيان كان ابو سفيان قنبر شيخا كبيرا اخذ وجلد اربعمائة سوط على ان يدل على احد من المسلمين فلم يفعل .

قال جابر بن زيد وكنت قريبا منه وما كنت انتظر الا ان يقول هذا هو فعصمه الله وكان من خيار المسلمين وكان يجتمع المسلمون عنده فياخذ في الذكر والدعاء والرغبة في الخير ويحض عليه والزهادة في الدنيا .

ومنهم خيار وكان من العلماء الراسخين والفقهاء العارفين ، قال ابو سفيان كان رجل من المسلمين يقال له خيار بن سالم من طيء من اهل عمان وكان فاضلا وكان يقول لابى عبيدة اذا جاوزت نهر البصرة فانا افقه منك ولو كنت شريفا ما اجابك احد انت تشدد على الناس فيضحك ابو عبيدة من قوله فمات رحمه الله فقيل له اوصى فقال بماذا اوصى ما على درهم ولا لى على احد درهم فكانوا يقولون يا لها موتة كموتة خيار .

ومنهم ابو عبيدة عبد الله بن القاسم كان ممن حاز السبق في حلقة الرهان علما وعملا وغاص في بحور الزهد والتقوى شابا وكهلا ، قال ابو سفيان ربما سئل عبد الله بن القاسم فيقول عليكم بوائل فانه اقرب عهدا بالربيع ، قال ابو العباس عن ابى سفيان اقام ابو عبيدة عبد الله بن القاسم بمكة وليست له امرأة فقال له اصحابه لو تزوجت قال ما اريد ذلك فمازالوا به حتى اجاب وهناك امرأة من المسلمين موسرة وقالوا لا تكلفك مؤنة فقال اذا ابيتم الا ذلك فابلغوا بمهرها مهر مثلها ولا تنقصوها شيئا ففعلوا فلما تزوجا ودخل بها طابت له نفسا عن الصداق وكان يأتى منزل الفضل بن جندب ومعه قرصان من خبز وملح وكان الفضل يطيب الطعام ويكثره ويقول يا ابا عبيدة تفعل لى مثل هذا فيقول دعنى منك وإلاّ لم ادخل لك منزلا فتركه وكان خرج الى الصين تاجرا فاشترى قوم عودا فسالهم ان يشركوه ففعلوا فاقبلوا يعيبون العود عند صاحبه حتى استنقصوه مما كانوا اشتروا به فظن انهم صادقون ونقد معهم عشرين دينارا فلما خرجوا اقبلوا يمدحون فقال سبحان الله تعيبون عودا بلا عيب ردوا علىّ رأس مالي فاستغنموا منه ذلك وردوا عليه ماله وكان بمكة حين مات ابو جعفر فاخذت على الناس ابواب المسجد للبيعة وكان ابو عبيدة والفضل بن جندب ووائل وعلىّ الحضرمى فلطف الله بهم فنجوا فقيل لابى عبيدة لو اخذت ما انت صانع ، قال تذهب والله نفسى قبل ان اعطيهم هذه البيعة .

ومنهم ابو يزيد الخوارزمي رحمه الله وكان من السادات الاخيار والمشار اليهم في العلم والاخبار قيل سئل عن رجل لقي عالما فقال له العالم ان الامر الذى انت عليه او انت فيه حرام فقال له الرجل هل تعلم عالما اعلم منك فقال نعم قال الرجل ساترك هذا الحرام ولكن لا اخذ منك ذلك حتى اسال من هو اعلم منك فلم يسال الرجل حتى مات فقال ابو يزيد مات هذا مسلما اذ مات في طلب السؤال تائبا .

ومنهم العنبر جد ابى سفيان وكان ممن اخذ عن جابر ، قال ابو سفيان دخل العنبر على جابر في ليلة صافية مظلمة وعنده زوجه آمنة فاخذت عليها ملآءتها فجذبها جابر وقال ان الله جعل الليل لباسا قال يقول المقنعة والخمار بالليل تجزئ عن الرداء ، قال ابو سفيان اتى العنبر والرحيل ابا الشعثاء فسألاه عن ام الرحيل وقد كبرت ولا تطيق الصوم فامرها ان يصوما عنها فصام عنها الرحيل فاتياه من قابل فقال اطعما عنها فاطعم العنبر .

قال ابو سفيان ارسلت عاتكة بنت المهلب بجزور الى جابر فامر العنبر ان ينحرها ويجزئها بين الجيران واطاب جزء جابر واكثره فنهاه عن عدم التسوية .

ومنهم عمارة بن حيان وكان فاضلا خيرا يتيما في حجر جابر وهو الذى يصاحبه في اسفاره وقد تقدم وفده معه الى يزيد بن مسلم ، قال ابو سفيان استاذن عمارة بن حيان على جابر فقال ارجع فلما ذهب قال ردوه قال اراك وجدت في نفسك اما انه ازكى لك اذ رجعت قال ابو سفيان توفى عندنا في الحى عمارة ابن حيان اليتيم الذى كان في حجر جابر وكان من خيار المسلمين ولم يترك وارثا الا بنتيه فقال مالي لابنتى بميراثهن وما بقى فهو عليهن رد الا ان يرى غير ذلك المسلمون قال فسالنا الربيع وقال وكان الشيخ عالما صادقا .

ومنهم ابو سالم وابنه ابو سنان وابن ابنه سلمة وكانوا من خيار المسلمين زهدا ويسارا وتقا وجودة ، قال ابو سفيان وكان المسلمون من اكثر الناس حجا وكان لغير واحد نجائب يحملون عليها الى مكة وكان جد سلمة يدعى بابى سالم من خيار المسلمين وكان ابو سنان له نجائب عدة قال سلمة لابى نجائب يحمل عليها مشايخ المسلمين ممن لا سعة له الى مكة شبه المختار بن عوف وغيره وكان ابو سالم من الفضلاء الاخيار وذوى السعة وكان ممن سجن مع ابى عبيدة وضمام .

فال وقر منا اللحم فقلنا لرجل كان ممن يدخل علينا اشو لنا دجاجة وآتينا معها باربعة ارغفة وصانع عليها صاحب السجن فلما اوصلها واقتسمناها فإذا بجلبة نحو البيت الذى نحن فيه فخفنا ان يكون فطن بنا فرمينا بالجميع فى الكنيف فاذا لم يفطن بنا فكان طرحنا لها اشد علينا مما مر للمعاينة .

ومنهم ابو فقاس وكان حقه ان يذكر قبلهم وكان من رفقاء جابر واسمه الاسود بن قيس وكانا يحجان معا فيلقيان ابن عباس رضى الله عنهم فلاقاه جابر مرة ولم يكن معه ابو فقاس فقال ابن عباس اين صاحبك قال اخذه ابن زياد قال ابن عباس لجابر وانه لمتهم قال نعم اوما انت متهم قال اللهم بلى عن حصين بن نوفل عن ابن عباس قال اصاب اهل النهر السبيل اصاب ابو بلال السبيل .

ومنهم ابو محمد النهدى وكان مرضيا ممن ابصر الاسلام بنظره وكثرة عمله ، قال ابو سفيان خرج غازيا فخرج الى افعال الناس من الغلول والجور فانكره وقال ليس هذا من فعل اولياء الله واهل الايمان ونظر الى صلاتهم وقيامهم بتوحيد الله فقال ما هذا بفعل المشركين فلما رجع الى البصرة وكان له مجلسٌ يذكر ويحدث فيه ويقص ويقول اهل الاحداث ليسوا بمشركين ولا مؤمنين بل كفار فبلغ ذلك المسلمين فحدثوه ووصفوا له ما هم عليه فقبل وقال هذا هو الحق ومازلت على هذا منذ دهر ولم

اجد من يوافقنى عليه وما كنت ارى أن أحد يقول بهذا القول فقالوا بلى والله ان لك اخواناً على هذا واعوانا وكان من افاضل المسلمين بعد وكان يظهر هذا الامر ويبوح به وكان يدعو في مسجده على خالد بن عبد الله وهشام بن عبد الله وكان على البصرة بلال بن بردة بن ابى موسى الاشعرى وكان طريقه على مسجد ابى محمد فارسل اليه بالكفِّ عن ذكرهما فلم يفعل فقال اذا رأيتنى مقبلاً فكف حتى امضى عنك فلم يكن يلتفتُ الى ما قاله له .

قال ابو سفيان قال ابو محمد لا تذكر الحسن في شيء من القدر فانى عاتبته فيه فقال معاذ الله أن أقول ذلك إنما افسد على قلبى واصل بن عطا ايّاماً كنتُ عنده مُستخفيا وَامَّا أن أقُولَ بالقدر فمعاذ الله وقال هو ابعد الناس من القدر .

ومنهم محمد بن حبيب ومحمد بن سلمة المدنيان وكانا من خيار المسلمين علما وعبادة ، قال ابو سفيان عن وائل قال ما رأينا أبا عبيدة قام الى احدٍ من مجلسه يسلم عليه إلاَّ محمد بن سلمة ومحمد بن حبيب قال وكان محمد بن حبيب من عِّباد المسلمين وخيارهم وكان ابو عبيدة يعظمهما وإذا رآهما قام اليهما فأعتنقهما ، قال قال وائل في خباء ابى عبيدة وكان حاجب حاضراً ومحمد بن حبيب ومحمد بن سلمة المدنيان ومشايخ من اهل حضرموت فقهاء علماء فسألتهم عن رجل اكترى دابةً الى موضع معلوم فجاوز الموضع فتلفت الدابة فاجتمعوا كلِّهم على انه ضامن للدابة ولا رأوا عليه كراء حين ضمنوه القيمة وابو عبيدة غائب او نائم فحضر فقال حاجب سل الشيخ عن مسألتك يا حضرميِّ فسأله فلزمه الكراء والقيمة فقال له محمد بن سلمة من اين يضمن الكراء قال من حيث لا تعلم .

ومنهم سلمة بن سعد رحمه الله وهو الذى وصل الى المغرب يدعو

الناس الى هذا المذهب وهو يتمنى ظهوره يوما واحدا ويموت في آخره وهو الذى دل حملة العلم او بعضهم على موضع ابى عبيدة بالبصرة .

ومنهم ابو يحيى عبد الله بن يحيى طالب الحق وابو حمزة المختار بن عوف وَبلج بن عقبة وابو الحر على بن الحصين ويحيى بن حرب وابرهة وغيرهم من اصحاب طالب الحق كانوا اشداء على الاعداء صبراء عند اللقاء اذلة على الاتقياء وفيما بينهم رحماء ارغموا الجور واورثوا اهله ذلا وصغاراً واقاموا منار الحق وعظموا آله كبارا وصغارا ، اما ابو يحيى عبد الله بن يحيى بن عمر بن الاسود بن عبد الله بن الحارث بن معاوية بن الحارث الكندى فكان قاضيا لابراهيم بن جبلة عامل القويسم على حضرموت وهو عامل مروان على اليمن فاظهرا باليمن وحضرموت جورا كبيرا ففزعت الناس الى عبد الله بن يحيى فكاتب ابا عبيدة فقال ان استطعت فلا تبقى يوما واحدا وارسل اليه بابى حمزة المختار بن عوف بن سليمان ابن مالك بن فهر الازدى (١) احد بنى سليمه وارسل اليه انا بعثنا لك برجل انجيله في صدره وارسل اليه ببلج بن عقبة الازدى وكتب اليه انا بعثنا لك اثنى عشر رجلا والفا يعنى بالالف بلج بن عقبة الازدى احد بنى مسعود (٢) فلاقى جموع الفجرة والجورة فهزمها الله على يديه وهو لا يتبع مدبرا ولا يجيز على جريح حتى بلغ الى جند القويسم وهو في ثلاثين الفا وابو يحيى في الف وستمائة وعلى ميمنته يحيى بن حرب والمهاجرون وعمارة وعلى ميسرته بلج بن عقبة وابرهة بن على وعبد الله في القلب ومعه ابن عيسى فامرهم أن لا يجيزوا على جريح ولا يتبعوا مدبرا فهزم الله القويسم ودخل صنعاء ثم خرج منها وَفَرّ وخرج من جميع اليمن وخلص لعبد الله وقسم ما وجد من مال على فقراء صنعاء قصد اليه ابن خيران وعبد الله

---

(١) جاء في كتاب الانساب للعوتبي الصحاري ابو حمزة المختار بن عوف بن عبد الله بن يحيى بن مازن بن مخاشن بن سعد بن صامت بن مخاشن بن سليمه بن مالك بن فهم الازدي .

(٢) المشهور ان بلج بن عقبه من فراهيد بنى مالك ، فهو فراهيدي .

ابن مسعود وغيرهما من المسلمين فاتوا به من الخزانة الى المسجد فقسمه عبد الله على فقراء صنعاء ولم ياخذ منه شيئا ولم يستحل منه لاصحابه متاعا فلما حضر الموسم وجه ابا حمزة وبلجا وابرهة الى مكة فلما قدموها خاف الناس فساد حجهم فمشَتْ بينهم السفراء فتواعدوا الى ان يقضى الناس نسكهم فوقف ابو حمزة على حدة وكان بلج يأتى الجمار بالخيل والسلاح خشية الغدر فلما كان يوم النفر خرج عبد الواحد من جوف الليل الى المدينة واقام أبو حمزة بمكة اربعين يوماً فلما التأم اليه اصحابه ودخلوا

مكة يحكمون قال ابو الحر على بن الحصين هذا صوت غريب في ارض الحرم وخطب بمكة خطبا واقام بها ما شاء الله ان يقيم وهو يكاتب أبا يحيى وكان ابو الحرْ على بن الحصين العنبرى من علماء المسلمين وفقهائهم اقام بمكة .

عن عيسى بن ابى عمرو قال ابو سفيان ادركته شيخا كبيرا بعث مروان بن محمد الى ابى الحر إذ كان بمكة وشدَّ في الحديد مع رجل من الرافضة اسمه اصفر ثم ساروا بهما فخرج عيسى في اربعة عشر رجلاً من المسلمين فخلصوه منهم بعدما جاوزوا المدينة بمراحل ثم رجعوا حتى دخلوا مكة مستخفين فخرجوا الى مِنَى والى عرفات وكانوا ينتظرون قدوم ابى حمزة فعند الرواح فاجأهم ابو حمزة في نواصى الخيل قد طلعت فلما رآهم ابو الحر قال احرموا فاغتسلنا واحرمنا ودخلنا في عسكر ابى حمزة فارسل عبد الواحد الى ابى حمزة الخطباء فأفحمهم فتهادنوا ثم قفنا وافضنا الى جمعٍ ثم الى منى فنزلنا في مؤخَّر منى وكانت هلبية المهلبية إذ ذاك حضرت الموسم وكانت من خيار المسلمات وفاضلاتهن وهى ام سعيدة فعاجلت لهم طعاما فحمله ابو واقد اليهم وابنه وكانا فاضلين فاخذهما الحرس فارسل اليهم ابو حمزة ان النقض وقع من قبلكم اما اوفوا بعهدكم واما ناقضكم فارسلهما

وتمَّ العهد فخرج عبد الله (١) لما قضوا المناسك ، قال ابو سفيان وكان بلج بن عقبة يأتى لرمي الجمار في الخيل والسلاح فقال ابو حمزة رحمك الله لو رميته متنكرا فقال له لا آمن غدرهم بنا ونقض عهدهم وخرج ابو حمزة يريد الشام فتعرض له اهل المدينة بقديد وقد اجتمع اليه نحو اربعمائة من نواحي مكة مع من اقبل معه من اهل اليمن فقال ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله فالى ما تدعوننا انتم قالوا ندعوكم الى طاعة مروان فاقتتلوا فقتل منهم ابو حمزة نحوا من اربعة آلاف واصيب مع ابى حمزة يوم مكة ابو عمرو وابنه كانا من افاضل المسلمين ، ومن مناقب ابى الحِّران اهدى اليه رجل من اهل البصرة بساطا فيه تصاوير فباعه فقال له وائل ان كان مما يوطى ويمهد فلا باس فلم يلتفت الى كلامه .

عن عيسى بن علقمة قال كان ابو الحر موسراً وتاتيه غلته من البصرة الى مكة نقرة واحدة ذهبا فيقسمها نصفين فيفرق نصفها في فقراء المسلمين وربعا في نفقته وربعا يحبسه ليهيئه لمن يمر به من المسلمين وفى معاونتهم ، ولزمه شابٌ من المسلمين وكان صاحب امره والذى يولى حوائجه فاتته غلته مرةً واعطى فقراء المسلمين النصف فاحتاج الى ثمنه اى النصف الثانى فدعا الشاب فامره ببيعها فابطأ عنه فقال له ما حبسك فقال ان القطعة ضاعت فقال ابو الحر في الله خلف من كل هالك ولم يسأله عن شيء فخرج يوما الى المسجد فاذا القطعة موضوعة بين يدى صائغ فعرفها فقال من اين اتتك قال ناس من بنى مخزوم دفعوها الَّى اصوغها لهم حُلياً فجاز عليه مرةً اخرى قال له انى سألت القوم فقالوا ان الشاب الذى يخدمك باعها منهم فاستثبت ابو الحر الخبر من المخزوميين وكان لابى الحر مجلس يجلس فيه للذكر يوم الاثنين ويوم الخميس فامر الشاب ان يدعو جماعة

---

(١) لعله عبد الواحد .

من مشايخ المسلمين ان يحضروا مجلسه ففعل قال لهم ابو الحر لا يكون اكثر كلامكم الا في تعظيم الامانة فان بعض اصحابكم قد ابتلى ففعلوا فلما بلغ الامر الى ابى الحر عظم من ذلك ما شاء الله والفتى جالس قد غمره العرق فخرج الناس ولم يبق في البيت الا ابو الحر قال الفتى قد والله هلكت قد خنتك في القطعة قال ابو الحر الله اكبر ذلك الذى اردت هى لله ولك ولا حاجة لى فيها واستغفر الله وكان مع ابى الحر في احسن حالاته .

قال ابو محمد عن عيسى بن علقمة ان شابا يلازم مجلسه ففقدْ فاتى امه فسألها عن شأنه قالت اخذ في السفه وترك ما كان عليه ونفد ما في يده ولا ياتينا الا ليلاً او نصف نهار وقال ابو الحر اذا أتيت وهو في البيت فلا تحبسينى على الباب فاتاهم نصف النهار ومعه ستة اثواب وثلثمائة درهم فاستاذن فاذنت له فماذا الفتى في خلق في ناحية البيت قال له ما منعك ان تأتينا فنحن الذين اسأنا في امرك فخذ هذه الاثواب واكتس بثوبين ولامك ثوبان ولاختك ثوبان وخذ هذه الدراهم فاستنفقها على نفسك فرجع الفتى وحسنت حالته فقتل مع ابى الحر يوم مكة رحمهما الله ، ومن اصحاب ابى يحيى ابو بكر بن محمد بن عبد الله القرشي من بنى عدى كعب .

ثم من بعدهم

طبقة «الربيع بن حبيب» رحمه الله

طود المذهب الاشم وبحر العلوم الاخلم صحب ابا عبيدة فنال وافلح وتصدر بعده على الافاضل فانجح قال ابو سفيان لما اصاب ابا عبيدة الفالج وحضر خروج الناس الى الموسم مضى الى ابى عبيدة حاجب بعبد الله بن عبد العزيز ليرسله مع الربيع فقال لا افعل فقال له فالمثنى قال نعم فارسلوا الى المثنى فحضر فقال اشير عليكم الا تفعلوا فيقال ما وجدوا من يبعثوا مع الربيع في سنه وفضله الا هذا الغلام فازداد محبة بقوله في نفس ابى عبيدة وازداد عندهم رضا فخرج الربيع وحده ، قال ابو سفيان ذكر الربيع عند ابى عبيدة فقال تقينا وامينا وثقتنا ، قال ابو سفيان اجتمع وائل والمعتمر بن عمارة وجماعة الى الربيع فسالوه ان يخرج الى الموسم قال ما عندى ما اتحمل به فمشوا الى النظر بن ميمون وكان من خيار المسلمين ومن تجار الصين فاعلموه بقوله فاتاه باربعين دينارا فقال له حج بها قال فلم يقبلها وكان به خاصا فاتاه وائل والمعتمر فقالا تعلم يا ابا عمرو حاجة الناس اليك فابيتَ ان تقبل من النظر قال لى خذها على ان تحج بها ولست اقبلها على شرط فرجعا الى النظر قال خذاها وادفعاها اليه ولست اظن انه يكره ذلك ففعلا فابى ان يقبلها .

قال ابو سفيان استحلف ابو جعفر رجلا من اهل الموصل بالطلاق على رجل اتهم انه عنده او ماله فحلف فرجع الرجل الى داره فوجد نعله فكتب المسألة الى الربيع فقال لابد ان يحضر الحالف فلما حضر جمع العلماء والاشياخ فاتفق رأيهم على ان الملوك لا يستحلفون على النعال وما اشبهها والربيع ساكت فقال الرجل ما تقول يا ابا عمرو فقال ارى فراقها فقال شعيب ان الملوك لا يستحلفون على النعل فقال صدقت ولكن صاحبنا

قال ما له عندى قليل ولا كثير ولا تخلوا النعل ان تكون من القليل او الكثير ، قال ابو العباس ان يمينه انعقدت على علمه ولا علم له بالنعل وايضا فان لفظه عندى لا يلزمه ما لزمه لان فيه تخصيصا لا ينقض قصر الحلف ولعله اخذ بالاحوط انتهى . قال ابو سفيان يرى التغليظ على من قال عليَّ عهد الله وميثاقه او كافرا او يهودى او نصرانى .

قال ابو سفيان جاء نصر ابو محمد الازدى الى ابى عبيدة يسأله عن مسألة فاجابه ثم قال ائت بالربيع فلما حضر سأله فاجاب بغير جواب ابى عبيدة فراجعه ابو عبيدة فيه وقال الذى حفظت عنك كذا قال اوقد حفظت قال نعم قال للرجل انظر ما قال الربيع فخذ به فانه عنى حفظ وكان ابو عبيدة في وقته ذلك في شكاية وكان الربيع إذا سئل عن مسألة قيل ويقال له اذا اجاب عمن اخذتها فيقول انما حفظت الفقه عن ثلاثة ابى عبيدة وضمام وابى نوح هذا قول احدهم ولم يكن يخفى عليه قول واحد منهم .

وسئل عن رجل مشتمل من البْردِ فيضع كساه تحت قدميه ويسجد ويداه على الطيلسان قال هذا صنيعى الا ان يرى ابو المضا غير ذلك وكان ابو المضا من السند قد ادرك اصحاب النخيلة قال ابو المضا القول قولك .

ودخل عليه أبرهة بن عطية فقال يا ابا عمرو رجل من اخوانك من اهل الشام فكان يختلف عليه ويسأله عن الفقه زمانا فحضر بعض المسلمين مجلسه فقال سَلمْ على اخينا فَسَلَمَ عليه فقال من أي البلاد قال من الشام قال من اي الشام قال من اهل الجزيرة قال لعلك ابن عطية قال نعم قال يا ابا عمرو هذا الذى أهلك أهل خراسان وابوه قبله فلا يدخلن عليك ، قال الربيع اسرعت على الرجل فخرج الرجل فاتى وائلاً والمعتمر وعبد الملك وجماعة من اصحابنا فاعلمهم فاتوا الربيع فقالوا قربت ابن عطية فقال لا يجمل بمثلى أن أرد مَنْ ياتينى مع ان الرجل لم يسألنى عن

شيء اكرهه قالوا فلا يدخلن عليك فاتى فاستاذن فحجبه فقال ما ظننت الربيع في فضله وعلمه وورعه وحلمه يرد مثلى وانما اسأله عما ينتفع الناس به من أمر دينهم فبكى وانصرف وارتحل من جواره .

وفي ايامه خالف عبد الله بن عبد العزيز وابو المؤرج وشعيب واصحابهم في الجمعة والمرأة التى تؤتى فيما دون وان اهل القبلة المتأولين في الذي ورد ما يوهم التشبيه مشركون (١) ورد الربيع مقالتهم وبرىء منهم وقد كانوا تكلموا بذلك في ايام أبي عبيدة فانكرها عليهم وطردهم من المجالس واتوا حاجباً والربيع فتابوا واعادهم الى المجالس ثم اظهروها في ايام الربيع وتمادوا عليها وكذا مخالفة عبد الله بن يزيد وابن عمير عيسى ، وأما حمزة الكوفى وعطية وغيلان فخلافهم في القدر في زمان ابى عبيدة .

ومنهم ابو ايوب وائل بن ايوب الحضرمى وهو من افاضل اصحابنا علما وزهداً وتقاً وامرا ونهيا ، وإذا سئل ابو عبيدة الصغير عبد الله بن القاسم قال عليكم بوائل فانه اقرب عهدا بالربيع ، قال ابو سفيان قال وائل ادركت بحضرموت رجالا ان كان الرجل منهم لو وُلى على الدنيا كلها لاحتمل ذلك في عقله وحلمه وعلمه وورعه ورايت جزءا فيه مناظرة ابى ايوب للمعتزلة مع رجل منهم يقال له كهلان واصحابه ، قال ابو العباس صنو الربيع وتلوه فانهما رضيعا لبان التفقه في العلوم فما منهما إلا له فيه مقام معلوم وان كان لابى عمرو فضلٌ وزيادة وشهرة في الاستفادة والافادة فان لوائل انواعا من جميل الصفات أحيى الله بها على يديه اعظم الدِّين الرفات من طيب شيم وخلق كريم .

---

(١) هذه الآراء هي التي قام يدعو اليها هارون بن اليمان في القرن الثالث الهجري وقد رد عليه بدعته العلامة محبوب بن الرحيل في مناقشة وجهها الجانبان الى الامام المهنأ بن جيفر والسادة العلماء من اهل عُمان . وقد صوب الامام ومن معه من رجال العلم محبوب بن الرحيل ، فجزى الله اولئك السلف الصالح عن العلم والدين خير الجزاء .

قال ابو سفيان قال وائل قدم علينا ابن عطية بعد ان قتل ابا يحيى حضرموت فقاتلناهم فتحصنوا في قرية فاقمنا عليها اربعة وعشرين يوما نحاصره فطلب الصلح فصالحناه على ان يرد جميع ما في عسكره مما اصابوا من اموال المسلمين فدخل المسلمون فاخذوا ما عرفوا فى عسكره وارسل اليه مروان ان يلحق بالموسم يصلى بالناس وخرج في نفر يبادر الموسم وجيشه خلفه فوافق رجلين اخوين من المسلمين يقال لهما ابنا جمانة فظنا انه جاء منهزما فدخلا عليه في قرية بات فيها ومعهما نفر من اصحابهما فقتلوه وقتلوا من معه واحتزوا رؤوسهم وطلبوا جيش المسلمين فبينما هم يسيرون اذ لقوا جيش ابن عطية فسالوهم عن ابن عطية قالوا تقدم فعجل الله بروحه الى النار ومات مع ابن يحيى اسد بن كثير وعبد الله بن خيران وكانا من اهل الفضل .

ومنهم الفضل بن جندب هو مولى للازد (١) وكان من خيار المسلمين وفضلائهم وكان ذا مال وكان سخيا ، قال ابو سفيان مات حاجب ودخل عليه قرة بن عمر وجماعة المسلمين ليغسلوه فقال قرة ما تقولون في دين هذا الرجل فابتدر قرة في اربعة فضمنوه وكان دينه خمسين الفا ، وفي كتاب ابى العباس مائة وخمسون الفا فحضر الفضل بن جندب وكان من خيار المسلمين وكان موسرا فاخبروه فقال هو فى مالى دونكم حتى اعجز عنه ولا يبقى لى مال فقالوا له شأنك فمات الفضل قبل ان يؤدى عن حاجب فاوصى الى ابى عبيدة عبد الله بن القاسم والى زوجته والى حبيب بن سابور والى ابى سنان البنانى فمات ابو عبيدة فردوا الوصية الى ام الصلت زوجة الفضل والى حبيب بن سابور والى ابى سنان فلم يقبلا الوصية وكان للفضل ابن جندب على رجل مال فوقع ماله عند القاضى وهو عبد الله بن الحسن ابن اخى ابى الحر فارادوا ان يثبتوا عنده ان أم الصلت وصى زوجها الفضل فلم يجدوا شهودا الا من شهد انه اوصى اليها والى ابى عبيدة والى

---

(١) قيل ان الفضل بن جندب من الحدان واصله من عُمان .

حبيب بن سابور والى ابى سنان وخشوا اذا لم يقبل حبيب وابو سنان الوصية ان يدخل القاضى رجلين مكانهما فيفسد عليهم الامر فسالوا الربيع هل يجوز للشهود ان يشهدوا ان الفضل اوصى الى زوجه ام الصلت ولا يذكروا غيرها قال نعم الا ان يسالوا فلابد لهم حينئذ ان ياتوا بالشهادة كما استشهدوا وان لم يسالوا فلا باس عليهم واما ابو عبيدة عبد الله بن القاسم فضاق عليه ذلك وقال لا يجوز ان يشهدوا الا كما استشهدوا .

قال ابو ايوب وائل انما الفقيه الذى يعلم ما يسع الناس فيه مما يسألونه عنه واما التضييق فمن شاء اخذ بالاحتياط .

ومنهم قرة بن عمرو وحبيب بن سابور وابو سنان وهم من فضلاء المسلمين وخيارهم ، قال ابو سفيان غضب عبد الله بن القاسم على حبيب ابن سابور في امر وصية الفضل بن جندب وكان سلفا للفضل فقال لادعون الله عليه قال اللهم ادخل بيته قناطير الذهب والفضة قالوا دعوت له قال والله واى شيء اشر عليه ان يدخل بيته قناطير الذهب والفضة .

ومنهم عبد الملك الطويل وكان شيخا فاضلا وعالما متقنا استفاد وافاد وكان له مجلس .

قال ابو سفيان بلغ حاجبا ان في منزل عبد الملك الطويل مجلسا بالليل تكثر فيه الجماعة ولهم كلام يسمعه الجيران فارسل اليه فقال له ارفق على نفسك يا عبد الملك ما هذا الذى بلغنى انكم تفعلون قال انا لنفعل وان امرتنا ان لا نفعل تركنا فسكت طويلا فقال لئن تخافون وتعمرون لاحب الىَّ من ان لا تخافون ولا تخربون اعمروا مجالسكم فان الله يحفظكم ــ قال ابو العباس لا تخافون وتخربون ــ قال ابو سفيان وما بلغنا انهم ظفر لهم بمجلس قط الا انهم كانوا في عهد زياد وابنه اتاهم الخبر بان الخيل تريدهم فخرجوا مسرعين وتركوا نعالهم فجاءت الشرطة فنظروا الى نعالهم فقالوا للعجوز التى لها البيت ما هذا النعال ، قالت مكاتب لنا يطلب الناس فيعطوه النعال وغيرها فقال بعضهم قد ذكرت ما ذكرت فلا تعرضوا

العجوز للبلا فلعلها صادقة وكانوا اذ ذاك يأتون المجالس في هيئة النساء وكان لأبى الحر على بن الحصين مجلس فقيل له خشينا ان يظهر علينا ، قال اما سمعت ان الله يقول ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (١)

قال ابو سفيان سمعت عبد الملك الطويل يتحدث عن ابى حمزة المختار قال ادركت المسلمين ان كان الرجل منهم ما يستزاد في صلاة ولا فى صيام ولا فى حج ولا اعتمار ولا فى وجه من الوجوه ان عرف انه ليس بشديد الحرص في الشرى سقط من اعينهم وتسقط منزلته عندهم .

قال حاجب لعبد الملك الطويل فيما يود به فيه اذا كان يعيب عليه المسلمون في اشياء تكون منه فيما بينه وبين الله فاستروا عليه وعظوه واحضروه مجالسكم وارفقوا به جهدكم عسى الله ان يتوب عليه وان عابوا عليه في خلافهم في الدين يريد ان يشغب ويفتق عليهم فتقا فابدوا عورته واهجروه واعلموا الناس به حتى يكونوا منه على حذر .

قال ابو سفيان كان زوج سعيدة يقال له عبد الله بن الربيع خال المهدى واتخذت سعيدة للمسلمين سربا في دارها يجتمعون فيه بالليل ولابن الربيع اولاد من غير سعيدة فكان احدهم قد دعاه المسلمون فاجابهم ودخل مجالسهم وعرف المشايخ بوجوههم ومنازلهم واسمائهم وكان له امهات اولاد مسلمات فاعتق واحدة يريد اكرامها واراد ان يتزوجها فابت عليه وقالت الحمد الله الذى نجانى منك فغضب عليها ثم اعتق اخرى لينظر ما تفعل ففعلت كفعل صاحبتها قال لهن انما خدعتننى حتى ادخلتنى في دينكن فلما اعتقتكن واردت اكرامكن بان اتزوجكن فابيتن فغضب وكتب الى ابى جعفر باسماء مشايخ المسلمين ومجالسهم وكتب بان سعيدة تجتمع عندها الاباضية في سرب لها في دارها فلما قرأ ابو جعفر الكتاب دفعه الى ابن الربيع ، فلما قرأه اكثر الاسترجاع قال ابو جعفر مالك قال

---

(١) سورة الحجر ٩

ابنى قد ذهب عقله وارجو ان يعافى وصار الى ما ارى واسترجعت لمصيبتى فيه قال احبسه قال لابد من ذلك .

قال ابو جعفر فارسل اليك طبيبا يداويه قال لا احب ان اشهره لكن ابعث لى بالادوية فبعث اليه اصنافا من الادوية وجعل ابنه في الحديد زمانا حتى كتب الى ابى جعفر بانه كتب الكتاب وهو لا يعقل ، وقد قال ابن الربيع لابى جعفر اومثل سعيدة يقال فيها هذا .

ومنهم المعتمر بن عمارة وكان من مشايخ المسلمين وخيارهم ومن اولى الفضل .

قال ابو سفيان عن المعتمر قال قلت لابى عبيدة انك لاحب الىَّ من والدى قال كذلك ينبغى لك يا معتمر ان تكون لانك بذلت لى ما لم تبذله لابيك يعنى الولاية .

قال ابو سفيان قال شعيب ابو المعروف للمعتمر ابن عمارة اقبل منى ان اقول ان المسلمين جمعوا مع الجبابرة وهم افضل منا فقال المعتمر هم افضل منك في حضورها وتركك لها قال لا تحمل عنى ذلك قال المعتمر انما كلامك في الجمعة فان زعمت انهم افضل منك في حضورها قبلت منك قال لا اعطيك ذلك قال المعتمر ذلك لتعلم انك طاعن عليهم في حضورهم لها .

قال ابو سفيان سمعت المعتمر بن عمارة يقول وكان من خيار من ادركته من المسلمين ما لقى الله احد ممن يقر بالاسلام بذنب اعظم من ترك الصلاة متعمدا .

قال ابو سفيان وكان المعتمر قد حفظ من ابى عبيدة وضمام وغيرهما علما كثيرا ولكن لم يكن يبذل نفسه ولا يقعده للناس وكان يقول ان للعالم ان يعبد الله بكتمان علمه ما لم يحتج اليه .

ومنهم المثنى وكان شيخا فاضلا تقيا ، قال ابو سفيان لما ابى ابو عبيدة

من ارسال عبد الله بن عبد العزيز مع الربيع الى الحج قيل فالمثنى بن المعرف قال نعم قال فبعث الى المثنى في ذلك فقال ما كنت لافعل اخرج مع الربيع والربيع غاية في فضله وسنه ومعرفته فما اشير عليكم ان تبعثوا غلاما حدثا مثلى وفي الربيع كفاية فبلغ قوله ابا عبيدة فازداد له في نفسه محبة وازداد عندهم بذلك رضا ، فقال ابو عبيدة صدق مثنى ، فقال الربيع يا ابا عبيدة كنت تحضر انت وحاجب وحفص الوايلى فما تكادون تقومون بما يرد عليكم فكيف بى قال له ليس بينى وبين الناس سوط ولا سيف من جاءك موافقا لك يقول بقولك فيه ونعمت ومن اتاك مخالفا عليك فابعد الله من ابعده .

ومنهم المليح وكان من العلماء الاخيار والفضلاء الابرار قال ابو سفيان ، قال المليح دخلت انا وعبد الملك الطويل على ابى عبيدة فسألناه فيمن ادخل يده تحت ثياب المرأة فانكرت انكار الحرة ألهُ ان يتزوجها فابى ذلك واجازه ابو نوح ، قال ابو سفيان قال المليح بلغنا ذات ليلة ان في منزل حاجب مجلسا فاتيته انا وعمانى فاستاذنا فاذن لنا واستاذن شعيب فرد وتقدم الخبر بالتعريف لحاجب .

ومنهم ابو غسان مخلد بن العمرد وكان من العلماء النحارير والفقهاء القناطير قال ابو سفيان افتى عبد الله بن عبد العزيز وجماعة معه ان من افتى الناس بما لا يعلمون انه حق فان لهم ان يقفوا عنه فقال ابو غسان للراوى قل له ما قلت فيما افتيتنا به من امر حجنا فانا لا نعلم ما تقول اليس لنا ان نقف عنك لانا لا نعلم ما قلت حقا فقال له ذلك فقال ابن عبد العزيز انت رجل شغب ولم يجبه بشىء ، قال ابو غسان ان الذى قال لك لا يجوز في الدين ولا يسع نقض ولاية اهل الدين الا بما لا يسع مقارفته .

ومنهم بسطام قال ابو سفيان وكان خيرا فاضلا له فضل في المسلمين وشرف قال وكان يحضر المجالس فهو اول من يتكلم وكنيته ابو النظر وكان

قبل ذلك صفريا وهو بسطام بن عمر بن المسيب بن زهير الضبى من اصحاب شبيب وفر من الحجاج ونزل البصرة ، قال ابو سفيان نزل عندنا في دارنا في الازد فدعاه المسلمون فاجاب وكان اسمه مصقلة ثم غلب عليه بسطام فقال له المسلمون حين دعوه ندعوك الى ولاية من قد علمته يقول بالحق ويعمل به والى براءة من قد علمته يقول بخلاف الحق ويعمل به والوقوف فيمن لا تعلم حتى تعلم قال فعلمت انه الحق ويعمل به والوقوف فيمن لا تعلم حتى تعلم قال فعلمت انه الحق وانه دين الله .

ومنهم ابو طاهر ، قال ابو سفيان مات ابو طاهر واوصى بكفارات لايمانه وترك عيالا فسالت الربيع كم يعطى لكل مسكين وهو عالم بعياله فقال اشتروا الشعير فانه ارخص واعطوا لكل مسكين وهو عالم بعياله .

ومنهم ابو محفوظ وكان شيخا فاضلا ، قال ابو سفيان وكان من خيار من ادركت قال جاء رجل الى ابى عبيدة فقال له انهم يعرضون بنا في المجالس قال له فهل سموا احدا قال لا قال ومن يعلم ما تقول فاشار الى شيخ يقال له ابو محفوظ وكان من خيار من ادركت قال صدق قال ابو عبيدة وان القرآن ليعرض بالناس فمن عرف من نفسه شيئا فابعد الله من ابعده .

ومنهم ابو الوزير وكان من اشياخ المسلمين وحقه ان يذكر في طبقة ابي عبيدة ، قال ابو سفيان ذكر ابو عبيدة يوما في مجلسه وذكر النار وما اعد الله فيها لاهلها والجنة وما اعد الله فيها لاهلها وخوّفَ وَرَغبَ وكان ذلك في ايام ابن يحيى فلما سكت قام ابو الوزير فقال يا ابا عبيدة لو اردنا الجلوس الى ما كنت فيه لجلسنا الى من هو اوصف لما كنت فيه منك من قومنا الا تزين امر اصحابك وتحض على نصرتهم والعون لهم فنحن الى ذلك احوج الى ما كنت فيه يعنى ابن يحيى وابا حمزة ومن معهم رحمهم الله ، قال ابو عبيدة انما يتكلم الرجل بقدر ويمسك الى أجل ، قال ابو سفيان تكلم نساء من المسلمات بعد جابر في المال الذى يجمعه الجبابرة

وقلن انه حرام ثم افشينه فوافقهن ابو الوزير على ذلك فكلمن أبا حمزة الاشعث فنهاهن عن ذلك وتقدم الكلام على ذلك .

ومنهم عيسى بن علقمة وهو من اصحاب ابى الحر على بن الحصين والله اعلم ان كان هو عيسى بن ابى عمرو أو غيره وتقدمت روايته في التعريف بابى الحر ، قال ابو سفيان ادركت عيسى وهو شيخ كبير .

ومنهم انس بن المعلا وهو من مشايخ المسلمين ، قال ابو سفيان وهو من خيار من ادركته من مشايخ المسلمين قال خرج الى ابن عم له واليا على فارس فاحسن اليه فبينما هو عنده إذ عزل فهرب انس الى البصرة وخرج مستخفيا في مركب ومعه ماله الذى جازه به ابن عمه وخشى ان يؤخذ منه فدفعه الى ابى حمزة المختار حتى سكن عنه ما يخاف عنه .

ومنهم الحسن بن عبد الرحمن قال ابو سفيان عن الربيع عن الشيوخ انه كان معروفا مسلما فاضلا خطب ام عفان وكانت مسلمة وان اباها استأمرها فكرهت ذلك فنهاه جابر ان يزوجها وهى كارهة ثم خطبها رجل من قومها ليس منا فشاوروا ابا الشعثاء فيه وقد رضيت به فامره ان يزوجها اياه ، وكان حقه ان يذكر في طبقة ابى عبيدة .

ومنهم سفيان وكان من التائبين قال ابو سفيان كان سفيان هجره المسلمون على اشياء احدثها ثم تاب ورجع وكانوا يقولون له يا سفيان اكنت تبرأ من ابى عبيدة والمشايخ قال والله كنت افعل ولكن استغفر الله من ذلك وكان حاجب يقول يا لها توبة كتوبة سفيان .

ومنهم يحيى بن نجيح ، ودبال رحمهما الله وكان سعيهما ان يجمعا من الاغنياء للفقراء ، اما يحيى فيخرج بجراب فيطوف على اغنياء المسلمين حضر عنده الخبز او التمر او الرمان او الدراهم وما حضر ، قال ابو سفيان وهو يحيى الصغير ، ثم يطوف بما جمع على الفقراء يفرق عليهم ومات مع الجلندى بن مسعود بعمان .

واما ديال بن يزيد فيفعل مثل ذلك بعده وربما استأجر الاكسية في البرد الشديد والطنافس والقطف بالف درهم او اقل او اكثر وليس عنده منها شيء وانما يتكل على الله ثم المسلمين ثم يفرق تلك الاكسية والقطف والطنافس على الفقراء ثم يخرج فيجمع ذلك على الاغنياء فيقضي اهل الثياب حقوقهم وكان المسلمون يكثرون الصدقات ويفرحون لابواب البر .

قال ابو سفيان سمعت بعض مشايخ من ادركت يقول انا لنذكر إذا دخل شعبان ان كان الفقراء من المسلمين لتأتيهم الاحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهر رمضان ولا يعلمون من بعث بها ياتى الرجل بالجمال حتى يقف به على باب الدار فيقول ادخل فيكتب في خرقة كلوا واطعموا وكانوا يحملون المشايخ الى الحج ويكون لاحدهم عدة نجائب اعدها وكانوا يجمعون الاموال يبعثون بها الى المغرب والمشرق وتيهرت لاقامة دين الله وكان الذى يتولى ذلك في ايام ابى عبيدة حاجبا .

قال ابو سفيان لما خرج الامام عبد الله بن يحيى وابو حمزة جمع حاجبٌ لهما اموالا كثيرة يعيهما بها وكتب على كل موسر من المسلمين قدر ما يرى فما امتنع عليه احد ودعا ابا طاهر وكان شيخا فاضلا وقال له عليك بالنساء واوساط الناس فانا نكره ان نكتب عليهم ما لا يحملون فانطلق ابو طاهر فيمن انطلق معه من المسلمين فلم ياتوا امرأة ولا رجلا الا وجدوه مسارعا فيما سالوه وكان رجل من المسلمين لم ير انه صاحب مال فدفع اليهم ثلاثة آلاف درهم فقال له ابو طاهر اى اخى العيال قال الله لهم والله ما رأيت مذ كنت وجها مثل هذا انفق فيه فاذ وجدته افدعه والله لا يرجع الى منها درهم ولكن عهد الله لا تخبر باسمى ما بقيت ففعلوا فلم يمس الليل حتى جمع ابو طاهر عشرة آلاف درهم فاخبروا حاجبا فسر بذلك فقال ان في الناس لبقية بعد فاشترى بتلك الاموال سلاحا فوجهه

ووجه ما بقى وتقدم الكلام على حاجب وعلى ابى طاهر .

ومنهم سابق العطار ، قال ابو سفيان كان سابق من خيار من ادركت قال خرج ابو عبيدة ذات مرة حاجا مع سابق العطار فبينما هما نازلان في بعض المنازل اذ وقفت عليهما اعرابية بلبن وسمن وجدى فاشتراها سابق بقرورة خلوق وقلادة فجاء باللبن الى ابى عبيدة فقال اجْرَعنّا لبنَك يا سابق كم ثمن القلادة قال نحو دانق قال نحو دانق وكذا القارورة ويحك انما الغبن للعشرة اثنان او خمسة للعشرة وللدرهم درهم ولعله والله اعلم انه اراد ما ثمنه درهم تبيعه بدرهمين يعنى الثلث أو السدس او النصف قال له واما مثل هذا فلا فارسل سابق الى الاعرابية فقال لها ابو عبيدة كم ثمن اللبن عندكم قالت لا ثمن له قال وثمن الجدى والسمن قالت اربعة دراهم فاخرج سابق اربعة دراهم فدفعها اليها ، قال ابو عبيدة هلم الآن لبنك يا سابق .

ومنهم اردون ، قال ابو سفيان اخبرنا شيخ لنا من اهل عمان يقال له اردون وكان من خيار من ادركته من مشايخ ان نسوة من اهل عمان استاذن على عائشة فاذنت لهن فدخلن فسلمن عليها وسلمت عليهن فسالتهن من تكونن قلن من اهل عمان فقالت لقد سمعت حبيبى عليه السلام يقول «ليكثرن وراد حوضى من اهل عمان»

ومنهم ابو الموسر ، قال ابو سفيان شيخ فاضل من المسلمين ، قال ابو سفيان كان له ابن يدعى عبد الرحمن قال الناس كلهم عندى اهل ولاية الا من ظهر لى منه ما ابرأ به منه فنهاه المسلمون ونهاه ابوه عن ذلك القول فلم ينته فخلعوه وبرأوا منه واعلموا الناس انه على غير طريقتهم وذلك فى زمان ابى عبيدة .

ومنهم ابو منصور ، قال ابو سفيان وكان فقيها عالما قال ابو منصور النفساء لا تزيد على ستين ليلة يوما واحدا اذا تمادى بها الدم تطهرت

وصلت وتغتسل وتجمع بين الصلاتين ، قال ابو سفيان اخبرنى رجل من المسلمين من اهل خراسان ان عندهم في الاثر عن ابى عبيدة انها تتربص ما بينها وبين تسعين يوما فان انقطع والا فلتتطهر وتصل ، قال ابو سفيان لعل ابا عبيدة جعل لكل شهر من شهور الحمل اقصى مدة الحيض عشرة ايام وجعل شهور الحمل تسعا .

ومنهم ابو واقد وكان حقه ان يذكر في طبقة ابى عبيدة ، قال ابو سفيان كان ابو واقد من خيار المسلمين ، قال ابو سفيان قال الربيع يكره ان يتزوج الرجل المرأة ويتزوج ابوه ابنتها فقال لى ان امرأة واقد وابى واقد ليست كذلك انما كانت امرأة وخالتها .

قال ابو سفيان وكانت هلبية المهلبية اذ قدم ابو حمزة مكة حضرت الموسم فعالجت لهم طعاما كثيرا وكانت من خيار المسلمات فارسلته مع ابى واقد وابنه وكانا فاضلين فاخذهما الحرس فقالوا معكما السلاح ففتشا فلم يجدوا معهما سلاحا فلما اصبح ابو حمزة ارسل اليهم النقض جاء من جهتكم وكانت بينهم وبينه مواعدة الى انقضاء الموسم قال لهم فان شئتم ناقضناكم وان شئتم فاوفوا بعهدكم فارسلوهما فتم العهد حتى فرغ الناس من مناسكهم .

ومنهم زجر الحضرمى ، قال ابو سفيان كان ذا فضل وعبادة وورع قال وسمعت وائلا يقول ان معنا بن زائدة لعنه الله لما قدم اليمن وقتل من قتل من المسلمين وغيرهم هرب زجر الى قلعة فامتنع فيها زمانا وكان له ابن عم بلغ مع معن منزلة ومكانة فاستأمنه على زجر فأمّنه فلما قدم به ابن عمه قتله فسالنا ابا عبيدة فقال يقتل علانية وسرا فقالوا لا نتهمه على ابن عمه قال ايعرف ان معنا يقتل بعد ان يؤمن قلنا نعم قال يقتل سرا وعلانية .

ومنهم حفص الويلي وكان من طبقة ابى عبيدة ، قال ابو سفيان قال الربيع لابى عبيدة حين بعثه ليقوم بامر الناس في الموسم قد كنت تحضر

انت وحفص الويلي فما تكادون تقومون بما يرد عليكم فكيف بى وقد تقدم الخبر .

ومنهم ابو سفيان محبوب بن الرحيل احد الاشياخ الاخيار والمقيد غرائب الفقه وعجائب الاخبار ساد الفضلاء علما وحفظ الاثار ، قال ابو العباس مناقب ابى سفيان مغنية شهرتها عن المشاهرة فقد قامت مقام العيان ، قال ابو سفيان كنت اصلى بجماعة النساء فى منزلنا وانا اذ ذاك شاب فجاءنا الربيع يوما من الايام وجاء معه ابو طاهر فيمن جاء فقال لى ابو طاهر يا محبوب انك تحبس النساء وتطول عليهن فقال لى الربيع فكم تقرأ قلتُ عشرين وعشرا ونحو ذلك فقال له الربيع وهذا كثير يا ابا طاهر ثم قال الربيع كان ضمام يقرأ خمسين آية وكان حافظا سريع القراءة ، قال ابو سفيان عن عبد الملك الطويل قال ابو حمزة كنا نأتى منزل حاجب في رمضان يصلى بنا فيه فيقرأ بنا المائدة في ثلاث ركعات ، قال ابو سفيان من لم يقدر على القيام من مرض او فى سفينة او طين او ماء فانه يصلى جالسا ويومىء برأسه ولا يسجد وهو قول ابى عبيدة والربيع وجابر وذكرت للربيع ان رجلا من اهل خراسان حدثنى عن ابى عبيدة الصغير وهو الذى تولى امره في مرضه الذى مات فيه اعنى عبد الله بن القاسم انه كان يصلى قائما فلما غلب حملته حتى قعد على المسجد فكبر ثم ركع ثم اهوى الى السجود فظننت انه غلب فبادرت لارفعه فجذبنى فارسلتهُ فسجد وهو جالس فلما فرغ والتفت الىَّ قال انما الايماء على من كان على الفراش او دابة او سفينة واما من كان في المسجد فانما يركع ويسجد ، قال ابو سفيان ادركت اصحابنا يكرهون ان يصلى الرجل في داخل المحراب ولكن ليقم خارجا منه ويكون سجوده فيه ، قال ابو سفيان افتى الربيع لامرأة سألتْ والدتى وكانت والدته تحت الربيع عن من اشتغل عن الظهر الى العصر قال تعتق رقبة قالت لا تجد قال تصوم شهرين قالتْ فعلت ذلك غير مرة قال فلتصم لكل مرة شهرين . قال

ابو سفيان عن الربيع ان ابا عبيدة يجمع الصلاة في الفلوات فاذا مر بقرية فان شاء جمع وان شاء افرد وان نزل بقرية يقيم فيها افرد .

ومنهم ابو صفرة عبد الملك بن صفرة بلغ في العلوم فكان كبيرا وحاز منها شيئا كثيرا روى اثار الربيع عن ضمام عن جابر وهو مشهور واما كتاب المسند عن ابى عبيدة المسمى بكتاب الربيع فلا ادرى من رواه ولعله هو الراوى ايضا وكان مشوشا وانما رتبه ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلانى(١) . ومنهم حملة العلم الى المغرب وحملة العلم الى المشرق .

ومنهم الجلندى بن مسعود وهلال بن عطية الخراسانى ، ومنهم سالم ذكوان رحمه الله وحقه ان يذكر في طبقة ابى عبيدة وهو من مشاهير العلماء الابرار وكان ممن يكاتبه جابر بن زيد رحمه الله وينبغي ان نذكر من خالف الربيع في بعض المسائل وان كان من خالفه لا يلتفت اليه لان لهم اقوالا في الفقه واسانيد ياخذ بها اصحابنا .

وفى جواب الامام افلح وقد سئل عن ابى المؤرج وابن عبد العزيز فقال وقعت منهم مسائل معروفة فلم يؤخذ بقولهم في تلك المسائل واما غيرها فما فيه اختلاف من رأى اصحاب النبي ﷺ واختلاف فقهائنا

---

(١) مسند الامام الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح) دونه الامام الربيع بنفسه بدليل ابتداء السند من ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة وبصيغة الرفع «ابو عبيدة عن جابر بن زيد عن ....» وتقدير الكلام حدثني ابو عبيدة ، وقول المؤلف «وكان مشوشا» اي لم يرتب على ترتيب الابواب ، لان فن التبويب لم يكن معروفا آنذاك ، وانما حدث ابتداء من القرن الثالث الهجري فقط ، على ان الطريقة التي دون بها الامام الربيع مسنده «وهي تدوين الاحاديث النبوية فقط» لم يسبق اليها ، بل ان الذين دونوا في عهده (النصف الاول من القرن الثاني الهجري) يخلطون بين الاحاديث النبوية

واقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وقد قام الامام ابو يعقوب الوارجلاني بترتيب المسند أي تبويبه حسب الابواب المعروفة متمشيا في ذلك مع تبويب كتب الحديث التى الفت في القرن الثالث الهجري فما بعد .

فلا يدفع اسنادهم وهم بمنزلة من سواهم من المسلمين واما البراءة قال لم يكن عند المسلمين يعنى ابن عبد العزيز محمودا وهو الى البراءة اقرب ، وهم سهل بن صالح ، وابو المعروف شعيب بن المعرف ، وعبد الله بن عبد العزيز وابو المؤرج ، وتقدم الكلام على حمزة الكوفى وعطية وغيلان وانهم اخذوا بقول اهل القدر فبرىء منهم ابو عبيدة وحاجب والمشايخ ، وقد اجتمع شعيب وابن عبد العزيز مع حمزة وعطية فتناظروا فقال حمزة لشعيب ومن ادركت وما انت انما انت صبى فقال عبد الملك الطويل لشعيب لك عندى شهادة قال هاتها قال عدلت حمزة عند سوار في شهادة فعاتبنى ابو عبيدة فقال اتعدّل من هجره المسلمون ، وجمع حاجب وابو عبيدة الناس فقالا ان حمزة وعطية والحارث احدثوا علينا احداثا فمن آواهم فهو الخائن المتهم وكان حمزة منقطعا الى هلبية ام سعيدة فدخل عليها ابو النصر بسطام وقد تقدم التعريف به فقالت له قد علمت انسى بك وراحتى في لقائك فابطأت عنى قال كيف اتيك وانت كهف من هجره المسلمون قالت اوقد فعلوا قال نعم قالت اما ما مضى فلم اعلم واما ما يستقبل فلن يدخل علىّ فلما هجرته خرج من البصرة الى الموصل يبتغى ضعفاء المسلمين فلما بلغ امره ابا محفوظ تتبع القرى يحذر منه ويخبرانه على خلاف المسلمين ودخلوا على ام شهاب فكلموها قالت قد سمعت ما قلتم فمنه ما اعرف ومنه ما لا اعرف فالذى اعرف قد عرفته والذى لا اعرف فقولى قول المسلمين ودينى دينهم ولا تعودوا على هذا الكلام فعجب المسلمون من قولها وفرحوا به .

ودخل عليها عبد الله بن عبد العزيز وصالح بن كثير فسالتهما عن مسالة فاجابها صالح فقالت عمن اخذتها قال رأى قالت اضرب برأيك الحائط لا حاجة لى فيه .

واما حفص بن مقتات واخوه صالح فمن المتكلمين ، وحاتم بن منصور ومن شاكلهم فلم احفظ فيهم ما اقول ولا ادرى ما هم ، اما حيان بن

حاجب فإلى الولاية اقرب والجميع لا اعرف قول المسلمين فيهم .

واما ابن عباد المصرى ففى الولاية وابن عباد المتكلم كذلك وسيأتى التنبيه عليهما إن شاء الله تعالى وكذا خلف بن زياد البحرانى ، وموسى ابن ابى جابر الازكوى ، ومحمد بن المعلا ، وهاشم بن غيلان ، ومنير بن النيّر الجعلانى ، وبشير بن المنذر النزوانى .(١)

ومن بعدهم من ائمتنا وكذا فقهاء الكوفة وسائر العراق واليمن لكن الجهل بهم منع ذكرهم وساذكر اشياخاً يروى عنهم الربيع ويروون عن جابر لكنهم مجاهيل ما رأيت من عرف بهم ، منهم يحيى بن ابى قرة ، عباس ابن الحارث ، قتادة ، سعيد ، عبد الله بن الحارث ، الوليد بن يحيى ، سرى ابن سالم ، كعب بن سوار ، يحيى بن نافع ، حبيب بن ابى حبيب ، عمر ابن هرم ، محارب بن يزيد ، ابان بن يزيد ، ابن جريج ، ضمام بن يحيى عمرو بن ابى قرة ، سلام ابن مسكين ، عمار بن حبيب ، ابو خليل ، ابو عوانه بن جعفر ، ابن الياس ، خداش ، ابن عبد الحميد ، حماد بن سلمة ، القاسم بن الفضل ، حسان العامرى ، واما جابر بن عمارة فمن شيوخ اهل الدعوة بصرى وان عده ابو يعقوب في المجاهيل ، وكذا ابو المهاجر الكوفى ، واسماعيل بن القديد ، وابو محمد عبد الرحمن ابن مسلمة المدنيان ، وعبد السلام بن عبد القدوس رحمهما الله .

واما رجال حديث مسند الربيع فقد ذكرهم ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم (٢) فلا اتعرض لذكرهم إلا من تقدم ذكره في تعريفنا ، وانما مقصدنا فيه التعريف بمشائخ المغرب وائمتهم وكرامتهم ومناقبهم ، وها انا بائح بهم والله المستعان .

---

(١) هؤلاء من عُمان ولقبوا بحملة العلم الى عمان .

(٢) للامام ابي يعقوب الوارجلاني كتاب في تراجم رجال مسند الامام الربيع بن حبيب ولكنه لم يصل الينا .

ذكر المشائخ بالمغرب

منهم ابن اليسع من اهل مصر وكان شيخا سخيا ذا يسر فاضلاً شهيراً وقد جعل كراء عشرة فنادقَ لفقراء المسلمين ، قال ابو طاهر اسماعيل بن موسى رجل عظيم القدر واسع المال فيما وجدت والله اعلم .

ومنهم ابو اسحاق ابراهيم المصرى ، ومنهم ابن عباد وهو شيخ مرضى فقيه كان بمصر وفي كتاب «سير الجبل» ان ام ابى ميمون لما حضرتها الوفاة قيل لها لمن أَكَلْتِ وَصيتك قالت لهذا الذى في المهد تعنى ابا ميمون فلما بلغ اخبروه بمقالة امه فاراد ان يحج عنها فسأل عن ولايتها فلم يجد من يتولاها الا امرأة واحدة متقية فالتمس من يفتي له ان يتولى امه بها فلم يجد فسار الى مصر ودخل على ابن عباد فرخص له وقدم اليه تيناً ولحماً فاكل ابن عباد التين وأبى من اللحم فقال هذا يضر وهذا يضر يعنى ان اللحم ياكل اموال الناس في حال حياته وهرب وتنزه من الشبهة وهذا من كثرة ورعه وخوفه على نفسه .

ومنهم الامام الماهر الشيخ الطاهر عيسى بن علقمة المصرى وهو من متكلمى الاباضية وحذاق علمائها ، قال الشيخ ابو عمار عبد الكافى ان مثل عيسى لمن حذاق متكلمى هذه الدعوة المباركة فيما بلغنا عنه قال عارض من قال ان اسماء الله مخلوقة وصفاته محدثة في كتاب التوحيد الكبير بامر مقنع بما فيه الكفاية وعيسى بن علقمة هذا مصرى وعيسى بن علقمة الذى ذكرته قبل مكى صاحب ابى الحر بن الحصين .

وكذا ابن عباد هذا ايضا وهو غير ابن عباد المدنى الذى ناظره محمد بن محبوب في مكة اسمه محمد بن عباد وكان له مقالات واعتقادات افسدها عليه ابن محبوب وعرفه الحق ودعاه اليه فقال تبتُ من جميع الخطأ فقال من حضر انك متدين ولا يجزيك الا ان تعد مسائلك وتتوب منها ومن اعتقادك فيها فخاف من البراءة فتوقف ، قال له ابن محبوب المعترف بذنبه

الراجع عنه لا يبرأ منه في قول بعض فتاب ورجع الى قولي المسلمين .
قال ابو عمرو عثمان ابن خليفة وليس هو بابن عباد الذى فى زمان الربيع هذا متكلم وذاك فقيه .
ومنهم ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى الحميرى اليمنى وسبب وروده ارض المغرب ان سلمة بن سعد لما قدم المغرب يدعو الى هذه الصبغة يعنى مذهب الاباضية فيما نقل الامام عبد الوهاب عن ابيه عبد الرحمن بن رستم قال وددت ان يظهر هذاالامر يوما واحدا فما ابالى ان تضربَ عنقى فتعلق بمسامع عبد الرحمن ما قال فاجتهد في طلب ذلك اتم الطلب والاجتهاد ، قال ولا ادرى كيف التوصل اليه وكان بمدينة القيروان ، وسبب وصوله اليها ان اباه رستم بن بهرام بن سام بن كسرى قدم مكة حاجاً بزوجته وابنه عبد الرحمن فمات فتزوجت زوجته رجلا من القيروان فاقبل مع امه فلما سمع ما سمع من سلمة بن سعد وتعلق قوله بقلبه وطلب ذلك ، قال له رجل من اهل الدعوة ان اردت هذا الامر الذى كلفت به فعليك بالبصرة برجل عالم فيها يقال له مسلم ابو عبيدة ابن ابى كريمة التميمى تجد عنده ما تطلب وقيل امّه هي القائلة له ذلك فسافر مرتحلا طالبا علما فقدم على ابى عبيدة ووافق ارتحاله جماعة اليه في ذلك العام حملة العلم ، وهم عاصم السدراتى ، واسماعيل ابن درار الغدامسى ، وابو داود القبلى النفزاوى فلما بلغوه صافحهم وساهم ن احوالهم وما يريدون فقالوا نطلب العلم فاجابهم فمكثوا عدة سنين عنده وكان في ايام استخفائه من بعض امراء البصرة وكان يقرئهم في سرب وعلى فمه سلسلة فاذا اقبل احدٌ حركت فيسكتون واذا انصرف حركت فياخذون في القراءة .
وكان عبد الرحمن جميلا شابا حدث السن وضرب ابو عبيدة بينه وبين الناس سترا لئلا يشغلهم بجماله فلما استكفوا وارادوا الانصراف كلمن العجائز ابا عبيدة ان يريهن عبد الرحمن وهن ثلاث فادخله عليهن فدعون

له بالبركة ثم استشاروا ابا عبيدة في شأنهم ان انسوا من انفسهم قوة ايؤمرون عليهم واحدا منهم قال نعم واشار الى ابى الخطاب فان ابى فاقتلوه وهو اراد المسير معهم فلما اراد وداعهم سأله اسماعيل بن درار الغدامسى عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الاحكام قال له ابو عبيدة اتريد ان تكون قاضيا يا ابن درار قال ارايت ان ابتليت بذلك فلما بلغوا بلادهم وأنسوا من انفسهم قوة اجتمع من اهتم بامور المسلمين ومن له النظر من الشيوخ وتشاوروا بموضوع يقال له صياد غربى مدينة طرابلس فاتفق رأيهم على تولية ابى الخطاب المعافرى ويظهرون ان اجتماعهم بسبب ارض ارادوا قسمتها وقيل بسبب رجل وامرأته اختصما فاتعدوا ليوم معلوم يجتمعون فيه ويأتى كل واحد بمن خلفه من اتباعه ويجعلون عدتهم في غرائز مملوءة تبناً فاخرجوا ابا الخطاب معهم فتكلم بعضهم فقال امضوا الامر الذى عزمتم عليه فقامت طائفة يتناجون وكل ذلك لا علم لابى الخطاب بشىء فلما رجعوا من المناجاة قالوا لابى الخطاب ابسط يدك نبايعك على ان تحكم بيننا بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام واثار الصالحين من بعده فقال لهم ليس لهذا اخرجتمونى قالوا لابد من ذلك فلما رأى الجدّ والحقيقة منهم قال لا اقبل منكم الا على شرط الا تذكر في عسكرى مسألة الحارث وعبد الجبار ، فاعطوه ذلك الشرط ، ومسألة الحارث وعبد الجبار هي ان يقتتل رجلان من اهل الولاية فيقتل كل واحد صاحبه ولا يدرى الظالم والباغى من المبغى عليه فبعضهم قالوا هما على ولايتهما حتى يتبين امرهما وبعضهم قال نقف .

وكان عبد الجبار والحارث قاما عام احد او اثنين وثلاثين بناحية طرابلس على عامل مروان بن محمد احدهما امام والآخر وزيره او قاضيه اخوان لام او ابنا خالة فوجدوهما ميتين في بيت واحد وسلاح كل واحد في صاحبه فاختلفوا في ولايتهم فبلغت مسألتهما اهل المشرق فاختلفوا كما اختلف اهل المغرب فكتب ابو عبيدة وحاجب الكف عن ذكرهما فاراد

ابو الخطاب قطع مادة الخلاف وقد كان الحارث وعبد الجبار خرج اليهما عامل طرابلس فقتلوه فلما بايعوا ابا الخطاب على الاقامة بحق الله والعمل بما في كتابه والاقتداء بسنة نبيه واتباع الائمة المهتدين قبله فقبل ذلك ودخل مدينة طرابلس ومعه جماعة المسلمين على حين غفلة من اهلها وذلك عام اربعين ومائة وادخلوا الرجال في الجواليق في هيئة الرفقة فلما توسطوا المدينة اشهروا السلاح وقالوا لا حكم الا لله وقصدوا عامل ابى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فخيره ابو الخطاب بين الخروج بالامان والقعود على ان ينتزع من الولاية فاختار الخروج نحو المشرق وامنوا اهل المدينة واحسن ابو الخطاب السيرة واظهر العدل والتواضع فسلكت عماله ورعيته مسلكه وتولت وَرْفجومه القيروان وهم بطن من البربر .

وسبب توليتهم القيروان انه لما قتل حبيب بن عبد الرحمن عمه الياس في ابيه وكان عبد الرحمن عامل بنى امية واقره المنصور ثم خلع المنصور ثم قتله اخوه الياس غدرا بليل اراد ان يوادعه فقتل الياس حبيب في حرب بينهما وفرَّ عبد الوارث من ابن اخيه حبيب ومن فل من جيش الياس الى ورفجومه فبعث حبيب بن عبد الرحمن الى عاصم بن جميل الورفجومى يرسل اليه عمه عبد الوارث ومن معه فامتنع فزحف اليه حبيب فاقتتلوا وهزم حبيب فزحف عاصم واخوه مكرم الى القيروان فدخلوها بعد حرب وفرَّ حبيب الى قابس ثم الى جبل اوراس فاستحكمت ورفجومه على القيروان وعتوا وطغوا وجاروا وساموا الناس سوء العذاب وربطوا دوابهم في المسجد الجامع فخرج اليهم ابو الخطاب غضبا لله ولدينه وسبب ذلك امرأة ارسلت اليه كتاباً ان لها ابنةً جعلتها في مطمورة خوفا عليها من وَرْفجومه .

وحكى ابن الرقيق عن ابن حسان ان رجلا من الاباضية دخل القيروان فرآى ناساً من الورفجوميين كابروا امرأةً على نفسها والناس

ينظرون ولم ينكروا ذلك عليهم فترك حاجته فأتى ابا الخطاب وقال بعض اصحابنا إنّ ورفجومه اخرجوا امرأةً وهي تصيح يا معشر المسلمين أغيثونى فلم يغثها احدٌ فبلغ الخبر أبا الخطاب وقيل ظلموا فصاحت يا ابا الخطاب فحمدًا لله في صوتها فسمعها فقال لها لَبَيْكِ يَا اختاه الى ثلاث مرار وبكى رضى الله عنه فنادى بالصلاة جامعة فاجتمع الناس وصلى بهم فصعد المنبر فحخمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي عليه السلام ورَغّب في الجهاد وأمر بالاستعداد فلما خرج من باب المسجد سل سيفه وكسر غمده غضباً لله وترغيباً للجهاد وكان عام قحط وسنة عسيرة وارض مجدبة فخرج بمن معه ممن رغب في اقامة الحق من اهل البصائر فامدهم الله بالجراد يتزودون منه يرتحل بارتحالهم وينزل بنزولهم منَّة من الله عليهم فلما برزوا نادى مناديه مَنْ له ابوان كبيران او واحداً وعروسٌ جديدةٌ فليرجع بليل فاذا اصبح امر من ينظر الاثر هل رجع احدٌ ويخبر بالرجوع وكل ذلك يكرر الندى فلما أخْبِرَ بعدم الرجوع ولم يبق إلا من له رغبة في الجهاد وعدتهم ستة آلاف فخطب اصحابه بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام فقال اطمع لمن مات في هذه الغزوة الجنة الا مَنْ فيه احدى ثلاث خصال ، قاتل نفسا ظلما ، وقاعد على ف اش حرام ، ومن فى يده ارضٌ مغصوبةٌ والمخرج منها ان يتبرأ من المرأة ويتوب الى الله وليتبرأ من الارض وليشهد على تركها وليقد نفسه القاتل لاولياء المقتول فان لم يجدهم فليدفع نفسه في سبيل الله فقال رجل اجتمعنَ في يا أمير المؤمنين فأمره أن يتبرأ من المرأة والارض ويقود نفسه لاولياء المقتول فان لم يجدهم فليدفع نفسه في سبيل الله ، وحاز في مسيره الى القيروان على مدينة قابس فحاصرها حتى أضعف اهلها فاذعنوا واطاعوا فترك عليهم عاملا ثم ارتحل الى القيروان فلما بلغها حاصر اهلها ما شاء الله وقد كان خرج اليه عبد الملك بن الجعد بِوَرْفجومة فقاتلوه فهزمهم الله وقتل عبد الملك واصحابه وذلك في صفر عام احدى واربعين ومائة وكانت تغلب

وَرْفجومة على القيروان سنة وشهرين .

وقال ابو زكريا يحيى بن ابى بكر رحمه الله ان عاصم السدراتى وهو احد النفر الخمسة من حملة العلم كان من اشد الناس شوكة على اهل القيروان فمرض مرضا شديدا فسمع بمرضه اهل القيروان ثم اشتهى قثاء فبلغهم ذلك فسمّوا قثاءة فارسلوا بايعاً يبيع القثاء فامروه الا يبيع تلك التى جعلوا فيها السُّمَ الا لعاصم فاشتروا تلك القثاءة المسمومة لعاصم فلما اكلها مات فاستشهد رحمه الله فجمع الله له اجر الجهاد وشدة النكاية فى الاعداء والمرض والموت بالسُّم رضى الله عنه فلما فعلوا فعلتهم صاحوا من فوق المدينة أين عاصم السدراتى الذى قتل بالسِّم وبلغ ذلك فى ابى الخطاب مبلغا عظيما فأمر أهل العسكر أن يخرجوا بالليل بسلاحهم ويتركوا الاخبية كما كانت أشباه المنهزمين فلما أصبح أهل القيروان ظنوا أنهم هربوا فاتبعوهم مشرقين وقد كمن لهم ابو الخطاب فيمن معه فلما ترائى الجمعان ووقع القتال انهزم اهل القيروان وولوا مدبرين فتبعهم حتى دخل القيروان فخرج اهل المدينة الى موضع القتلى فاذا بثيابهم لم يسلب أحدٌ منهم فقالت امرأة كأنهم رقود وسمى الموضع رقادة الى ايام عبد العزيز بن احمد المكنِّى بابى فارس فسمَّاهُ نبهانه على ما قيل وخرجوا الى زروعهم فاذا هى كما كانت لم يقع فيها فسادٌ ولا مضرةٌ لا بالناس ولا بالمواشى فتعجب الناس من عدل ابى الخطاب وطاعة اصحابه له فتفقد رحمه الله القتلى فوجد واحداً منهم مسلوباً فنادى مناديه من أخذ من القتلى شيئا فليرده فلما آيس دعا الله ربه وكان مستجاب الدعاء أن يفضحه على رؤوس الاشهاد فركبوا خيلهم ليجروها وانقطع حزام جميل السدراتى وسقط وظهر السلب تحت سرجه فاخذه الامام وادبه وكان رحمه الله احسن السيرة فيهم حين هزمهم لم يجز على جريح ولم يتبع مدبرا فقال له خالد اللواتى ناكل من اموالهم كما يأكلون من اموالنا .

قال ابو الخطاب حقيق على الله ان يدخلنا معهم النار ﴿كلما دخلت

امة لعنت اختها إذا اداركوا فيها جميعا قالت اولاهم لاخراهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ (١) ثم ارتحل الى القيروان وَولّى عليها عبد الرحمن ابن رستم احد حملة العلم من المشرق المتقدم ذكرهم ورتّب عبد الرحمن العمال على مداين

افريقية ونواحيها ، ثم ان المسودة اقبلوا من ناحية برقة في جيوشهم وعليهم العوام بن عبد العزيز البجلى فخرج ابو الخطاب حتى أتى وَدراسة فوجه اليهم مالك ابن سحران الهوارى فلقى العوام بارض سرت فهزم الله العوامَ والمسودةَ واقبل ابو الاحوص عمر بن الاحوص العجلى بالمسودة فخرج اليه ابو الخطاب فالتقاه بمغمداس من ارض سرت على شاطىء البحر فهزم الله ابا الاحوص بعد ان قتل من اصحابه بشرٌ كثيرٌ وانصرف ابو الخطاب الى طرابلس وخلصت طرابلس وافريقية لابى الخطاب وانبسط العدل في الناس حتى قال شيخ من اهل القيروان يخاطب اصحابه تشبهون دينكم بدين ابى إلخطاب واين مثل ابى الخطاب في فضله وعدله واقام حدود الله واحيا سيرة العدل بعد ان أماتها الائمة الجورة وقهر الجبابرة وعظم اولياء الله مع زهدٍ وتواضعٍ ثم ان جميل السدراتى خرج مغاضباً لما وقع به من الادب وما لبس من الفضيحة الى ابى جعفر فأقام سنةً لا يؤذن له بالدخول ثم اذن له ثم سأله عن حاجته فقال ان تبعث معى عسكرا الى المغرب فأرسل معه ابن الاشعث محمد في سبعين الفا وقيل خمسين الفا وخرج من افريقية الى ابى جعفر من كره العدل من بقية الجند وغيرهم كنافع بن عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن انعم ، وابو البهلول وغيرهم وخرج محمد بن الاشعث الخزاعى الاغلب ابن سالم التميمى والمحارب بن هلال والمخارق بن الغفار الطائى وامرهم بالسمع والطاعة لابن الاشعث فلما جاوز حدود

---

(١) الاعراف ٣٨

مصر أرسل العيون وقد تهيأ له ابو الخطاب في المسلمين فلما رجعت له عيونه سألهم عن ابى الخطاب واحواله وجنده فقالوا نجمل ام نفسر فقال اجملوا قالوا رأينا رهباناً بالليل اسوداً بالنهار ويتمنون الجهاد بلقائكم كما يتمنى المريض لقاء الطبيب لو زنى صاحبهم لرجموه ولو سرق لقطعوا يده خيلهم من نتاجهم ليس لهم بيت مال يرتزقون منه وانما معايشهم من كسب ايديهم فلما وصفوا له حال ابى الخطاب وحال اصحابه ضاق بلقائه ذرعا فهاله امرهم فاستشار اصحابه في الرجوع فأبوا له فخاف الافتراق صانع في كتاب اقواما اخرجهم بليل يقبلون به يورون الناس انهم قدموا من بغداد فلما قدموا كما امرهم وقرأ الكتاب أمر الناس بالرجوع كأنه مأمور من ابى جعفر بذلك فكره بعض اصحابه ذلك واظنه المحارب بن هلال فامر به فقتل فخيل للناس ان ابا جعفر أمره بذلك وكر راجعا وتباطى في سيره وقرب المراحل فرجعت عيون ابى الخطاب فاخبروه وبذلك ففطن لمكره وكيده وكان وقت زرع فأراد الناس التفرق الى زروعهم قال لهم ان العرب اصحاب مكر فلا تتفرقوا عن إمامكم فمازالوا به حتى أذن لهم بالرجوع فلمارجعت عيون ابن الاشعث اليه واخبروه بتفرق اصحاب ابى الخطاب طوى المراحل ليلا ونهاراً ولم يشعر ابو الخطاب إلا وقد دخلوا حيز طرابلس فقال لا يسعنى فى دينى أن أقعد عن دفاع العدو عن رعيتى فخرج فى قلة وكانوا اهل بصائر وقد كانوا أشاروا عليه أن يقيم حتى تجتمع عليه جنوده الذين تفرقوا فأبى عليهم يرى أن ذلك لا يسعه في الدين فلقى ابن الاشعث بتَوَرْغَا وكان معه نفوسة وهوارة وطريشة أعنى من قرب من المدينة منهم وقد سبقه ابن الاشعث الى الماء وقال لاصحابه ان استقى ابو الخطاب واستراح هو واصحابه لا تطيقون لقاءهم ولا تقدرون لهم على شيء وانتم الآن اقدر عليهم مع التعب والجوع والعطش واصحاب ابى الخطاب تاقت نفوسهم الى الجهاد وملاقاة الاعداء ومجالدة الاقران

وكان بينهم قتال شديد وصبر ابو الخطاب في قتله حتى مات من الفريقين بشرٌ كثير فأبى ابو الخطاب واصحابه من الانهزام حتى استشهدوا رحمهم الله تعالى وهم اثنا عشر الفا وقيل اربعة عشر وتتبع عدو الله المسلمين في الجبال فتعلقوا في الجبال والقلاع .

وادرك عبد الرحمن بن رستم وهو بمن معه من اهل افريقية بقابس وتفرق اصحابه وذهب وهو مستخفٍ حتى دخل مدينة القيروان فلما بلغ اهل القيروان موت ابى الخطاب قاموا على عامله واوثقوه وقدموا عمر بن عثمان القرشى على انفسهم حتى قدم ابن الاشعث وقام عبد الرحمن ابن حبيب يلتمس عبد الرحمن بن رستم وفرَّ رحمه الله الى المغرب ، قال ابو يحيى ظفر به عبد الرحمن بن حبيب فتشفع فيه رجلٌ من اهل القيروان فقال له ابن حبيب كل حاجة لك عندى مقضية إلاَّ ابن رستم فقال ان لم اسألك ابن رستم فمن ذا أسالك فاطلقه له .

وكان ابن رستم حين اراد المسلمون توليته لبعض امورهم قال ان ابن حبيب ابليسٌ او شيطان في صورة انسان فحقدها عليه ابن حبيب وخرج عبد الرحمن بن رستم وما معه الا ابنه عبد الوهاب وغلام له فمات فرسه في بعض الطريق فدفنه خشية الطلب وضعف عن المشى وادركه العياء والملل فصار ابنه وغلامه يحملانه نوباً وكل واحد يقول لصاحبه إن أدركنا العدو فما دون الخمسمائة لا تضع الشيخ لجلدهما وشجاعتهما حتى بلغوا بالمغرب سوفجج جبل منيع وفات عدو الله ابن الاشعث واجتمع اليه بعض شيوخ اهل الدعوة من طرابلس وغيره فارتحل اليه ابن الاشعث فحاصره زمانا فلم يصنع شيئا ووخم الجبل باهله ومات من اصحاب عبد الرحمن بشر كثير بالمرض فأيس منه ابن الاشعث ورجع الى القيروان وضبطها وامعن في قتل اهل الدعوة ثم قام عليه الجند فاخرجوه الى المشرق واتقدت المغرب نيرانا لكثرة الفتن .

ومن ائمة المغرب ومشايخها ابو حاتم : يعقوب بن حبيب مولى كندة وهو ابو حاتم الملزوزى التجيبي .

قال ابن سلام بن عمر أن أهل دعوتنا من المسلمين بعدما قتل ابو الخطاب ومن معه في اربعة عشر الفا تتبع عدو الله محمد بن الاشعث المسلمين يقتل ويسدل واخرج الجزيرى عاملاً باغياً جباراً على مثل فعله وطريقته ويشترط على من نزل عليه من احياء المسلمين الأ يفلى لحيته إلاً الجوارى الحرائر من المسلمين حتى أنتهى الى ناحية زهانة فنزل على مياههم ومعه وانيتن بن يلاتس وعبد الله بن يزيد وسليمان بن دوستن من بنى يجدلتن فأرسل عبد الله بن وانيتن ورجلا مِن الجند معه لحشد زهانة فلم تزل زهانة تتوانا بهما حتى تهور الليل فضرب الحارث بن يردون عنق الجند وكتف عبد الله وظعنوا الى الجزيرى ولم يشعر إلا وقد احاطوا به وبجنده فقتلوهم ولم يفلت منهم أحدً إلا من أراد الله ثم خرج سليمان بن دوستن بالجند في طلبهم فلم يحسن الدلالة وأخذ بهم طريقا قليل المياه حتى بلغ بهم الاحمَرَ موضعاً معروفاً فرجعوا خائبين ، فلما انس المسلمون من انفسهم قوةً في حيز طرابلس اجتمعوا فاظهروا ان اجتماعهم في شأن امرأة صالحة إسمها مسلمة اساء اليها زوجها فلما اتقنوا رأيهم وحضر كل من ينظر اليه عقدوا الولاية لابى حاتم عام اربعة وخمسين فارسل اليهم والى طرابلس خمسمائة فارس فقاتلهم ابو حاتم فهزمهم فتفقد رحمه الله القتلى فوجد بعضهم قد جرد فغضب وقال ان لم تردوا اسلابهم اعتزلت ولايتكم فردوا الاسلاب واجابو الطاعة وتابو مما اقترفوا واتاه جيش ثان من افريقية فتلقاهم قرب قابس فهزمهم ودخل طرابلس مع هزيمتهم واقام بها اشهرا فلما تعدلت احولها واستقام امرها خرج يبتغى افريقية فنزل على القيروان فحاصرها أشهراً بل سنةً ففتحها الله له .

وقال ابن سلام بن عمر كان عاصم السدراتى من اشد الناس على الاعداء مع ابى حاتم وسموه في قثاء ونادوا من فوق السور أين عاصم

السدراتى قتلناه فخادعهم أبو حاتم حين كمن لهم في وادى رقادة وتقدم ماحكاه ابو زكريا ان قصته وموته مع ابى الخطاب ، والاقرب ما رواه ابن اسلام لانّه قال رويته عن سليمان بن زرقون وفي كتب المخالفين ما يدل على انه كان حيا بعد ابى الخطاب والله اعلم .

قال ابن سلام اقام ابو حاتم بالقيروان سنةً فيما روى سليمان بن زرقون وكان عامل الجند بها ابن الاشعث ، قال اخبرنى سليمان بن وكيل الزهانى عن خبر والده وكيل بن محمد وكان وكيل مِّمن حضر حصار القيروان مع ابى حاتم قال سليمان ان محمد بن الاشعث هو أمير المحصورين فاقاموا في حصارهم سنتين .

قال ابو زكريا حاصرها سنةً والقوا بايديهم وانحاز الجند مع ابن الاشعث في دار الامارة فحاصرهم فيها سنةً ، وقال الرقيق ان الجند اخرجوا من افريقية محمد بن الاشعث عام ثمانية واربعين في ربيع الاول وان المحصور عمر بن حفص بن هزار مرد وبلغ الجهد بالحصار حتى انتهى اوقية ملح بدرهم ، فلما فتح الله عليه اخرج الجند واحسن السيرة واعطى لكل خمسة قربةً وخشبةً يحملون بها قربتهم وخنجرا يصلحون نعالهم كذا قال ابو زكريا وابن سلام واعطى لكل واحد رغيفا واجلاهم من مدينة القيروان ، ثم ارسل ابو جعفر يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب في ستين الفا وما انضم اليه فخرج ابو حاتم من القيروان يريد طرابلس فغدر اهل القيروان باصحابه فرجع اليهم من طرابلس فقاتلهم فانهزموا .

واتبعهم جرير بن مسعود المديونى ورجع هو الى طرابلس ينتظر قدوم يزيد فبلغ فى جمادى الآخرة عام خمسة وخمسين ومائة وانضمت اليه الجنود واستمد بمليلة ومن يدين بطاعتهم على قتال ابى حاتم ومعهم ايضا عمرُ بن مطكود النفوسى ، قال ابو حاتم من أمدهم قالوا مليلة فدعى عليهم فلم يزالوا في مذلة من الجند الظلمة لا ينقطع عنهم دون البربر وقيل كان في ستين الفا من اهل خراسان وستين الفا من اهل البصرة والكوفة والشام

وانضم اليه الجند الفارون من افريقية ومن امده من قبائل البربر ويوسف الفرطيطى وجماعة من قبائل البربر من هوارة وغيرهم وجعل يزيد مقدمته سالم بن سوادة التميمى فالتقى بابى حاتم فهزمه ابو حاتم وقتل منهم ما قتل وبلغ الباقى يزيد .

وقال عمر بن مطكود ليزيد استند بجبل غربى جندوبة فلما التقى الجمعان مات ابو حاتم في أهل البصائر من اصحابه ومَنْ يلتمس الشهادة .

قال ابو زكريا سمع ابو حاتم بطوالع اقبلت من المشرق فتلقاهم بموضع يدعى مغمداس فهزمهم الله ومنح اكتافهم له وقتل منهم نحو ستة عشر الفا وحاور رجل من الجند رجلا من اصحابنا بأن قال له ما تفسير تورغا يعنى موضع قتل فيه ابو الخطاب ومن معه فأجابه بان تفسيره مغمداس فيه اربعة اكداس في كل كدس اربعة آلاف وقد تقدم ان ابا الخطاب قاتل الجند بمغمداس وهزمهم وقتل منهم بشر كثير اما ان يكون قتال ابى حاتم لهم به ثانيا واما سهو من ابى زكريا لان قتال ابى الخطاب لهم به مشهور ذكره ابن سلام والرقيق .

وقال ابو زكريا موضع مقتل ابى حاتم وموضع المعركة يستضىء كل ليلة نورا ويبصر ضياؤه من مكان بعيد ساطعا في الهواء ممتدا صاعدا ، قال ذكر بعض اصحابنا من اهل عصرنا انه رآه وهو نور ساطع وضياء عظيم .

قال وحدث يعقوب بن يوسف الباجرانى الملقب بابن منصور انه مر ومعه رفيق وقد سكنا بجبال تلك النواحى في احياء من البربر فجاز بموضع المعركة بليل مظلم فرأيا به نورا ساطعا وضياء ممتدا بين السماء والارض فشقاها فاستبان لهم في المعركة اثر الهوام الصغار من شدة الضياء وقوة النور فخرجا منها فالتفتا فاذا النور خلفهم ممتد بين السماء والارض وقد احاطت به الظلمة وحفت به من جميع جهاته وجوانبه فصارا يدعوان الله تعالى ويرغبان اليه حين توسطا المعركة وكان شجاعا قوى المرة شديد

الطبيعة .. انتهى كلامه .

وقد اشتهر عندنا من غير ان اراه ان النور ينزل على قبره وقيل لم يزل ينزل حتى دفن الى جنبه اعرابى فكف والله اعلم .

وبتلك الجهة مقبرة يقال انها للذين ماتوا عنده يوجد باطرافها تراب احمر يقال انه دمهم لم يغيره الزمان يتبرك الناس به ويحملونه للمرضى وهذا في مثلهم ليس بغريب وقد شاهدت بنفوسة دماء رجال ثلاثة سفحت على صفا مسيل ماء المطر مضى عليها مئون من الاعوام وهى باقية وكل ما وقع مطر جرى عليه الماء ومسحته بثوبى مبلولا بالريق فاثر فيه وشممته فاذا هو رائحة دم ، وحكمه عند العلماء الطهارة كذا ذكر الشيخ ابو يحيى في كتاب الطهارات والمارة يدعون الله عندها لانهم صالحون ففتك بهم هناك ، وقال ابو زكريا ابو الخطاب امام ظهور وابو حاتم امام دفاع وانه يرسل ما زاد على ما يحتاج اليه فما جمع من الزكاة لعبد الرحمن بن رستم قبل ان يتولى الامور ولاية الظهور .

ومنهم عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى الملك الفارسى تقدم ارتحاله الى ابى عبيدة واخذه العلم منه ودعا العجائز له وقدومه المغرب وتوليته افريقية عاملاً لابى الخطاب وهروبه الى المغرب ونزوله بسوفجج وحصار ابن الاشعث له وامتناعه منه وقول ابن الاشعث هذا سوفجج لا يدخله الا دارع أو مدجج وبقى لنا ان نتكلم على ولايته وسيرته وعدله وورعه وزهده في الدنيا ورفضه لها اذ تمكن منها وبنيانه مدينة «تيهرت» .

قال ابو زكريا حَدَثَ غير واحد من اصحابنا ان عبد الرحمن بويع بالامامة عام ستين ومائة وقيل عام اثنتين وستين بتيهرت وكانت تيهرت غياطيل واشجار ملتفة يسكنها انواع السباع والوحوش ارضها لقوم من البربر فلما اذن الله بعمارتها بالناس .

قال ابو زكريا ان بقية المسلمين ورؤساء العابدين وكبراء الزاهدين

وجماعة المؤمنين اتفقوا ان يتخيروا موضعاً يبنون فيه مدينةً لتكون حرزا وحصناً للاسلام فارسلوا الرواد فطافوا اطراف تلك البلاد فاستحسنوا موضع تيهرت فاتفق رأى المسلمين على بنائها فجعلوا لاهلها عليها خراجاً معلوماً ياخذونه من غلتها فامروا مناديا فنادى باعلا صوته منْ بها من الوحوش أن أخرجوا وارتحلوا فانا مريدون عمارتها ونازلون بها واجعلوا ثلاثة ايام ، قال ابو زكريا وذكروا انهم رأوا بها وحشا تحمل اولادها في افواهها يعنى سباعاً والله اعلم وهى خارجة من تلك الاشجار والغياطل فرغبهم ذلك فيها وزادهم بصيرة في عمارتها فلما تم الاجل ارسلوا فيها نارا فاحرقت ما ظهر من الاشجار وبقى الاصول والعروق فجعلوا في اطرافها حيسا مدفونا فلما جن الليل حفرتها الخنازير لرائحة الحيس فقلعوا جميعه فاقترعوا بين اربعة امكنة ايها يجعلون المسجد الجامع فوقعت قرعتهم على مكان الجامع فاختطوها دورا وقصورا وبيوتا فلما بنوها أنسوا من أنفسهم قوة فنظروا من يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا جماعة كل واحد صالح شجاعة وعلما وتقى فاتفق رأيهم على عبد الرحمن لفضله وكونه من حملة العلم ولكون المسلمين أرادوا تقديمه قبل ابى الخطاب وامتنع لاماناتٍ كانت تحته للناس وودائع ولكونه عامل ابى الخطاب على افريقية وما والاها ولأنه لا قبيلة له تمنعه اذا تغير عن طريق العدل فبايعوه على اقامة كتاب الله وسنة رسوله واتباع الخلفاء الراشدين فقبلها على ذلك واقام بأمر الله وزهد الدنيا بعد ان تمكن منها فلم ينقم احدٌ عليه في خصومة ولا حكومة ولا اخذ مال ولا اقامة حد ولا ميل الى الدنيا ، فلما اشتهر عدله واتصلت اخباره بذلك وتواترت اخباره بالمشرق والمغرب بعث له اهل البصرة بثلاثة احمال مال فلما بلغت الرسل الى تيهرت الفوا الامام فوق دار يطينُها والعبيد يناولونه الطين فسألوا العبيد أن يستأذنوا لهم على الامام وقد سمع قولهم وما طلبوا فنزل وغسل الطين فاذن لهم فدخلوا فسلموا ورد عليهم وفتت لهم خبزاً وعصر عليه عكة فلما اكلوا خلصوا

نجيا .

قال ابو زكريا واجتمع رأيهم على أنهم رضوا عنه واتفقوا على ان يدفعوا له المال فلما اتوه بالمال نادى الصلاة جامعة فلما صلوا شاور أخيار المسلمين وذوى الرأى والفقه منهم فأشاروا عليه ان يفرقه فى ذوى الحاجات ففعل وذلك بمحضر الرسل فلما رجعوا اخبروا بما رأوا وشاهدوا من عدله ارسلوا له بما يقرب من عشرة احمال او يزيد بقليل فلما وصلوا الى تيهرت وجدوا البلد قد تغير عما تركوه عليه فوقع فى نفوسهم وسيأتى سبب ذلك ان شاء الله فلما تلقوا الناس سألوهم عما اتوا به قالوا مالٌ للامير قالوا ان قبله منكم فلما بلغوا وجدوه على حاله الذى تركوه عليه فاخبروه بالمال قال قد علمتم السيرة فنادى الصلاة جامعة فلما صلوا واجتمعوا شاورهم على عادته قالوا الرأى اليك فلما ردوا الرأى اليه قال للرسل ارجعوا بمالكم فان اربابه احوج اليه منا لأنا فى ارض قد استولى عليها العدل وهم فى بلد غلب عليهم الجور يدارون به على أنفسهم وماهم ودينهم وبسط هذه الاخبار في كتاب ابن الصغير ولم يحضرنى وقت جمعى لهذه السيرة .

قال ابو زكريا فشق ذلك على الرسل ولم يكن لهم بد من طاعة الامام فردها الى المشرق فتعجبوا من زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة واعترف كل اباضى بامامته ووصلوه بكتبهم ووصاياهم .

ومن ائمة المغرب ومشاهد اشياخها وقادة أهلها عاصم السدراتى وكان من حملة العلم عن ابى عبيدة مسلم وتقدم بعض اخباره مع ابى الخطاب وكان من خيار من صحبه واشتهر موته بحصار القيروان بسُمّ فى قثاء وهو مع ابى الخطاب كما قال ابو زكريا او مع ابى حاتم كما قال ابن سلام ، قال الرقيق عسكره ستة آلاف وكان رحمه الله تعالى جمع العلم والعمل والجهاد والحزم وشدة العزم والرأى وحيد الدهر وفريد العصر .

ومنهم ابو درار الغدامسى وقد تقدم ذكره في حملة العلم عن ابى عبيدة وهو احد الشيوخ المشهورين فى العلم والتعليم والعمل والورع اخذ عنه جماعة واسمه اسماعيل بن درار وهو السائل لابى عبيدة عند الوداع بعد أن تعلموا عنده خمسة اعوام عن نحو ثلاثمائة مسألة من مسائل الاحكام فقال ابوعبيدة اردت ان تكون قاضيا يا ابن درار فقال له ارأيت ان ابتليت بذلك يا شيخ فابتلى بالقضاء ، وممن أخذ عنه مامد بن يانس الدركلى النفوسى رحمهما الله .

ومنهم عبد الاحد بتخفيف الدال ابن تلانيس المزاتى وهو من رؤساء اصحاب ابى الخطاب ومن كبرائهم وحضر معه المشاهد واستشهد معه .

ومنهم عمر بن تمطنين وابنه يحيى ، وأخوه ابو حميد وهم من خيار جند ابى الخطاب وممن حضر معه المشاهد واستشهدوا معه .

ومنهم عمر بن يمكتن ساد اهل زمانه علما وعملا وسارع الى الخيرات قولا وفعلا ، قال ابن سلام كان عالما من علماء المسلمين قال اخبرنى ابو صالح النفوسى بتوزر قبل سنة اربعين ومايتين ان اول من علم القرآن بجبل نفوسة عمرُ بن يمكتن علمه بمنزل يقال له ايفاطمان ، قال ويقال ان عمر بن يمكتن انما تعلم القرآن بطريق مغمداس يتلقى فيها السائلة والمارة من المشرق فيكتب عنهم لوحة من القرآن وينصرف فاذا حفظه رجع الى المحجة فيكتب من المارة والرفاق كذلك حتى حفظ القرآن وتعلم العلم قال وهو اصغر ولد دمرا الحمدانية بنت درجوا امرأة يمكتن ، قال وذلك لحرصه على طلب العلم والقرآن فى اول الاسلام وقل المتعلمون في البلدان وكان عاملا لابى الخطاب على سرت وهو الذى مر عليه اعرابى مقبلا من المشرق فقال عمر له نخشى ان يغفلنا محمد بن الاشعث فاجابه بانه لا يأتيكم بغفلة وهو في جند امير المؤمنين رجال مشمرين وخيل مضمرات وسيوف مهندات بل يأتيكم نهارا جهارا فيعطى الله الغلبة لمن يشاء وهو رحمه الله من خيار المسلمين واستشهد مع ابي الخطاب وهو صاحب لواء لواته .

قال ليس للواته مع ابى الخطاب إلا لواء عمر .

ومنهم موسى بن عبد الله بن يمكتن ، وأخوه ابراهيم وهما من خيار جند ابى الخطاب رحمهما الله .

ومنهم اوس بن عمر الهوارى ، وابو يحيى الهوارى ، قال ابن سلام ومع ابن الخطاب ليلة الجند بمغمداس من خيار قادة البربر في محاربته الجند ابو يحيى الهوارى واوس المزاتيان وكانا من خيار جند ابى الخطاب ومن مشاهير اصحابه .

ومنهم محمد البدى ، وسعيد بن قايد المزاتى وهما ايضا من جند ابى الخطاب .

ومنهم ابن مغطير النفوسى الجناونى وكان شيخا فاضلا فقيها مفتيا كان ممن اخذ عن ابى عبيدة مسلم ثم قدم بعد الخمسة المذكورون فانتقل عن الفتيا وقال انى اخذت عن ابى عبيدة ولم يحرر لى المأخوذ به عنده من الاقوال وهؤلاء اخذوا آخرا وقد حرر المختار عنده من الاقوال .

وفى كتاب سير مشايخ نفوسة ومثله لابى زكريا ان امير المؤمنين عبد الوهاب بن عبد الرحمن حين كان بجبل نفوسة تخاصم عنده رجلان فتكلم المدعى فاسترد الامام المدعا الجواب فلم يجب بشىء بل تكلم بما لا ينبغى فقال الامام هل هاهنا ابن مغطير قالوا لا قال الامام قوما الى غدٍ ثم اختصما من غد فأبى من رد الجواب قال الامام هل هنا ابن مغطير قالوا لا فقال ارتفعا الى غد فلما اختصما امتنع من رد الجواب فقال الامام أبلمجلس ابن مغطير قالوا لا فلما كان اليوم الرابع وامتنع من رد الجواب وكان ابن مغطير حاضرا فى ناحيته مستغشيا بثوبه قال الامام ابلمجلس ابن مغطير فلم يتم الامام قوله الا وقد وثب ابن مغطير على الممتنعِ فوطئه بركبته وصاح اغثنى يا امام ادركنى يا امير المؤمنين فامره الامام بتركه فتركه فاسترده الجواب فاجاب واذعن للحق وكان ابن مغطير شديد الشكيمة قوى العريكة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ومنهم ابو داود القبلى من بلاد نفزاوة وكان شيخا مشهورا عالما ممن اخذ العلم عن ابى عبيدة بل احد الخمسة واخذ عنه وكان الامام عبد الوهاب مع كثرة علمه اذا جلس بين يديه كالصبى امام المعلم ، وفى كتاب سير اشياخ نفوسة إن أبا عبيدة قال له لا تفت بما سمعت منى ولا ما لم تسمع وقال للامام عبد الرحمن افت بما سمعتَ وما لم تسمع وقال لابى الخطاب افت بما سمعت منى .

ثم الطبقة الذين من بعدهم

منهم الامام الباسل الشجاع التقى اللين الحليم امير المؤمنين عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن دوستار بن سابور بن بابكان ابن سابور ذى الاكتاق الفارسى بويع بالامارة بعد ابيه عبد الرحمن بمدينة تيهرت بنحو شهر وذلك انّ عبد الرحمن لما حضره المْوت جعلها شورى بين اشياخ المسلمين ، مسعود الاندلسى ، ويزيد بن فندين ، وابى قدامة اليفرنى ، وعمران بن مروان الاندلسى ، وابى الموفق سعدوس بن عطيدة ، وشكر بن صالح الكتامى ، ومصعب بن سرمان ، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن فتدافعوها فاجمعوا على احد اثنين مسعود وعبد الوهاب ثم مال الاكثرون والعامة الى تولية مسعود فبادروا الى مبايعته فبلغه الخبر فاختفى فارادوا عبد الوهاب وخرج مبادرا ليكون أول من بايع عبد الوهاب ومَال ابو قدامة الى مبايعة عبد الوهاب لان ام عبد الوهاب يفرنية وطمع ان يؤثره على من سواه فتكلم هو واصحابه حين ارادوا مبايعته ان لا يقطع امراً دون مشورة جماعة من المسلمين معلومة فقال مسعود وجماعة المسلمين لا نعلم شرطا في الامامة الا ان يحكم بيننا بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام واثار الصالحين قبله ، فسكت يزيد واصحابه عن ذكر الشرط حين رد عليهم المسلمون فأوِّل من بايعه مسعود وتتابع المسلمون ثم بايعه المسلمون بيعة عامة فحملوه الى دار الامارة فلم يتخلف عن بيعته احد ولم ينقم عليه احدٌ حكما ولا امرا وكانت تيهرت مدينة عظيمة بناها عبد الرحمن في موضع مربع ولذا سميت تاقدمت وتفسيرها الدف وقد تقدم انها ارض لقوم وهم بعض صنهاجة ومداسة مستضعفين فراودهم عبد الرحمن على البيع فامتنعوا فمن ورعه وعدله ان اتفق معهم ان ياخذوا الخراج من الاسواق ويتركوا الناس يبنون ففعلوا وكانوا ياخذون ما عليه الاتفاق .

ثم ان عبد الوهاب لما تمت بيعته قدم الراغبين عن الامور وآخر

الراغبين فيها فوقع في نفس ابن فندين وسقط فى يده جماعةٌ من اهل الرغبة في الولايات فجددوا فيما امسكو عنه من الشرط اعنى قولهم لا يقطع امرا دون جماعة معلومة من المسلمين التماسا لشق العصا وسلما للتفريق فالتمسوا عزل بعض الولاة لغير سبب فشاور جماعة من اهل الصلاح فأبوا الا بحدث فاكثروا الحديث والنجوى فسموا نجوية وخادعوا الناس باقوالهم واضطربوا فاذا لقوا من لا بصيرة له في الدين قالوا شرطنا أن لا يقطع امرا ولا يقضى دون جماعة معلومة واذا خلوا باخوانهم قالوا قدم علينا من نحن اولى منه بالتقديم وقد ولينا الامر على ان يقدمنا ويرفع درجتنا فاخرنا واذا لقوا الضعفاء قالوا لا تجوز امامة رجل اذا كان في المسلمين من هو اعلم منه فافشوا القيل والقال وارتحلوا الى خارج المدينة والى الجبال ليتمكنوا من قلوب الضعفاء ومن لا بصيرة له ولتتم كلمتهم فاصطلح جماعة المسلمين ومن لا يريد الافتراق وشق العصا مع ابن فندين ان يكتبوا الى اخوانهم وعلمائهم بالمشرق فيعملون بموجب ما يرونه ويجيبونهم به فاختاروا من يرفع الكتاب وكتبوا ما وقع به الخلاف وحمله الامناء ، فلما بلغوا مصر صادفوا بها شعيبا ابا المعرف وشيعته وقصوا عليه الاخبار وما جرى من موت الامام عبد الرحمن واتفاق الناس على تقديم عبد الوهاب وذكر يزيد بن فندين الشرط الذى شرطه وسألوا سائر العلماء الذين بها واتفقت الفتيا على ان الامامة تامة والشرط باطل ، وقد كلف اهل المغرب لحمل ما كتبوا رسولين أمينين عند الجميع فلما قدما مكة مع من معهم ألفوا بها الربيع بن حبيب ووائل بن ايوب ومخلد بن العمرد وغيرهم من المشايخ ففهموا ما سألوهم عنه واتفق رأيهم على ان يكتبوا لهم جواب ما سألوا عنه ولم يألوا جهدا في النصح واجتهدوا في النظر لله ولدينه ولاهل دينه ثم كتبوا الكتاب والقاه مخلد بن العمرد الى عبد الرحمن بن محمد بن مسلمة فدفعه اليه وامره بنسخه ليكون حجة للمسلمين بعدهم ، ومن جملة ما تضمنه الكتاب ان الامامة تامة والشرط باطل وان القول قوله

وانه مصيب وله ما صنع الا اشياء عابوها عليه وامروه ان يرجع عنها فكان قوله انه لم يفعل ذلك مقال انه كان غلطا منى في كتاب كتبته في اسنان الابل ولم يكن بقصد .

وكان شعيب حين اخبره الرسولان بمصر عن امر المغرب خرج من غير مشورة المسلمين ومشايخ مصر بل نهاه خيارهم ان يخرج الى المغرب فخرج ومعه ابو المتوكل من اصحابه وجماعة من شيعته فجدوا السير طمعا فى الولاية وقيل وردوا تيهرت في عشرين يوما وانضوا رواحلهم واعجفوها فنزلوا عنها وكانوا يسوقونها سوقا ، فلما وصل تيهرت بمن معه دخل على الامام عبد الوهاب فسأله الامام رضى الله عنه عن امام ولى بشرط ان لا يقضى امرا دون جماعة معلومة فاجابه شعيب ان الامامة صحيحة والشرط باطل وسأله هل يتولى الامامة رجل وفي جماعة المسلمين من هو اعلم فاجابه بجواز ذلك ، ثم أن شعيبا خرج فتوجه نحو ابى قدامة واصحابه فاطمعوه فى الامور قيل فندم على فتياه التى تقدمت فوازر ابن فندين على الامام فخرج من كان ينظر اليه من النكار من المدينة الى الجبال والمنازل فاكثروا التناجى ثم اجتمعوا بكدية فاظهروا انكار امامة عبد الوهاب ولذلك سموا نكارا وسموا نكاثا لنكثهم بيعة الامام ثم اكثروا دخول المدينة بالجماعات فكلم بعض المسلمين الامام ان ينهاهم فنهاهم فلم يشتغلوا به فكلمهم في خروجهم من المدينة الى المنازل وجبال المدينة فقالوا هذه مدينتنا وتلك منازلنا فان عصينا فى خروجنا من المدينة انتهينا ثم صاروا يدخلون المدينة بالسلاح فنهاهم عن امساك السلاح فقالوا ان كان معصية تركنا وخاف من غدرهم فامر اهل المدينة ان يأخذوا حذرهم واسلحتهم فلما لم يجدوا غفلة ارادوا ان يكيدوا الامام فيقتلوه فتكا او غيلة .

قال ابو زكريا بلغنا ان جماعة منهم تواثقوا على غدر الامام رضى الله عنه فالتمسوا الحيلة فى الوصول الى ذلك فاداروا الرأى بينهم فلم يتجه لهم فقام منهم رجل فقال اجعلونى فى تابوت واجعلوا قفله فى داخله فالتمسوا

وصولى الى بيته فعمدوا الى تابوت فجعلوه فيه فاظهروا انهم يتخاصمون على ما فيه وان كل واحد لا تطمئن نفسه بتركه عند خصيمه ورغبوا الى الامام ان يكون عنده الى ان يتفقوا فاجابهم فلما حملوه استراب ثقله وكون قفله من داخل واتفقوا مع صاحبهم اذا قتل الامام اذن لصلاة الصبح فيضعون السلاح في اهل المدينة وتهيأوا لذلك واستبشروا بنيل المطلوب ، فلما جاء الليل وقضا الامام ورده من الصلاة وغيرها من نظر الكتب وكان من عادته اذا فرغ من الصلاة اخذ كتابا ينظر فيه ، ثم عمد الامام تلك الليلة الى زق منفوخ فالقاه على فراشه والقى عليه رداء ابيض واخفى السراج وتنحى ناحية لما وقع فى نفسه من الريبة فلما سجى البيت وهدى وسكنت حركة الامام ظن انه نام فتح التابوت وخرج فتأمل البيت فظن ان الزق هو الامام فضربه بالسيف وظن بالفوز والظفر بالبغية فاخرج الامام السراج وسقط فى يده فقتله الامام وكان شجاعا بطلا فرده فى تابوته فتسمعوا للاذان فاقبل بعضهم فلما لم يسمعوا علموا ان صاحبهم لم يفعل شيئا فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الامام وصاحبهم وهل سمع اذانا او شيئا فاجتمعوا الى الامام وقالوا اتفقنا ونريد تابوتنا قال اذهبوا الى موضعه الذى تركتموه به فخذوه فذهبوا فحملوه الى مأمنهم فاذا صاحبهم قتيلا فخيب الله سعيهم واظهر بغيهم واخلف ظنهم فخرجوا منها خائفين ان يجازوا بما صنعوا .

ثم ان شعيبا ابا المعرف حرض ابن فندين على مناجزة الامام بالقتل خشية ان يرجع الرسولان من المشرق فتقوم عليهم الحجة فينتقض ما ابرموا وينفتق ما رتقوا لانهم زينوا للضعفاء امورا وزخرفوا لهم ما يحسبونهم به محقين فصاروا ينتظرون الغرة والغفلة فخرج الامام يوما لبعض حوائجه فانتهزوا الفرصة فبادروا المدينة ففطن بهم قبل دخولها فتلقاهم الناس .

وكان افلح بن عبد الوهاب يمشط رأسه وقد ظفر منه نحو الشطر وبقى الشطر فاخذ سلاحه وترسه فوقف لهم على باب المدينة وقد كادوا

يدخلونها ونشب احدى رجليه على العتبة السفلى من باب المدينة فانسلخ رجليه الى العرقوب وجالدهم حتى لم يبق في مدرقته ما يصلح ان يكون وقاية فاخذ احدى مصرعى باب المدينة فاتقى به وابن فندين بين يديه يضرب الناس يمينا وشمالا وعلى رأسه بيضتان فضربه فقسمه نصفين فنشب السيف في الصفا من شدة الضربة فلما مات انهزمت اصحابه فقدم الامام فوجد القتلى على باب المدينة فصلى عليهم جميعا طمعا في اجتماع الكلمة بعد الفرقة ، وقيل عدد القتلى تقرب من اثنى عشر الف قتيلا والله اعلم ، فارادوا جماعة رد الباب عن المصراع الذى نزع افلح فلم يقدروا فقالوا له اردد ما نزعت فقال ارددوا علّى غيظى ارده .

ثم ان شعيبا انهزم مع القوم وانتقل الى طرابلس واظهر البراءة من عبد الوهاب وقال قتل المسلمين واستقبل الحاج بمثل ذلك فبرىء منه الربيع ومن ابن فندين وممن قتل معه الا من تاب .

قال ابو زكريا كان الربيع بن حبيب يقول فى مجلسه عبد الوهاب امامنا وثقتنا وامام المسلمين اجمعين ويظهر البراءة من شعيب ويزيد بن فندين وعوتب على براءته من شعيب من غير حدث ، قال وأي حدث اعظم من براءته من عبد الوهاب امير المؤمنين ، ورأيت في رسالة تنسب الى الربيع ومخلد ووائل ان شعيبا خرج من البصرة مستخفيا لا يعلم به الربيع ولا غيره من المسلمين ولا اين توجه إلا خاصته الذين هم على رأيه فقدم مصر وبلغه وفاة ابن رستم رحمة الله عليه ومغفرته وجازاه عن الاسلام واهله خيراً وان شعيباً وابا المتوكل ونفرا من اهل مصر كانوا فى مجلس لهم وان شعيبا تكلم فزعم ان الربيع رحمه الله كذاب خائن مخلف جاهل فشهد عليه بذلك رجلان من المسلمين شهدا ذلك المجلس وهما من صلحاء المسلمين وخيارهم فلم يلبث شعيب ان خرج بغير مشاورة من اهل مصر ولا رأى منهم ولقد نهاه خيارهم ان يخرج الى المغرب فخرج وهو عند المسلمين بأقبح المنازل حتى قدم على عبد الوهاب رحمه الله وقد

كان من امر ابى قدامة واصحابه ما قد كان من منازعتهم امامهم عبد الوهاب رضى الله عنه ، فقال ابو قدامة وناس من اصحابه لعبد الوهاب اعتزل امرنا حتى نولى امرنا غيرك وكثرت منازعتهم فى ذلك حتى استقام رأيهم على ان يبعثوا رسولين ويكف بعضهم عن بعض حتى يرجع اليهم رسولاهم وجواب كتابهم من عند المسلمين فما اتاهم من قبل المسلمين اخذوا به واجتمعوا عليه فقدم رسولاهم مكة وبها يومئذ الربيع وجماعة المسلمين فقرأوا كتابهم وسألوهم ثم نظروا واجتهدوا ولم يألوا جهدا فيما يوافق الهدى والعدل وفيما يصلح الله به امر المسلمين فكتبوا به وبعثوا به مع رسوليهم فلم يصل الرسولان ولا كتابهما الذى رجوا منفعته وصلاح امرهم فيه حتى خرج ابو قدامة واصحابه فعسكروا حيث شاء الله ثم ان ابا قدامة ومَنْ معه ساروا الى عبد الوهاب والمسلمين وهم في منازلهم وبدوا بالقتال فاقتتلوا فقتل من بلغ اجله فقدم الحاج فيهم من كان مع عبد الوهاب والمسلمين ومنهم من كان مع ابى قدامة ومن معه فذكروا ان المسير كان من ابى قدامة واصحابه الى المسلمين وان عبد الوهاب كان مقيما فى منزله وعسكره حتى غشيهم ابو قدامة ومن معه فقامت البينة العدول فيما علمنا ان البداءة كانت من ابى قدامة ، وان شعيبا كان الرسول فيما بينهم وامر اصحاب ابى قدامة بالمسير والقتال وزعم ان دم عبد الوهاب ومن معه حلال وشجع القوم وهو امر بذلك واعجلهم من ان ياتى رسولاهم وجواب كتابهم وكان تصديق ذلك عند المسلمين على شعيب انه لما كان من قتل اصحاب ابى قدامة ما كان خرج منها شعيب وقدم طرابلس فاظهر البراءة من عبد الوهاب ومن معه واحل دماءهم فاستقبل الحاج فاظهر مثل ذلك ، فلما رأى الربيع والمسلمون معه ما كان من شعيب ومن مسير ابى قدامة ومن قبله نظروا واجتهدوا في النظر لله ولدينه ولاهل دينه فرأوا ان من عمل بمثل ماعمل به شعيب فهو هالك برىء من الاسلام حتى يتوب ويراجع الحق فاظهروا البراءة من حيث لم يسعه

الا ذلك انتهى كما هو .

وفيها ان اصحاب ابى قدامة ومن قتل منهم قتل باغيا متعديا ومن بقى منهم فهو هالك إلا من تاب وندم وراجع الحق واهله فمن تاب لم يعير بما كان منه وقبل منهم ، انتهى ..

ورأيت فى رسالة اخرى ما هو ابسط من هذا ،·وفيها انهم عزلوا الربيع فى البراءة من شعيب فقال سمانى كاذبا خائنا وبرىء من عبد الوهاب قالوا عبد الوهاب قتل المسلمين فهو احق بالبراءة من شعيب ، ثم ذكر فيها امر عبد الوهاب من اول البيعة وما اشترطوا عليه وارسال الكتاب والرسولين بالجواب الى آخر القصة الا ان فيها بسطا وطولا وقصدى الاختصار .

قال ابو زكريا اصبح ميمون بن عبد الوهاب قتيلا مفرق الاعضاء فقال ابوه اجتمع فيك قول القائل ويل لمن مرت الخيل بكساه وويح لمن اصيب بليل واذا مسست ابن السلطان فامسسه مسا عنيفا ثم استعمل ابنه جابيا للصدقة فلما بلغ الى النكار قالوا يابن المهدور دمه فاخبر جده بقولهم فاستثبت فصح عنده انهم قتلوه فارسله اليهم فى عسكر فقاتلهم فهزمهم الله ولم يطيقوا احصاء القتلى فنظروا فى اقل الاسماء فوجدوه هارون فاحصوا ما قتل ممن اسمه هارون فوجدوا ثلاثمائة فاوهن الله شوكتهم لعله لما قدم عليهم ابوا ان يدفعوا له القتلى او ناصبوه الحرب فبدأوه بالقتال والا فالمشهور من سيرته انه لا يتبع مدبرا ولا يجيز على جريح ولا يبتدىء بقتال .

ثم تحركت عليه قبائل البربر وكانوا على مذهب واصل بن عطاء اعنى معتزلة وذلك انه لما وقع ما وقع بين الاباضية من انشقاق العصا وكثرت القتلى انتهزوا الفرصة لكثرة عددهم وقوة شوكتهم فاعتذر الامام عبد الوهاب اليهم عادته فى عدم المبادرة الى البسط وسفك الدماء مرة بعد اخرى فمازادهم ذلك إلا شغبا وكانت فيهم ابطال وكان زعيمهم

وحاميتهم ابن قائدهم وسيّدهم فبرز اليه عبد الوهاب فى عساكره فآل امرهم الى القتال فكانت بينهم وقعات ،فلما رأى الامام شدة شوكتهم وكثرة عددهم ارسل الى جبل نفوسة والى عامله بها ان يمده بجيش يتضمن شجعانا وفرسانا عارفين بابواب الحرب ومبارزة الابطال وعلماء بفنون التفسير والرد على المخالفين والحلال والحرام ، وقيل مائة بطل للمبارزة ومائة مفسر ومائة متكلم عارف بفنون الرد ومائة عالم بفنون الحلال والحرام لان الواصلية معهم عالم أعيى من هناك فى الكلام وفيهم شاب لا يبارزه احد إلا قتله ولا يقوم له فى القتال شىء ، فلما ورد الخبر الى نفوسة اختاروا محمد بن يانس ومهديا وابا الحسن الابدلانى وايوب بن العباس ، فلما وردوا على الامام استبشر بقدومهم وقد قدم لغلمانه ان من اتاه بخبرهم اعتق وخرج حرا فلما رأوهم مقبلين كان غلام منهم اعرج على سور المدينة فلما رأى الغلمان يتسابقون علم ان ذلك من قدوم نفوسة فاخبر الامام بقدومهم فخرج حرا فلما بشره الغلمان قال لهم فاز بها الاعرج فارسلها مثلا ، وسيأتى خبرهم عند ذكر محمد بن يانس وكان ينتظر قدوم العسكر الذى فيه كثرة العلماء والابطال فلما دخلوا عليه باربعة استخبرهم عن احوالهم وكل واحد وما يخصه وما ضمن من الخصال التى بعث لهم فيها فذكر ايوب بن العباس انه تكفل أمر المبارزة ومحمد بن يانس تفسير القرآن وانه اخذه عن الثقة ومهدى للكلام والحجة وابو الحسن الحلال والحرام ، وسيأتى التعريف باخبارهم واحوالهم ان شاء الله ثم ادخلهم الى دار الضيافة واجرى عليهم الارزاق وكان للامام مع المعتزلة حروب ومناظرات ووقائع ، وكان الامام من العلماء الراسخين وكذا سائر اهل بيته كما سياتيك التعريف عليهم بعد ان شاء الله فسألهم يوما فقال مهدى ساكفيك امر المناظرة ان شاء الله وقال محمد سأكفيك امر التفسير وكان قد اجلوا اجلا جعلوا الموعد يوما معلوما ، فقال الامام لمهدى وقع بينى وبين المعتزلى فى مناظرتى له كذا وكذا فذكر ما وقع بينهما من الحديث

فكلما زاغ المعتزلى عن الحق وحاد عن الصواب قال مهدى هاهنا ذهب عن الالزام وهاهنا لبس بالشبهة حتى اطلعه على مكامنه وما لبس به وقيل غاب مهدى يوما وهو بتيهرت فرجع مع الليل بعد ان اكلوا عشاءهم فقالوا اين غبت فقال افحمت تسعين عالما من المخالفين فتقدم الى عشائه فصادف عجين غدائهم فلما اخذ بلغته قال اعشاءكم الليلة لم ينضج قال له بعضهم لعلك صادفت العجين فكان الامر كذلك قال حمدت الله فى ثلاث اقضى بقليل من النوم غرضى وباى طعام سددت جوعتى ولا اخشى من مخالف يفحمنى فى حجتى ، فلما بلغ الاجل حضرت المعتزلة اشتكى ايوب من تعب فرسه وحفائها وطلب غيره فادخل الى خيل السلطان يختار ما يريد ويشتهى فكلما اعجبه فرس منها اخذ بناصيته فيجبذه فيكاد يقع على ركبتيه فلم يجد فيها ما يرضيه فقال علىّ بفرسى فاحضر فاخذ بناصيته جابذا له بقوته فما اثر فيه شىء من ذلك فجرّه من الحفاء الذي به فحضر به القتال وبلغ الخبر المعتزلة بقدوم نفوسة ، فلما التقى العسكران تاقت النفوس من الفريقين الى رؤية ايوب لما يسمع الناس من شجاعته وانه المتكفل بفارس المعتزلة وحاميتها الذى يفترس الاقران واعجز الفرسان ، ثم ان الامام دعا المعتزلة الى ترك ما به ضلوا وابو إلا التمادى وطلبوا المناظرة فخرج عالمهم وبرز اليه مهدى بين الصفين ومعه الامام فى جماعة المسلمين ، فقال مهدى لمحمد بن يانس ناظره قال بل ناظره انت ولست باعلم منى ولكن خشيت العرق الذى فىّ من قبل يانس فتناظرا حتى غاصا بحيث لا يفهم ما يقولان من الحاضرين إلا الامام فتمادى بهم البحث حتى خفى عن الامام وغيره فافحمه مهدى فكبر المسلمون فافترقا من المناظرة وقد خزى المعتزلة فخرج حاميتهم طالبا للبراز فخرج اليه ايوب جابذا فرسه حتى ابصر الفريقان فتجاهل حين ازداد الركوب فاضحك الفريقين واستبشر المعتزلة وازدرته اعينهم الا اباه فقال هيهات جاء قاتل ابنى قالوا وكيف ذلك قال الا ترون كيف ادلى فرسه حين ركبه ولا يفعل الفرس

ذلك الا تحت الفارس الحاذق وقيل ان فى سنان حربته ثمانية عشر رطلا فقذفها فى الهواء وهيىء لها رمحه فوقعت فيه مستوية فتمكنت لا تحتاج الى تركيب والناس ينظرون فبارزه المعتزلى قيل سلكه فى رمحه وقيل القاه مجندلا فانهزمت المعتزلة لما ابصرت عميدها وحاميتها قتيلا قيل قتل ايوب منهم قتلى كثيرة وكذا افلح وفات احدهما صاحبه بواحد وقيل ان ايوب قال ضربت شيئا نبا عنه السيف لصلابته فنظروا فاذا هو عمود قسمه نصفين بضربته فدخل المعتزلة تحت طاعة الامام ووضعت الحرب اوزارها وارادوا ان يمكروا بايوب ويقتلوه غيلة او فتكا فارسلوا اليه ليكرموه فمنعه المسلمون او بعضهم فابى الا السير فاخافوه الغدر ولم يلتفت الى قولهم فلما بلغ الى بعض احيائهم انزلوه فى خص فقدموا اليه العشاء ورحبوا به فاكل ما على المائدة وما فيها ومن جملة ذلك شاة ثم قدم اليه وطب لبن فشربه جميعا ثم اخذ فى قراءة القرآن بعد ان صلى حتى اصبح فصلى بوضوئه فامرهم ان يقربوا اليه فرسه فلم يجدوا فرصة لغدره فتكفل لهم بعض فتاكهم بقتله فلما ركب طلبوا اليه ان يعلمهم الفروسية فاجابهم فاخذوا قضبانا يترامون بها فهو معهم فى ذلك اذ حمل عليه المتكفل بقتله ولم يشعر حتى كاد ان يطعنه فتغافل له حتى ضربه فالتقى الضربة وحمل عليه فقتله وقتل معه ثمانية ثم حمل على الجهة الاخرى وقتل ثمانية فقال لنساء الحيّ ايكفيكن ام ازيدكن فقلن يكفينا .

ومن مشهور شجاعته ما ذكرانه جاز على اسد ولبّوة واشبال فقطع ارجلها فجاز على حيّ فقال من يبتغى اللحم المكروه فعليه بالوادى فذهبوا مبادرين فمن كان يأكل المكروه اخذ ، وكان الامام رضى الله عنه كثير المال ممن اتسعت عليه الدنيا وسببه انه كان فى ايام ابيه رحمه الله تاجرا وكانت تيهرت لما اشتهر عدل عبد الرحمن انتقل اليها اهل الاموال والتجار من مصر وافريقية والمغرب لخوفهم على اموالهم من ائمة الجور ، ومن هناك دخلتها الفرق ونفقت فيها السلع مع كونها كثيرة الخصب فعظمت بها

الاموال وكان عبد الوهاب حاذقا بالتجارة واتسعت امواله ، فلما تمكن من الخلافة وانقطعت مادة الفساد والفتنة وهدأت الاوطان اراد الحج فارتحل حتى نزل جبل دمّر وله مسجد مشهور بمسجد عبد الوهاب وله فى تّطاوين مصلى غير مسقف وكنت اتيته فى موعد بينى وبين بعض المخالفين فطلبت من اهل تلك البلاد فسقفوه .

وذكر ابو زكريا ان له مصلى بتلالت والله اعلم ، قال وفى موضع المصلى بلاطة يتكىء عليها اذا قعد مساو بها رأسه وهى اليوم تحاذى رأس الواقف ثم تحول الى جبل نفوسة عازما على الحج فمنعوه خوفا من المسودة ان يمسكوه فتتعطل امور المسلمين وحدود الله واحكام الشريعة قالو له ولا نجد سبيلا الى تولية غيرك وبيعتك فى اعناقنا فارسل رجلا نفوسيا من اهل تمزدا الى ابى عمر الربيع بن حبيب والى ابن عباد وكان مرجع امور المسلمين فاجابه الربيع من كان مثلك فى العناء بامور المسلمين وحمل امانتهم وخاف على نفسه من المسودة ان يعث بحجّه وهو حىّ واجابه ابن عباد ان من كان على هذه الصفة فلا حج عليه لان من شرط الحج امان الطريق ، فلما قدمت عليه رسله اخذ بقول الربيع فارسل رجلا من اهل تمزدا يحج عنه فاقام بجبل نفوسة فى تلك النوبة سبعة اعوام يقرأون عليه مسائل الصلاة ومسجده بميرى فى بنى زمور مشهور الى الآن وتزوجت الفرس ومن مع الامام اماء اهل زمّور فلماراد الرجوع والانتقال الى تيهرت حملوا اولادهم منها فقال ابو عبيدة عبد الحميد الجناونى لاهل زمور خذوا عبيدكم فاخذوهم بعد ان حملوا على السروج ..

ذكر محاصرة مدينة طرابلس

ولما اقام الامام بجبل نفوسة ببنى زمور وقعت بين هوارة وبين جند طرابلس مخالفة فخرج الجند اليهم الى واد الرمل فاقتتلوا فهزم الله الجند الى مدينه طرابلس فاتبعهم من حضر من اهل الدعوة الى المدينة فخرج الجند هاربين الى ابراهيم بن الا غلب وهو عامل لهارون الرشيد على افريقية ومنزله بالقيروان ومات هارون واقره الامين فوجه ابراهيم ابنه عبد الله فى ثلاثة عشر الف فارس سوى الاتباع فقاتل هوارة من اهل الدعوة فبلغ الخبر الى الامام فاقبل حتى نزل طرابلس وفيها عبد الله بن ابراهيم وحاصرها وسد عبد الله باب زناته وكان يقاتل من باب هوارة فاقام عليها زمانا وكانت محاصرته لها عام ستة وتسعين ومائة وهناك مات مهدى النفوسى وذلك انه خرج من العسكر الى شاطىء البحر فسبحوا له حين ابصروه منفردا فسكوه وقطعوا راسه .

قال ابو زكريا اذا قالوا له انهزم المسلمون يعنون الامام ومن معه تعبس واذا قالوا له انهزمت المسودة انبسط وجهه وتبسم وفى كتاب سير نفوسه انهم علقوا راسه على السور فاذا قالوا له انهزم المسلمون انقبض وجهه واذا قيل له انهزم اهل المدينه انفتح حاجبه وتبسم وكل قريب فلما طال الحصار على اهل طرابلس وكان الامام يشاور اصحابه فى المكائد التى يكيدهم بها وكانت المدينه فى غاية الحصانة والمنعة فيخرج ما اتفقوا عليه من الرأى وينقض من اتهم بالاخراج حتى اذا لم يبق الا وزيره مزور بن عمران فلم يخرج لهما خبر فقال الامام لانحاصر المدينة برجل واحد ثم مات ابراهيم بن الاغلب فورد الخبر به الى الامام فاخبر بذلك المحصورين وابنه عبدالله فتصالحا على ان تكون المدينه والبحر للمسوده وما كان خارجا فللامام عبد الوهاب وكانت ايامه بعد ذلك فى سكون واعتدال وعماله الى سرت والى قسطالية وعماله عليها زقون بن عمير ، وارسل الى قابس

قطعان بن سلمة الزواغى فحاصرها وكان خارج قابس مطمامة وزنزفة ودمر وزواغه وغيرهم تحت ولاية نظره وكذا جربه فلما تم حجه وقضى وطره منه بعد مراجعات الى المشرق ومراسلات الى الربيع وكذا طرابلس وماوليها ارتحل راجعا الى المغرب الى تيهرت فطلب اليه اهل نفوسه وغيرهم من القبائل ان يولى عليهم رجلا يستندون اليه ويسندون امورهم نحوه فطلبو اليه وزيره السمح بن عبد الاعلى ابى الخطاب بن السمح بن عبيد بن حرملة المعافرى وقد تقدم بعض اخبار ابيه وولايته المغرب وبعض سيره وعدله وكان الامام عبد الوهاب ظنينا به وكان السمح عزيزا عليه ولم يرد الامام ان يفارقه لكن آثر هواهم على نفسه وعقد له الولاية وتركه فى حيز طرابلس عاملا عليها وقد كان الامام بعث الى الربيع بن حبيب باثنى عشر الف درهم او دينار قال ابن سلام بن عمر على ماحدثه نفاث بن نصر النفوسى قال فاشترى بها الربيع جهازا من البصره وارسل به اخاه الى تيهرت فلما وردها جمع عبد الوهاب تجار تيهرت واشتروا منه جهازه واشتروا له حوائجه فى ثمانية ايام فانصرف راجعا الى المشرق وقال ابو زكزيا حدث بعض اصحابنا ان عبد الوهاب ارسل الف دينار الى المشرق الى اخوانه بالبصرة ان يشتروا له بها الكتب فلما وصلهم الالف اشتروا بها رقا فنسخوا له فيها وفر اربعين جملا كتبا فلما بلغته تشمر وجد لقراءتها ليلا وبعض اوقات النهار وقيل يجرد ثيابه الا السراويل فختمها فقال الحمد لله اذ وجدت جميع ما فيها محفوظا عندى ولم استفد منها الا مسألتين ولو سئلت عنهما لاجبت فيهما قياسا كما رسما فى الكتب وهذا من كثرة علمه وقوه فهمه ونقاء قريحته وتهيىء نفسه لاكتساب العلوم وبيت الرستميين احتوى على علوم كثيرة من فقه واعراب ولغه وفصاحة وعلم نجوم وعن بعضهم انه قال معاذ الله ان تكون عندنا امة لاتعلم اين بات القمر وقيل ان عبد الوهاب بات مع اخت له يتعلمان مسائل الفرائض فلم يطلع عليهما الفجر الا وهما قد تعلماها جميعا

وقال ابن سلام قال قائل من علماء اهل المشرق لااعلم بمن يخرج دماء اهل القبلة فى زماننا هذا الا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب وابو يزيد الخوارزمى يعنى والله اعلم انك لا تتقدم على سفك الدماء الا بفتيا احد الرجلين من غزارة علمهما وورعهما وتحفظهما وقال الامام عبد الوهاب رحمه لله ذاكرت ابا مرداس فى الوجوه التى تحل بها الدماء او باحدها فذكرت احدها فتنكر وتكره فامسكت عن باقيها كذا قال ابو العباس احمد بن سعيد فى كتاب طبقات العلماء والصالحين من اهل الدعوه وكفاك فى فضل الامام وعدله قول ابى مرداس لا اعرف الا الامام ووزيره وهذا الفزاني لم اره وانما اعرفه بكتابه يعنى عبد الخالق وياتى التعريف بهما واخبار الامام وحلمه وشجاعته وعدله وعلمه مشهورة ومقصدنا فى هذا التصنيف مطلق التعريف والتنبيه على بعض الكرامات .

ومنهم الشيخ الافضل ابو هارون من اهل بندوفرك وممن اخذ منه ويروى عنه ابو يوسف بن منيب النفوسى وسيأتى التعريف به ومما روى عنه ماذكر ابو الخير الارجانى عن ابى يوسف بن منيب عن ابى هارون من اهل بندوفرك انه قال ثم من يقول من العلماء بتشريك الشاك فيمن دفع الرأى المجتمع عليه .

ومنهم ابو الخير الارجاني وهو شيخ فاضل مذكور وحقه ان يتأخر عن اهل هذه الطبقة وانما ذكرته لتقدم ماذكروه ورواه عن ابى يوسف بن منيب ولم ارد ان أعيده واما ابو يوسف وان كثرت فضائله فانه يأتى به التعريف مع اخيه بعد هذا ان شاء الله وحق بنى المنيب لكثرة فضائلهم ان يسط فى اخبارهم ولكن القصد من هذا الكتاب التعريف وفى بعض الكتب عن ابى الخير الارجاني انه قعد فى المجلس فى فرسطاء مع ابى محمد الكباوى وابى يحيى الفرسطائى فوقع سؤال عمن لا يفرز بين كبائر الشرك وكبائر النفاق فقال ابو يحيى هو مشرك فانكروا عليه قوله فقالوا له انزع

وتب فخلف بالله لا انزع منها قولى الا ان ينزعه الدرفى يعنى ابا عيسى وهو حى يومئذ فقال ابو محمد الكباوى ارفقوا به صدق لكم .

ومنهم السمح بن ابى الخطاب وقد كان وزيرا للامام عبد الوهاب فطلبه اهل طرابلس الى الامام ان يوليه عليهم وكان به ظنينا فآثرهم على نفسه وقدمه عليهم وقال ابو عيسى الخراسانى فى رسالته الى اهل المغرب فى قضية خلف بن السمح بعد ان ذكر عبد الوهاب واثنى عليه بانه مضى رحمه الله على الرضا من المسلمين والاستقامة لا ينقم عليه احد من اهل الخير عندنا وعندكم ، سيرته فيكم سيرة من مضى من ائمه الهدى وحكم فيكم حكمهم وحربه فيمن حارب حرب من مضى من الاخيار وسيرتهم ولا ينقم عليه احد في حكم حَكَمَهُ ولا فى قسم قسمه ولا فى سيرة سارها بل كان يدين لله عندنا وعندكم بالحق ودين المسلمين ومشاورة الفقهاء واهل الرأى من الصالحين والبصيرة فى الدين ممن كان قبلنا وقبلكم حتى توفى رحمه الله فانا لله وانا اليه راجعون وقد ادركنا ابا ايوب وائل بن ايوب وغيره من الفقهاء بل من الاشياخ ومن بعده محبوبا ابا سفيان بن الرحيل وهم راضون عنه لا ينقمون عنه شيئا والحمد لله وقد كان فيما ابلغنا استعمل على بعض قراكم وبلادكم السمح فكان السمح على تلك الطريقة والاستقامة لا ينقم عليه احد من المسلمين فى حكم حكمه ولا فى قسم قسمه يسير فيهم بسيرة صاحبه واهل التقوى من الائمة قبله ثم مضى لسبيله رحمه الله انتهى كلامه قال ابو زكريا السمح عامل على حيز طرابلس فاحسن فيهم السيرة وعدل فى حكمه فذلك حاله مقرا بامامة عبد الوهاب وناصحا له فى رعيته وراضيا عنه فلما حضرت الوفاة السمح اجتمع اليه وجوه اصحابه وقد استعمل فى طرابلس وحيازها عمالا كثيرة تحته قالوا له اوصنا ومرنا بامرك يرحمك الله فإنا مطيعوك فى حياتك وبعد وفاتك فانك لن تألونا رشدا جزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا فقال السمح اوصيكم بتقوى الله والاتباع لما امركم به والانتهاء عما زجركم عنه

وطاعة امامكم عبد الوهاب وتأييده مادام مستقيما على الحق الذى عليه سلفكم وجهاد من خالفهم فتوفى رحمه الله وفى كتاب «سير نفوسة» ان رجالا من اهل المشرق قدموا زائرين زمان الامام عبد الوهاب فاختاروا من تيهرت الامام ووزيره أبا عبد الاعلى السمح واختاروا من نفوسة ابا مرداس وابا زكريا التكيتى والعباس ولعل الوزير مزور بن عمران لان اشتهار العباس وتوليته بعد السمح .

ومنهم مزور بن عمران وزير الامام وشهرته فى الخير كاف عن التعريف به واخباره وسيرته وحسن سياسته وانصافه ونصيحته للاسلام معروفة .

ومنهم ايوب بن العباس النفوسى من اهل التقى والصلاح والاشتهار فى طرق الخير وسبل الرشاد وكان الغاية فى الشجاعة وقيل انه قال لا اعلم من فاس الى مصر فارسا يبارزنى وله اخبار فى الشجاعة وسير فى الحروب ومعرفة مراسها ومزاولتها خلدت فى بطون الاوراق وقد قدمنا التنبيه عليه فى سيرة الامام عبدالوهاب .

ومنهم ابو المنيب محمد بن يانس رحمه الله المجاهد لنفسه المطيع لربه ذو المناقب الشهيرة والمآثر الكريمة وهو احد الاربعة الذين تكفلوا رد الواصلية الباغين على الامام وهو خصوصا تكفل علم تفسير كتاب الله وانه أخذه عمن وثق به وهو من الاثنى عشر الذين وسموا فى الجبل باجابة الدعاء فى زمان واحد وقد اختص بكثرة الكرامات والتفرغ لفعل الطاعات ، ومن ذلك انه لما ارسل الامام الى نفوسه ان يبعثوا له جيشا يتضمن مائة فقيه ومائة مفسر ومائة مبارز ومائة متكلم أى يقوموا بعلم الكلام وهو اصول الدين فساروا باربعة كل واحد تكفل ماتفعله المائة ، وقيل ان ابا المنيب انما ضمن الحلال والحرام وابو الحسن هو الذى ضمن تفسير القرآن فلما ارتحلوا واستقلوا طلبهم محمد بن يانس ان يولى امر

خدمتهم لما يرجوا فيه من الثواب فاجابوه الى ذلك وكان عادته معهم اذا نزلوا قيد خيلهم واشتعل بعشائهم ثم اذا صلوا واتموا اورادهم وناموا اخذ فى الصلاة الى طلوع الفجر فلما رأوا ما تحمل من المشقة وحمل على نفسه من الطاقة قالوا اترك قيام الليل او خدمتنا وعزموا عليه بترك احدهما قال ترك خدمتكم مما لا سبيل اليه واما قيام الليل فذرونى اصل ركعتين فسامحوا فى الركعتين فقرأ بنصف القرآن فى ركعة وبالنصف الآخر فى ركعة فانفلق الصبح وطلع الفجر فلما نظروا الى ماحمل نفسه من المشقة في طول القيام قالوا ارجع الى عادتك فرجع اليها ونظر اليه بعضهم فى ليلة باردة ذات مطر والريح تضرب بثوبه رجليه والمطر نازل عليه وهو قائم فى الصلاة فقال ان لم يدخل الجنة الا من فعل فعلك اخذته الوحشة فلما رجعوا من عند الامام اخذهم شدة الحر فضربوا خباءهم فدخلوا فلم يدخل فسمعهم يتمنون ما يشتهون تمنى احدهم لبنا وآخر ماء أيندل ولم احفظ ما تمنى الثالث ، وذكر أبو العباس انه رافق رجلين فتمنيا فقال لهما ان الثالث وذكر ابو العباس انه رافق رجلين فتمنيا فقال لهما ان كتمتما ماتريانه يحضر ماتمنيتماه فحل فم السفا فصب منه لبنا وصب للآخر ماتمنى من الماء بحيث لا يشكون انه ماء الموضع اعنى أيندل وأيندل عين بقرب الجزيرة بجبل نفوسه ورأيته بخط عمنا يحيي بن ابى العز فى كتاب السير لمشائخ نفوسة بباء بعد همزة وقد أخذ عليهم او عليهما ميثاقا ان لا يذكر ان ذلك قال ابو العباس ودخلوا في وجهتهم هذه مدينة من المدن فمرت بهم امرأة فى ايدى الشرطة يقتلونها وهى تصيح اغيثونى معاشر المسلمين فاغاثها وسل سيفه فدافعهم وخلصها ثم حملوه الى السلطان فقال ما حملك على ما فعلت فقال لما سمعتها تستغيث بالله والمسلمين لم اتمالك ولم اوف بدينى ان سلمتها فأمعن فيه النظر فقال تركناها لله وايجابا لحقك ثم رجع فوجد أصحابه مستخفين خوف سوء العاقبه فقال قيامى لله وهو اعلم بحالى ، وفى سير مشائخ نفوسة وهو الصواب ان شاء الله تعالى انه كان بمصر وسمع رجلا

يقول انا بالله وبالسلطان ثم قال انا بالله وبأهل المروءة فلم يشتغل به ثم
قال انا بالله وبالمسلمين او قال وبالاسلام وصادف قوله ابا المنيب قد فتح
زق زيت فتركه واغاث الرجل فخلصه من اعوان السلطان ورجع الى
زقه فوجده على حاله لم تنهرق منه نقطة ثم ان الشرطة اقبلوا اليه وحملوه
الى السلطان فقال ما حملك على ما فعلت فقال لم يسعنى فى دينى حين
استغاث بالمسلمين ان اتركه فقال السلطان لاعوانه أفبمثل هذا تأتونى
ولولا هذا ومن كان مثله لم تطلع علينا الشمس فبهم امهلنا الله فقال ابن
يانس مافعلتها لله قط فخرجت دنية ومن شدته فى الامر والنهى انه وجد
رجلا على باب الامير له حاجة عنده والباب مغلق فاخذ يقذف الباب
بالحجارة ويشتم اهل المدينه وكان شديد الغضب فى الله معروفا بالحدة ففتح
الامام الباب واعتذر باشتغاله بغسل الجنابة وعصر لحيته فلما سكن عنه
الغضب قال له الامام وكيف تشتم اهل المدينه وانا وانت في وسطها قال
ان لم نعمل بموجب الشرع فلا محيد لنا عنها ، وهذا من مناقب الامام
اذ تحمل لرجل من رعيته مثل هذا لله ، وقيل انه ضرب ثلاثة اخوة على
الخط فدخلوا عليه ليلا فضربوه حتى اضعفوه فلم يطق اتيان المسجد وعلم
اهل المسجد انه لا يحبسه عنها الا الأمر العظيم فدخلوا فسألوه فاخبرهم
بما فعل به فأرادوا الانتقام منهم فمنعهم مخافة ان ينتصف لنفسه فساروا
صبيحتهم الى اشتغالهم فأخذ أحدهم يسقى الغنم فسقط فى البئر فاخرج
ميتا فصعد اخر الى قنة جبل يجنى الكبار فوقع من اعلاه وقعد الثالث
فى بيت فانتفخت بطنه فعظمت حتى لا يرى احد القاعدين من بالجانب
الآخر فانشقت فمات وذلك فى يوم واحد فنعوذ بالله من عقوبته ومن
عقوق اوليائه ، وقيل انه مكث فى الجزيرة شهرا من غير زاد فصعدت
اليه امرأته ليلة فوافقت وقت الافطار فمال الى أشجار الارض يأكل منها
من رمث وشيح فقال لها كلى فأكلت مما يأكل فصادفته أحلى ما أكلت
فأخذت منه فلما اصبحت نظرته اشجار الأرض فقالت أبهذا عشت فقال لها

نقى قلبك وافتحى يديك واغلقى فاك يجعل الله لك كل عود طعاما او عسلا وقيل إذا اتاه ابو خليل يأخذ عنه العلم عظم مجلسه وإذا أتاه أخوه عمرو بن يانس حقر مجلسه فعوذل على ذلك فقال تعليم ابى خليل لله وتعليم اخيه عمرو ليؤذى المسلمين فخرجا كما تفرس فيهما وكان عمرو بلاء على المسلمين وصاحب خلفا واحدث احداثا على المسلمين ويتبع عوراتهم ويكاتب بها الامام فبلغ ذلك في الامام فكتب اليه اعاذنا الله يا عمرو من النزول بعد الطلوع ومن الترك بعد الاجتهاد ومن بغض المسلمين بعد محبتهم ومن نفاق تخفيه الابدان ومن اشياء ليس لها تجارب فقال بلغوه الكتاب ولا اظن ان تدركوه حيا فوجده حامل الكتاب محمولا على النعش وقيل قسم عمره (١) بين طلب العلم والزيارة والحج وقراءة العلم فعام للحج وعام يذهب زائراً الى تيهرت عند الامام وعام يقرأ العلم عند اسماعيل بن درار الغدامسى وعام يتعبد فيه فى مشاهد الجبل ، قال ابو العباس ان محمد بن يانس كانت له غنمه لا راعى لها فكان اذا اصبح واراد ان يرسلها الى المرعى قال لها انهاك ان تضرى احدا وانهى ان يضرك احد امض فى حفظ الله فتمر أوساط الزرع ولا تضر شيئا ولا تأكل غير الحشيش المباح الذى لاحق فيه للناس حتى تروح اليه سالمة لا يطمع فيها سارق ولايتعرض لها ذئب ولاِ ضبع ، وقال ابو العباس وحدث ان له سبعة مساجد بعضها فى الجبل وبعضها فى السهل ولا تفوته الصلاة فى كل واحد منها وهو ذو تسبيح كثير ..

ومنهم مهدى النفوسى الويغوى رحمه الله المقوم فى علم الجدال الذى له اليد العليا فى البرهان والاستدلال القامع كل ملحد ومحيد والناصر كل مجد مجيد وقد مضى من أخباره فى مناقب امامه وما ردع من شبه أهل

---

(١) اي محمد بن يانس

الزيغ والبدع واشتهر عنه انه احد من صد مكائد نفاث بن نصر النفوسى ومنع انتشار بدعه فى الآفاق وضربت لذلك مثالاً ، وفى كتاب السير ان جماعة اجتمعت فى تنين ان دركل فيهم ابو نصر التمصبصى وهو المفتى وفيهم نفاث بن نصر وهو يلقى عليهم من المسائل العويصه ما لا يفهمون فأقبل مهدى وعمروس فامسك فقال ابو نصر الآن جاء السلوقان اللذان يحرزان الحى من الذئب واما جروة أبى نصر فتنبح على الغنم وتنهزم ، ونسب ابو العباس المقالة الى ابى مهاصر رحمه الله والصواب ما قدمنا يعنى بالجروة نفسه لضعفه عن نفاث وبالغنم نفوسة وبالسلوقين مهديا وعمروسا والصواب ان هذا غير مهدى المعاصر للامام لأنهما متأخران اعنى مهديا وعمروسا وقد تقدم انه قال لا أبالى من اى طعام آخذ قوتى وأقل شىء من النوم يكفينى ولا اخشى مخالفا يغلبنى فى الحجة حين آكل عجين غذاءهم فقال لم ينضج طعامكم ، وروى ان جماعة من اهل الجبل قدموا تيهرت على الامام فعجب من كثرة علمهم وشدة ورعهم ورزانة احلامهم فقال هل تركتم فى الجبل حيزا منكم فقال له مهدى تركنا من هو خير منا ابا عبيدة الجناونى وفى سير اهل نفوسة ان مهديا وابن خالته فرجا تخاصما عند الامام بتيهرت فقال مهدى خذ لى حقى من فرج فقد اشتغل بالدنيا وخفت على فوات الآخره وقال فرج وخذ لى بحقى منه اشتغل بآخرته فضاعت دنياه وخفت على آخرته تتبعها فلم يجد الامام جوابا فلما قدم نفوسه[1] وقع عليهم مطر غزير فابتلت ثيابهم ووليهم منزل ويغوا فدخلوا عند مهدى فالفوه بيت زاهد أفقر من مرافق الدنيا فقال له فرج اتركهم يسيرون الى بيتى فانه انفع لهم فذهبوا الى داره فوجدوها واسعة كثيرة

(١) اي الامام عبد الوهاب

الثياب فبدلوا ثيابهم ونشروها بثياب يابسة واكثر لهم مجامر النار وقدم لهم اطباق التمر ووسع عليهم انواع الاطعمة فدفوا وشبعوا ، قال الامام لمهدى خاصمك فرج يا مهدي فهو خير منك وتعجب الناس من كثرة الكوانين لان الثياب والاطعمه مما يدخر للتجارة واما الكوانين فليس لدخرها معنى وقيل انما استعملها للفرس يمنعها من خشايش الارض وقيل ان مهديا لما مات فى حصار الامام بطرابلس دخل طائر فى ذلك اليوم الذى قتل فيه ونزل على وتد يجعل عليه عمامته فتكلم فقال قتلوا من قتلك يا سيد الرجال فعلموا انه مقتول رحمة الله عليه ، واخبار مهدئ كثيرة مشهورة ..

ومنهم ابو الحسن الابدلانى كان واسطة العقد وانسان العين تعلم العلوم وعمل بموجبها وتحصن من الشيطان بزهد الدنيا ورفضها وهو احد الاربعة الذين تكفلوا بما طلبه الامام ولما التقى العباس فى فاغيس مع خلف، وخلف فى جنود كثيرة أتى رجل ابامرداس فقال له خفت على عسكرنا من كثرة عدونا فقال ابو مرداس لا اخاف على عسكر فيه ابو الحسن الابدلانى فاتى ابا الحسن فقال له مثل ذلك فاجابه بأنى لا اخاف على عسكر فيه ابو مرداس وابو الحسن احد الاثنى عشر المشهورين باجابة الدعاء فى عصر واحد بجبل نفوسة وهم ابو مرداس وابو عامر التصرارى وابو المنيب محمد بن يانس وقد تقدم وماطوس بن ماطوس الشروسى وابو مهاصر الفاطمى وابو الحسن الابدلانى فهؤلاء الستة من الجهة الغربية من جبل نفوسه وابو الشعثاء السنتوتى وابو يحيى الاصفوى وابو يحيى تسكنيت وابو عبيدة عبد الحميد الجناوني وابو زيد المصفورى «وبعضهم يكتبه بالباء بدل الميم» وابو زكريا التوكيتى فهؤلاء من جهة جادو وهى الجهة الشرقية من جبل نفوسة ..

ومنهم ابو مرداس مهاصر السدراتي الساكن بتبرست بلغ في العلوم النهاية

وجرى في امر الصلاح حتى الغاية وقنع في دنياه بالخمول ورأى ماسوى امر المعاد فضول وكانت عادته اذا وقع الجدب وعظم البلاء ان يجمع حشايش الارض ويطبخها ويرسل بها الى من احتجب من النساء ، وفى سير نفوسة ان ابا مرداس فى الشدائد ينفق ماله على الضعفاء وكان يقعد على طريق رجوع الخدم ورواحهن من الاحتطاب فيعطيهن قبضة من دقيق مبلول بماء يسمي الصميت ويسمى ايضا بعرف بعض البلاد البسيسة حتى نفذ ما عنده ثم صار ينفق الحشيش فلما يبس صار ينزل الى تيح فيحمل القطف من السباخ فلما يبس بالقحط صار يحفر عروقه ويطبخها فينفقها وكان له مسجد فى كهف يتعبد فيه ويقول لولا أمور الاسلام ما اجاوز هذا الشعب الى هذ الشعب وكان شديدا فى الامر والنهى ويتبع الامراء يأمر وينهى ويشدد عليهم فى امور الاسلام ، وكان الامام عبد الوهاب يقول احفظ اربعة وعشرين وجها تحل بها الدماء ولم يحفظ ابو مرداس الا اربعة وشدد علىَّ فيها وصاحب الامام حتى مات وصاحب ايوب بن العباس بعد رجوع الامام الى تيهرت حتى مات وكان مع ابى عبيدة عبد الحميد حتى مات ثم صحب العباس بن ايوب وقد كبر وانحنى يجر سيفه اذا مشى امام الجيوش وكان قصيرا ورأيت فوق مصلاه الذى في الكهف أثر قدم على صفاة ملساء وكان فى طريق واشتهر عند العامة ان ذلك اثر قدمه تحول ثلاث مرات يتبرك الناس بها الى يومنا هذا ، وقيل تكلم حين لاقوا خلفا بانى اطمع الجنة لمن مات فى وجهتنا هذه الا القاعد على فراش حرام او القاتل النفس او الآكل مال غيره ظلما وله منها مخرج ان تاب ورفع نفسه عن المال والفراش وليقد نفسه لاولياء المقتول وان لم يجدهم فليقاتل بنفس غيره وليوص بالتباعات فقام وادكن الجارازرارى فقال قبلت ابا مكشان وأكلتْ ماله فقال ابو مرداس حملين حملان ثقيلان اى تحملت جملين هما حملان فأمره فدخل القتال من غير مجن ولم يتق عن نفسه ضربه ولم تاخذه ضربه ولم يحمدوا له ذلك ونظيرها تقدم لابى الخطاب حين سار الى قتال

ورفجومة فى القيروان وكان قد اهدى بطة عسل قبل ذلك لابى مرداس فردها له واستعار دابة فركبها وطلبه رفيق له ان يحمل صره دراهم فاعتذر بان الدابه عارية فصاح الرجل فقال ابو مرداس صار العلم عجبا واستفتاه

آخر فيمن قرن بين الصلاتين هل يفعل بينهما فعلا وجعل يكرر عليه السؤال وهو يجيب بانى لااحفظ بينهما الا الاقامة والتسليم وفى سيّر نفوسه ان ابا مرداس يحضر الجمعة مع الامام اذا كان بنفوسة ففقده الامام ذات جمعة فسأل عنه فقيل له تزوج فقال ذاق ابو مرداس ما ذاقت الناس ومن شدة ورعه انه طلع على منزله وهو بتبرست فرأى بنيانا كثيرا قد حدث فى البلد فقال متى حدث هذا البناء من قلة التفاته اذا مشى وانما نظر ذلك اليوم لان الناس خرجوا الى الخصوص وليس فى المنزل احد وفى السير أن مشايخ قدموا من اهل الشرق زائرين فاختاروا من اهل تيهرت الامام ووزيره ومن اهل الجبل ابا مرداس وابا زكريا التوكيتى والعباس قالوا ابو مرداس يقول نفسى نفسى الغزالة والعباس نعم الفتى وابو زكريا هو الجبل والجبل هو ابو زكريا وفيها ان مشايخ نفوسه يقبلون الى الامام فيجلسون اليه حين كان بالجبل فاذا قدم ابو مرداس قام اليه وكان قصيرا فقال رجل من اهل المشرق لم يعظم الامام هذا فقال حين سمعهم كيف لا اجّل من تجله الملائكه ولا اعرف فى الدنيا مثل هذا الا رجلا بالمشرق وهذا ارجح منه بكثير فقالوا للامام اردده علينا لنسأله ونتحدث معه فقال لا يلبث عنى فلما رجع بعد ذلك سألوه فقال اسألوا الامام فكرروا السؤال فكل ذلك يقول اسألوا الامام فقال له الامام اجبهم فاجابهم وتحدث معهم فلما قام قالوا لا نعلم احدا بالمشرق ولا بالمغرب مثل هذا وفيها ان رجلا من اهل ابديلان قال لابى مرداس يا كافر فقال سميتنى باسم هربت منه زمانا فلا مُتَ حتى تنبح مثل الكلب فابتلاه الله فصار يطلع على المزابل فينبح مثل الكلب فاذا افاق وزال عنه قيل له ما لك

تنبح فيقول بدعوة ابى مرداس نعوذ بالله من سوابق الشقاء ومن غضبه ، وفيها انه ذهب يحرث على بقرة له فجاز على اهل اكرين والناس مسنتون واحاط بهم القحط واكلهم الضبع فرأى ما بهم من الحاجة فتصدق عليهم بالزريعة وذبح بقرته فقسمها بينهم وقسم الجلد فاخذ نصيبه بينهم فلما رجع قالت له زوجته زرزرت اين البقرة واين حرثت فقال حرثت حرثا استغنى عن المطر ولا تصيبه آفة فاخبرها بما فعل فقالت لِمَ لم تردد علينا من بقرتنا الا هذا ، وفيها جاز عليه رجل يحرث فى فدانه ببقرته فقال له اخرج من فدانى فخرج ابو مرداس وترك الفدان فادركه وقال له اترك البقرة لانها لى فتركها فرجع الى بيته فأتاه فقال اخرج من بيتى فدخل الى زوجته فقال ناولينى سلاحى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها يريد دفاعه فقال الرجل استهزأ وليس لى فى الفدان ولا فى البقرة قال ابو مرداس مابعثك الله الا وقد علم فى الفدان والبقرة شيئا فتركهما ورفع يده عنهما ، وفيها بلغنا أن اهل منزله قالوا نرى فى هذا الرجل امرا عظيما من الصلاح يا ليته بعيد عنا قال لهم اموت ولاترون بعدى الا الفقر فقيل انهم بعده صلوا على ميت بالركوع فجاز رجل من فوقهم فقال ليس لها ركوع ، وفيها انه خرج فى عير يمتار ومعهم الاحوص الابدلانى وهو المقدم على القافله فغازت عليهم قطاع السبيل فتبعوهم فقال ابو مرداس ارجعوا فرجعوا فكر العدو فهزموهم ثانية فقال ابو مرداس ارجعوا فرجعوا فكروا فتركوا القتال لابى مرداس وحده فلما اشتد عليه القتال فقال ادركنى يا أحوص فرجع اليه اصحابه فهزموهم وتبعوهم فسكت ابو مرداس وانما فعلوا ذلك ليسكت منهم اذا تبعوهم وفيها ان رجلا اتاهم يبتغى ان يرافقهم فمنعه ابو مرداس من صحبتهم فلما انصرف اقبل قوم يطلبونه بدم وليهم فقال عند ذلك ابو مرداس لمثل هذا منعتكم من صحبته ولو اجبنا له لوجب علينا منعه حتى يبينوا ما يدعون ، قال ابو الربيع ابو مرداس رجل حازم ممارس للامور ورع نبيه وجيه حاذق عاقل فطن مجتهد رحيم للضعفاء شديد

على الفجار ذليل على المؤمنين لا تأخذه فى الله لومة لائم يؤثر الحق والصدق واذا اراد الزيارة لاهل تيهرت اخذ الوصايا من اهل الدعوة من اهل الجبل فيرفعها الى تيهرت لنفع بيت مال المسلمين ولنفع ارباب الوصايا لرخص السعر فاذا اشترى الطعام جمعه جميعا ويؤذن للمساكين فيرفعون ما قدر لهم ولا يكيل لاحد ولا يكيلون لانفسهم بل يحملون كذلك وقال ابو الربيع قال الامام سبعون وجها تحل بها دماء الموحدين وذكرت منها لابى مرداس ثلاثه فقال من أين من أين ؟ منكرا ذلك ، قال ابو الربيع وفعل ابى مرداس فى جمع الوصايا ودفعها بغير كيل اصل لمن بعده لان ذلك بمشهد ائمة العلم من اهل الجبل واهل تيهرت ولم ينكر عليه احد ما فعل ، وقال ابو الربيع رأى امرأة مكشوفةَ الرأس فصام سنة كفارة لرؤيته وسببها ان الناس خرجوا من البلد الى الربيع فقالت فى نفسها لم يبق الا ابو مرداس ولا ينظر احدا فطلعت فوق البيت فوقعت عليها عين ابى مرداس ، وقال ذكران ماء وضوئه نفذ فطلب سبع بيوت من جيرانه وسمع كلام جارته فقال كفرت جارتنا اليوم مرارا وما بين خيمتيهما الا قدر سبْع حزمات حطب وكان اذا حصد الناس زروعهم ولقط اللقاطون خلفهم وراعت ارباب المواشى مواشيهم لقط من بعدهم نفقته لانه يراه متروكا وسمع رجلا بتيهرت يدعو غريمه الى الحق ولم يجبه فأتى الى دار الامام فقذفها بالحجارة فقال بهلة الله اليوم على من سكن هذا البلد فقال رجل للامام كيف نحن وهذا الذى يذكر ابو مرداس قال نحن فى وسطها اذا لم نأمر بالمعروف ولم ننه عن المنكر وقد تقدم مثلها لما مداى محمد بن يانس ولعل القصة واحده والغلط من قبل النقل وفى كتاب «طبقات الاشياخ» لابى العباس احمد بن سعيد الدرجينى ان ابا مرداس شاور بعض اخوانه فى التزويج وسأله ان يخطب له امرأة تصلح لمثله فدار فى الجبل ولم يجد الا امراة مجنونه فخطبها فاجابت فرضى بها على جنونها اذ اختارته فلما تزوجها ارتفع ما بها فكانت من افضل نساء نفوسة واحسنهن واكملهن وارفعهن ذكرا

ببركة الشيخ وموافقته قال ابو العباس اما ان يعنى بالجنون الوسوسه وشراسة الاخلاق او من يجن ويفيق والا فكيف ينعقد النكاح على مجنون لا يفيق ، وبالجملة شهرة ابى مرداس فى العلم والورع والزهد كافية ..

ومنهم ابو زكريا التوكيتى قال ابو العباس كان علما لكل الفضائل ومعلما لكل ناهل قال ابو العباس وغيره ان رجلا من اهل المشرق اقبل زائرا فجاز بنفوسة فتصفح احوالهم واختبر كل من يتوجه اليه منهم ثم توجه الى تيهرت فتصفح احوال اهلها ايضا فسألوه عن الجبل ونفوسه قال الجبل هو ابو زكريا وابو زكريا هو الجبل واما ابو مرداس فكالغزالة نفسى نفسى واما ابو العباس ففتى مقرعى وصفه بالشدة والنجدة ثم رجع الى الجبل فسألوه عن اهل تيهرت فقال ليس بها احد الا الامام ووزيره ابن عمران وقد تقدمت الحكايه انه جماعة لا رجل واحد وفى السير ان العباس خرج بعسكره الى حرب بنى يفرن ومعه ابو زكريا التوكيتى وابو مهاصر ثم ان العباس فقد الشيخين فلم يجدهما فى العسكر فخشى ان يكون رجوعهما لحدث احدثه فرجع يقفو اثرهما فوجدهما عند ام الخّاب اغرم اينان والمشهور اغرميمان ووجدته بخط عمنا يحيى بن ابى العز بالف بعد ميم بعدها ياء بعدها نون والف ونون وهما فى مجلس الذكر وقد ارخوا الستر فقال ما ردكما عنى قالا انت على المنهاج وانما رجعنا من اجل لمع السيوف فقال انا الذى يحمل لمع السيوف فاخذت ام الخطاب شاة ذبحتها لهما فجعلتها فى خرجه وقالت لهما يكفيكما الجلبان فرجع العباس الى عسكره ، وفيهما ان ابا عبيدة لما دفع الولاية ولاية جهته واعتل بانه ضعيف كتب اليه الامام ان كنت ضعيفا فى العلم فعليك بابى زكريا يصلتن التوكيتى وستأتى الحكايه فى التعريف بابى عبيدة وشهرة ابى زكريا وعلمه وورعه مما لا يخفى على الحفاظ وكفاك انه فى زمان امتلأ فيه جبل نفوسه علما وعملا وعدلا فاختير من جميعهم حتى قيل ابو زكريا هو الجبل والجبل هو ابو زكريا .. ومنهم فرج الويغوى النفوسى وقد تقدم التعريف به مع مهدى ..

ومنهم ابو عبيدة عبد الحميد الجناونى قال ابو العباس احمد بن سعيد، احد علماء نفوسة الموصوفين باخلاق نفيسة ومال الى ما طبع عليه من الورع واطراح الحرس والدنيا وترك الطمع وكان غاية فى انفاذ الامور وامضائها وقائما بالمدافعة لاحوال البغاة ودفاعها ووافيا بما امر من اصلاح النفس والدين والدنيا وتحصينها ، وفى السير فلما ولى احسن السيرة واول من اخرج منه الحق رجل دعا يا آل فلان دعوة الجاهلية وفيها حجر على اهل اجناون خرط زيتونهم الى وقت معلوم فكسر بعضهم الحجر فأدبه قال اتضربنى على مالى يابن فحمس قال له حاش لله ان اضربك على مالك وانما ضربتك على الحق فيها ، وروى انه اخرج الحق من رجل على التهمة فخرج الفاعل غيره فقال المضروب ظلمتنى يابن فحمس فقال معاذ الله ان يظلمك ابن فحمس انما انت الظالم لنفسك الذى جعلتها فى مواضع التهمة ، وفيها ان الفرس تزوجوا اماء بنى زمور فى مدة اقامة الامام بنفوسة فلما ارادوا الرجوع الى تيهرت حملوا اولادهم منها فقال ابو عبيدة لبنى زمور خذوا عبيدكم فانزلوهم عن السروج ، واستمسك رجل بآخر عنده بنصف دينار او بثلاثة ارباع الى الآخرة قال لا احكم بدين الاخرة ، وله سبع مساجد معلومة يتعبد فى جميعها كل ليلة وفيها وفى غيرها من الكتب لما مات السمح بن عبد الاعلى المعافرى عامل الامام عبد الوهاب رحمهما الله تعالى وقد اوصى الناس ووجوه اصحابه بتقوى الله وبطاعة امامكم وتأييده مادام مستقيما بلغ فى الناس مبلغا عظيما لعدله ولفضل ابيه ابى الخطاب فبادرت العامة ومن لا بصيرة له بالامور الى تقديم ولده خلف ظنا منهم ان ذلك ارفق بالمسلمين واوفق بأمير المؤمنين فرد فعلهم من له بصيرة بانه ليس لكم ان تسبقوا امامكم بالتقديم قال بعضهم نوليه فان ابىٰ أمير المؤمنين عزلناه واهل الصلاح ابوا ذلك وامتنعوا منهم ابو المنيب اسماعيل ابن درار وابو الحسن ايوب بن العباس وغيرهم فبعثوا كتابا الى الامام فاجابهم بانه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين عبد الوهاب

الى جماعة المسلمين بحيز طرابلس (اما بعد) فانى آمركم بتقوى الله والاتباع لما امركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وقد بلغنى ما كتبتم الى به من وفاة السمح واستخلاف بعض الناس خلفا ورد اهل الخير ذلك فان من ولى خلفا من غير رضا امامه فقد اخطأ سيرة المسلمين ومن ابى من توليته فقد اصاب فاذا اتاكم كتابى هذا فليرجع كل عامل استعمله منكم السمح على عمالته التى ولى عليها الا خلفا حتى يأتيه امرى وتوبوا الى ربكم وراجعوا التوبه لعلكم تفلحون .. فلما وصل كتابه طرابلس وعلموا ما فيه من تصويب من وقف عن توليته وتخطئة من ولاه ورجوع كل عامل الى عمله كاتبوه ثانيا ان يجوز لهم مافعلوا من توليته فاجابهم بانه لا يسعنى فى ما بينى وبين ربى ولو وسعنى لفعلت فافرد كتابا لخلف يامره فيه بتقوى الله وان يعتزل امر المسلمين كافة وارسله الى جماعة المسلمين بطرابلس وكتابا آخر فيه توليته وامرهم ان يدفعوا اليه الاول فان اطاع وامتثل دفعوا اليه الثانى وان ابى تركوه فى غيه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين فلما قرأ خلف الكتاب الاول ابى واستكبر فاجتمع الذين ولوه وكتبوا الى ابى سفيان محبوب بن الرحيل يستفتونه اذ هو يومئذ واسطة العقد ورأس من بالمشرق من اصحابنا والمقدم فى الامور بعد الربيع وابى المهاصر وابى غسان وابى ايوب فلما علم ما فى كتابهم اجابهم بتخطئة من ولى خلفا وامرهم بتقوى الله وطاعة امامهم ، فلما وصل اليهم جوابه انكروا امامة عبد الوهاب من غير حدث وزعموا ان امامهم خلف واعتلوا ان حوزة طرابلس منقطعة عن حوزة تيهرت وبعيدة منها فلما ابوا من قبول الحق استعمل الامام ابا الحسن ايوب بن العباس وقد تقدم بعض اخباره وانه احد الاربعة الذين وصلوا الى تيهرت متكفلين بأمر المعتزلة وتقدم قوله انى لا اعرف فارسا يبارزنى من فاس الى مصر وكان ذا باس وشدة وشجاعة فهابوه وكان ذا عدل واستقامة فلما حضرته الوفاة ارسلوا الى الامام ان يولى عليهم فاجابهم ان يختاروا افضلهم واولاهم بامور المسلمين

ويسموه وكتبوا اليه انه ليس مثل ابى عبيدة لهذا الامر عبد الحميد الجناونى فارسل الامام اليهم ان يولوه بامره فاجتمعوا الى ابى عبيدة واخبروه بما كتب به الى الامام وما امرهم به من توليتهم اياه على انفسهم ان يقضى بينهم بكتاب الله وسنة نبيه وآثار الصالحين فاجابهم بان قال انا ضعيف انا ضعيف ولا اطيق القيام بامور المسلمين فارسلت نفوسة الى الامام بامتناعه وقوله انا ضعيف انا ضعيف فاجابهم وحلف بالله بلغة العرب وبلغة العجم وبلغة البربر ان لا يقلد المسلمين وامورهم الا رجلا يقول انا ضعيف انا ضعيف فكتب إلى ابى عبيدة يامره بالدخول فى امور المسلمين كذا قال ابو زكريا ، وفى سير نفوسة أن ابا عبيدة استعذر بانه ضعيف المال ضعيف البدن ضعيف العلم وقولهما ان الامام كتب اليه ان كنت ضعيف البدن فادخل فى امور المسلمين يقوى الله بدنك وان كنت ضعيف العلم فعليك بابى زكريا يصلتن التوكيتى وان كنت ضعيف المال فبيت المال يسعك ويسع غيرك فلما ورد عليهم جواب الامام اجتمعوا الى ابى عبيدة وقالوا لا يسعك الا الدخول فى امور المسلمين وطاعة امامك فقال امهلونى حتى استشير فأتى عجوزا معروفة بالعلم والورع والدين تسكن بموضع يقال له ارجى ازمار فيما يقول ابو محمد فقال لها ان امير المؤمنين بعث الىَّ بالولاية فاشيرى علىّ فقالت ان علمت فى نفوسة افضل منك فتقدمت فستكون خشبة فى جهنم وان علمت ليس فيهم افضل منك فتأخرت فستكون خشبة فى جهنم فقال اما فى امور الرجال فلا اعلم فيهم مثلى فرجع الى المشايخ فقبل الدخول فى امورهم فلما ولوه قالوا سيروا نزور وقاية افضل من عمائمنا فلما ولى الامور احسن السيرة وعدل فى القضية وساس الرعية وصحب الاشياخ ورضى به اهل الخير مثل ابى زكريا الذى هو الجبل والجبل ابو زكريا وابى مرداس وابى الحسن الابدلانى وغيرهم ممن يكثر عددهم فلما سمع خلف بولايته اشمخر واستكبر وشن الغارات على المسلمين ومن كان فى حيز ابى عبيدة وارسل اليه ابو عبيدة يكف

عن فعله فابى فارسل الى الامام ان يأذن له فى دفاعه فاجابه بأن يلاطفه ويلاينه الا ان فاجأه فليدفعه فمكثوا كذلك حتى مات الامام وهم على حالهم ثم ان المسلمين بتيهرت اجتمعوا بعد موت الامام واتفقوا على ان يولوا ابنه افلح فقدموه من يومهم لعلمهم بصلاح احواله فى ايام ابيه وكثرة علمه وقوة نفسه وشجاعته وسيأتى الكلام عليه ، فلما بلغ موت الامام وتولية ابنه افلح خلفا انف وانحاز من معه الى ناحية تيمتى وما يليها من المشرق وزاد فى الفساد على فعله فكاتب ابو عبيدة افلح يستأذنه فى دفاعه فاجابه ان يلاطفه كما اجابه ابوه من قبل فلج خلف وتمادى فى العتو والفساد فقتل الانفس ونهب الاموال وقتل بعض اصحابه غلطا فاخصب الله جهته استدراجا واجدب جهة عبيدة فمال الناس الى خلف طلبا للخصب والرخاء واخلاد الى الارض والدنيا فلما رأى كثرة من معه وتعجب بعساكره خرج بها يريد ابا عبيدة ومن معه من المسلمين لعلمه بقلتهم وان يستأصل شأفتهم ويذهب شوكتهم فلما سمع به ابو عبيدة خرج من الجبل فعسكر بعيدا من الجبل وتهيأ لدفاعه فارسل خلف اخوته ومواليه فى نحو اربعمائة فارس ولم يشعر بهم ابو عبيده حتى غشوهم نهارا.فأمر ابو عبيدة اصحابه بالكف حتى يعلموا ما يريدون فغاروا على اذرف قرية هناك فنهبوا الاموال وقتلوا الانفس وقيل قتلوا نحو عشرة فامر ابو عبيدة اصحابه بمناجزتهم لما ابصر بغيهم وعتوهم فهزمهم الله تعالى وقتل منهم كثيرا فامرهم بالكف عن اتباعهم واحسن فيهم السيرة فرجع خلف الى تيميتى ورجع ابو عبيدة الى اجناون وكتب الى خلف ان نزعت يدك من الطاعة فكن فى حيزك واكون فى حيزى فما بال الحرب فابى وتمادى فى شن الغارات ونهب الاموال وقتل الانفس وماقدروا عليه من الفساد ثم اقام على ذلك نحو سنة فخرج بعسكره يريد ابا عبيدة ومن معه من المسلمين فعسكر ابو عبيدة بعيدا من الجبل فى قلة لكنهم اهل بصائر يموتون على ما ابصروا وقيل عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وعسكر خلف

فى اربعين الفا وقيل عدد من مع ابى عبيدة سبعمائة والله اعلم واعجبت
خلفا كثرة عساكره وغفل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلما
قرب ارسل رجلين الى ابى عبيدة يخلع ولاية الامام افلح ويثبت ولايته
قال ابو عبيدة لهما لما اخبراه بالرسالة ايخلع بغير سبب وحدث يستحق
به خلع طاعته واحتج عليهم بطاعة السمح للامام عبد الوهاب ورد ما
ادعوه من انقطاع الحوزات بذلك فقالا ان لم تجبه نخاف اراقة الدماء فقال
اراقة الدماء اهون من عدم القيام بامر الله ودينه فقالا اراقة الدماء اعظم
ورد مقالتهم بفعل اهل النهر والنخيلة وابى بلال وعبد الله بن يحيى وغيرهم
فرجع الرسولان فاخبراه برأى ابى عبيدة فامر عسكره بالتهيء للقتال
وثبت الصفوف فاتى ابا عبيدة رجل نكارى ممن تقدم ذكرهم فى اخبار
عبد الوهاب رضى الله عنه وهم الذين قاتلوا مع ابن فندين فقال له لا
طاقة لك اليوم بخلف وعساكره ولا حاجة لك فى لقائه فحلف ابو عبيدة
بالله بكل لغة يحسنها من عربية وبربريه وكانمية وغيرها لاقاتلهم ولو لم القاه
الا بسيفى هذا وضرب بيده على قائم السيف ثم تقدم اليه رجل ممن كان
مع خلف حين تدانا العسكران فقال آوِ الى الجبل باصحابك فان كانت
لكم الدائرة ادركتم مارجوتم وان كانت عليكم كنتم فى حصن من عدوكم
فقال ابو عبيدة لاصحابه نصيحة الله نزعها من عدوه فأمر اصحابه ان
يسندوا الى الجبل فلما تنحى ابو عبيدة الى الجبل ظن خلف ان بهم ذلا
وخوفا فغشيهم بعساكره فتنحى ابو عبيدة واستتر واغتسل وصلى ركعتين
فدعا الله تعالى وقال يا من لم اعرض عنه منذ استقبلت امره اعطنى دابرهم
اليوم ثم ان اهل شروس اقبلوا يريدون خلفا شاكين بالسلاح فقال ابو
عبيدة حين ابصرهم هيجوا فينا حرارة الخوف فلا اعدمهم الله ذلك فبقى
فيهم ذلك الى يومنا هذا (فخطب) الناس ورغبهم فى الجهاد فقال اطمع
الجنة لمن مات تائبا فى هذه الوقعة الا من كان على فراش حرام او قتل
نفسا او غصب مالا وقد تقدم مثلها لابى الخطاب وايضا لابى مرداس

فقام اليه رجلان من اهل ابدلان فاقرا بالثلاثة فامرهم برفع انفسهما عن الاموال والفروج وليقودا انفسهما فلم يجد الوليين فقال لهما قائلا بنفسى غيركما ففعلا فماتا فحمد لهما ذلك ثم خرج من عسكر خلف عبيد بن سيدى بين رجلين من اصحابه يطلبون المبارزة وكان عبيد ممن يدعى النسك والتقى قبل ذلك وكان يحمل احمال القمح والكباش للمشايخ قبل ذلك فخرج اليهم ابو عبيدة بنفسه وابو مرداس والعباس بن ايوب فلم يمهل العباس بصاحبه ان قتله وابو عبيدة كافأ صاحبه وابو مرداس لقى مشقة فكرّ العباس على صاحب ابى مرداس وهوى ابو عبيدة بنفسه حين رأى الشيخ فى شدة منه فضربه فرمى بركبته ثم أبان رأسه بضربة فقال الى النار فقال الرأس بعدما طار وبئس المصير فقال جسدا ادعوا له باالجنة زمانا تأكله النار انا لله وانا اليه راجعون ، فلما نظر ابو مرداس الى ضربة العباس قال ضربة فتى لا اكلت معصمه النار واشتهر ان رجلا من اصحاب ابى عبيدة قذف بحربة فوقعت برجل فخرجت منه وركزت خلفه وجعلوا مصلى فيه وهو معروف فاسرع القتل فيهم فانهزموا فتبعهم ابو عبيدة حتى خرجوا من حوزته واحسن السيرة ثم ان الناس رجعوا بعد انهزام خلف ورجع من اصحابه من اظهر التوبة فقبلهم ابو عبيدة الا من أتى منهم الامر عمدا واتاه سائد الفرسطائي فقال تبت يا ابا عبيدة قال له ان لم يسدد بعد يابن تجيمت يعنى باب التوبة وهو ممن آتى الامر عمدا واسمه يوسف بن سادين اى اسم سائد والله اعلم وكان سائد ومنيب بن اسماعيل بن درار الغدامسى وابو يوسف حجاج بن وفتين ممن مال الى خلف فاعطى لحجاج شقه فأتى اهله فاراد الدخول فقالت له امرأته من عندك يا بائع دينه فوقف فى الباب الى الصبح احدى رجليه داخل الباب والآخرى خارج الباب يميز بين الحق والباطل بين ابى عبيدة وخلف فظهر له ان خلفا على خطأ وابو عبيدة على حق فتاب ورجع الى ابى عبيدة وكان ابو يوسف بعد ذلك من افضل الشيوخ فلما أوهن الله شوكة خلف واظهر الاسلام استقامت الامور وحسنت الايام وذهب الجور وقام العدل فبلغ

الخبر المشرق والمغرب فكتب ابو عيسى الخراسانى رسالة مع جماعة المسلمين الى اهل المغرب يوصونهم بالحق واتباعه ومنابذة الباطل واطراحه والاقتداء بمن قبلهم من السلف الصالح ثم ذكروا سماتهم بما بلغهم من هلاك من هلك قبلهم من اهل دين المسلمين وخلافهم ائمة الهدى ثم ذكروا ان عبد الوهاب مضى على الرضى من المسلمين والاستقامة على الدين لا ينقم عليه احد من اهل الخير عندنا وعندكم سيرته سيرة من مضى من ائمة الهدى فى حكمه وحربه وقسمه ودينه وقد ادركنا ابا ايوب وائل بن ايوب وغيره من الاشياخ ومن بعده ابا محبوبا سفيان بن الرحيل وهم راضون عنه واستعمل السمح فكان على طريقته من العدل والاستقامة ثم ابتلى القوم بعد ذلك فنسأل الله ربنا ان يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وبلغنا ان اهل تلك القرية استعملوا خلفا على غير رضا من عبد الوهاب واجازته وينبغى لهم اذ انكر الامر ولم يجزه ان يسمعوا له ويطيعوه ويخلعوا من خلع وينتهوا الى رأيه وطاعته واجبة عليهم فمن شاقه وبغى عليه فهو عندنا كافر[1] ضال حتى يرجع ويتوب ويستغفر الله مما صنع ثم كان بعد عبد الوهاب افلح ابنه حفظه الله عمل بالسنة وقسم بالسوية وعدل فى الرعية لا ينقم عليه احد قبلنا وقبلكم فى حكم ولا قسم متعنا الله بحياته فخالف خلف واصحابه وابوا الا رأيهم وقد فسرنا لهم ولكم معالم ديننا ورأى المسلمين انتهى مختصرا ..

قال ابو زكريا لما أتى الرسولان الى ابى عبيدة واخبراه بتعظيم الدماء وقبول ولاية خلف وخلع افلح واجابهم واحتج عليهم قال لهما فاذا كان عندكما اراقة الدماء اعظم من القيام بدين الله فعلى من يقتتل الناس ارجعا الى صاحبكما وقولا له ان هذا يوم الخميس فاذا كان غدا يوم الجمعة ان شاء الله نصوم ان شاء الله واطلع انا وخلف وابو المنيب الى شعبة الجبل فنبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وان يحكم بيننا وبينكم وهو

(١) الكفر ينقسم الى قسمين كفر شرك وكفر نعمة ، والكفر المذكور هنا هو كفر النعمة الذي لا يخرج صاحبه من الملة .

خير الحاكمين ، هذا والخيل باسطة اكفها على قرى ابى عبيدة وتقدم رجل
من عسكر خلف الى رجل فى طرف صف ابى عبيدة فقال لصاحبنا ما
اوقفكم فقال لنذكر الله فقال ما بال السلاح قال لندافع فى سبيل الله
قال من تدفعون قال من بغى علينا وخالف امر الله فقال آخر من عسكر
ابى عبيدة لصاحبه مالك ألنت له قال طمعا فى الصلح وحسم الشر وكانت
الواقعة عشية الخميس لثلاث عشرة خلت من رجب عام احدى وعشرين
ومائتين ، فلما التحم القتال نظر ابو عبيدة الى العباس بن ايوب يضرب
فى اعراض الخيل ويكشفها يمينا وشمالا قد حمى الميمنة والقلب والميسرة
فقال صار فى عينى كالعقاب معصما لاكلته النار ، وقد تقدم ان ابا مرداس
دعا له فاخذت فيه دعوة الشيخين وكان ابو عبيدة شديد الشكيمة قوى
العريكة لا تأخذه فى الله لومة لائم ومن شدته فى الامر والنهى ان الامام
لما قدم نفوسة اهمل الرعاة الكراع فى الاشجار فأتاه ابو عبيدة فقال انه
الرعاة عن المضرة ان لم تعرف فقد علمناك والا فصل بيننا هذا «يعنى
السيف» فسأل الامام عنه من يكون فقيل له ابو عبيدة فقال صدق الشيوخ
هو مثلهم او خير منهم تفكر قول الشيوخ بتيهرت اذ سألهم هل تركتم
فى الجبل مثلكم فقالوا ابو عبيده مثلنا او خير منا وقيل عين اجناون تدور
على اثنى عشر الف زيتونة وسمع ليلة عند قيامه الى الصلاة صوت التفليق
فى الغابة فتوضأ فلما دخل المسجد جعلوا له موضعا فقال لا ارجع تبت
الى الله ايها الشيوخ سمعت تكسيرا فى الغابة ولا تيبس الغابة الا بتضييع
الحق ، وكان فى مسجده سبعون شيخا كلهم من اهل ولايته الا ابن زور
وهو الذى احتال على التفليق فى الغابة لرشوة اخذها وهى مائة دينار .

ومنهم عبد الخالق الفزانى وكان فى المنزلة العليا علما وعملا وورعا
وتقا قال ابو مرداس لا اعرف الا الامام ووزيره وهذا الفزانى يعنى عبد
الخالق وانما اعرفه بكتابه وقيل كتب اليه ابو مرداس يسأله عن دواء مرض
الريح وان يدعو الله لاهل الجبل ان يغنيهم فاجابه بان مثلك يا ابا مرداس

انما يكون سؤاله عن دواء الذنوب واجابه عن الثانية ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء فقال ابو مرداس لقد ردنى هذا الفزانى اعض الاصابع الى الموت .

ومن مشايخنا بفزان عبد القهار بن خلف رحمه الله وكان عالما ورعا مفتيا وكان من فتياه ان الابن لا يتزوج ربيبة الاب وانه مكروه ويروى ذلك عن جابر بن زيد ثم تزوج ربيبة ابيه وسأله بعض اخوانه عن سبب رجوعه عن قول جابر فاخبره بانه ارتحل ليلة شباهه الى زريعة حين انهزم ابراهيم ووزبون بعساكرهما فاكثر عليه الناس فى شأن هذه الجارية فقال لعل الخيرة فى ذلك وان كل أمر سهلت اسبابه ففيه الخيرة وكل امر ضاقت مذاهبه وانغلقت ابوابه وتعسرت اسبابه فالخيرة فى تركه فاستخرت الله عند النوم بان قلت اللهم انك قد ترى ما قد انفتح من ابواب هذه الجارية وسهل من اسبابها فانى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم رب انك تعلم ولا اعلم وتقدر ولا اقدر وانت علام الغيوب اسالك ان تأخذ بناصيتى فى أمر هذه الجارية الى خير ولا تكلنى الى نفسى ولا تذرني وهواي فاكون مخطئا وانت تعلم قدرها فى نفسى انه صغير وغايتى لو كانت الخيرة فى تركها وانت تعلم كراهيتى لها غير انى فيما اختبرت ان كل امر سهلت لى اسبابه وانفتحت لى ابوابه ان فيه الخيرة والعلم علم التجارب فان كانت لى فيها الخيرة لدينى ودنياى وآخرتى ومعيشتى وعاقبة أمرى فيسرها لى والا فحل بينى وبينها وارزقنى الاستسلام لأمرك والرضا بقضائك وان كان منك فى هذا امر يارب فأرنى ذلك فى المنام على يد النبى عليه السلام وحفظنى ما يقول الرسول حتى لا انساه ولما تعلق بى النوم رأيت النبى عليه السلام قادما مع اربعة من اولياء الجارية غير انهم ليسوا بالاولياء الذين اعرف وبينى وبينهم قدر عشر خطى فقال لهم عليه السلام ان جبريل بعثنى اليكم ان تزوجوا فلانة لفلان ثم قعد فقال ان جبريل بعثنى اليكم ان زوجوا فلانا فلانة او قال فلانة فلانا

وعلمت فى النوم انها رؤيا وتمنيت لو انها طالت ثم استيقظت وقد حفظت ذلك فقلت ما بعد هذا من البصائر لقوم يوقنون ما بعد جبريل والنبى عليهما السلام من ازدياد بيان فتزوجتها اتباعا لما جاء من السبب وكان كثير النصح لوزيون بن الحسن وكان قائما هو وابراهيم بن اسد بن اظن بفزان من اهل الدعوة والله اعلم ..

ومنهم الشيخ ادريس الفزانى وكتب جناو بن فتى المديونى الى عبد القهار بن خلف يرغبه فى القدوم عليه لدراسة كتب ابى عبيدة لعل الله ان يحيى بك اهل هذه الدعوة واحب تعجيل ذلك لانى على آخر ايامى واقتراب اجلى ثم قال فليكن معك ماتستطرفه من كتب اخينا ادريس اكرمه الله واعانه ووفقه بالتوبة والازدياد مما طلب .

ومنهم ابو الحسن جناو بن فتى المديونى كان من اهل التحقيق وممن يتحرى ويروم التحقيق واليه المرجع فى الحكم الخفى الدقيق وهو مفتى واطلعت له على اجوبة لعبد القهار واظن انه استاذه واخذ منه لانه يدعوه الى الاخذ عند امكان الزمان ويرغبه فى ذلك وعلى اجوبة لابى بكر بن اسدين واجوبة لابى يوسف وزيون بن الحسن .

ومنهم بكار بن محمد الفزانى واطلعت له على مسائل نقلت من كتابه ونظراؤهم كثيرون ..

(ثم من الطبقة الذين من بعدهم)

الامام التقى العدل السمى العالم الانجح امير المؤمنين افلح بن عبد الوهاب الذى تمسك بالحجة البيضاء والصراط الافيح ، بويع فى اليوم الذى مات فيه ابوه وذلك ان المسلمين بتيهرت خافوا من حولهم من كثرة العدو فبادروا الى البيعة من يومهم وقد اختبروه من قبل ، قال ابو زكريا وكان ميمون الناصية سكّن الله به البلاد ووقى به الفساد وكان ابوه نظر اليه يوما وهو يقاتل واحسن فقال انه يصلح للامر ، قال ابن الصغير اخذ بالعزم والحزم ولم يطعن عليه فى احكامه ولا صدقاته ولا اعشاره ومما امتحنوه به ان نفوسة شرعوا يأكلون بليل وهو ماسك لهم مصباحا يستضيئون به فناوله بعضهم لقمة من طعام فجعل المصباح على ركبته فاخذها بيديه معا كالملوك فنظر بعضهم الى بعض فظن انهم يختبرونه فقال اعوذ بالله من ظنكم يا مشايخ ومما امتحن به ان مات بعض قضاة ابيه فاجتمع اليه الاخيار ان يولى عليهم من يستحق فقال اجتمعوا واختاروا من يصلح واخبرونى اكرهه فاتفق رأيهم على محكم الهوارى فاكرهه على القضاء وكانت نفوسة تلى عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر فى الاسواق وغيرها والاحتساب على الفساق وكان فى الحلم والشجاعة والقوة والعدل ما قد اشتهر وتقدم ما فعل يوم قيام ابن فندين على اهل المدينة والامام عبد الوهاب غائب فوقف افلح على باب المدينة فمنع جميع من اراد الولوج حتى فنى ترسه فاخذ احد شقى باب المدينة يتقى به فلم يطق جماعة من الناس رده بعد ذلك وتقدم قتاله الواصلة مع ايوب بن العباس وايهما زاد على صاحبه بقتيل واحد وتقدم انه ضرب ابن فندين على مفرق راسه وعليه بيضتان فشقه نصفين فوقع السيف بعتبة الباب السفلى فظن انه لم يزل ناشبا برأسه فقال ما اقصح رأسك ، قال ابو زكريا بلغنا عنه انه قعد بين يديه اربع حلق قبل بلوغه يتعلمون منه فنون العلم

يعنى الفقه والاصول والنحو وغير ذلك قال ابو زكريا وكان بيت الرستميين بيت العلم فى فنونه من الاصول والفقه والتفاسير وفنون الدين والرد على المخالفين وعلم اللغة والنجوم والاعراب والفصاحة ، قال وقال بعضهم معاذ الله ان تكون عندنا امة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر ولهم تواليف حسنة وذكرو للامام عبد الرحمن تفسير كتاب الله واطلعت للامام عبد الوهاب على اجوبة فى الفقه والاحكام واصول الدين وكذا للامام افلح قال ابو زكريا بلغ افلح فى علم الغبار والنجامة مبلغا عظيما وقعد ليلة مع اخته فتذاكرا ما اول ما يذبح غدا فى السوق ان شاء الله فقال افلح بقرة صفراء فى بطنها عجل اغر قالت الاخت ذلك البياض فى طرف ذنبه وكان الامر كما قالا والله اعلم ، وطالت دولة افلح فى عدل وسكون ولم يكثر الحرب فى ايامه وطعن عليه نفاث بن نصر فى قلة محاربته المسودة وما هو فيه من خفض العيش وله فى ذلك رسائل اطلعت على بعضها وسيأتى الكلام على نفاث ان شاء الله ، وكان اخوه ابو العباس غير ناقص فى العلم والتقى لكنه فتى ولا كذلك .. .

ومنهم محكم الهوارى قاضيه وكان فى الطبقه العليا علما وتقى قال ابن الصغير لما قال قدموا اخياركم ثم اعلمونى به حتى اجبره اجمعوا على محكم الهوارى الساكن بجبل اوراس فاخبروه انهم ارتضوه لدينهم ودنياهم ولخاصتهم وعامتهم فقال افلح هو كما ذكرتم فى ورعه ودينه لكن نشأ فى بادية لا يعرف لذى القدر قدره ولا لذى الفضل فضله قالوا لانرضى لقضائنا غيره واشدهم على افلح فى توليته اخوه ابو العباس فلما رآهم لا يرضون غيره قال ارسلوا اليه فخرج الرسول بكتاب من افلح وكتاب من الشراة وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : (اما بعد) فانه نزل بالمسلمين امر لاغنى به عن حضورك وهم منتظرون قدومك ولا يسعك التخلف فيما بينك وبين

ربك عن اللحوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأى المسلمين على ما فيه الصلاح فلما بلغه الرسول توجه اليهم ونزل بالجامع فاخبروه ما يريدون وانه ان تخلف فقد اعان على كل فرج يوطأ حراما وكل دم يسفك بغير حق وكل مال يؤكل لا من حل فاعتل أن الحق مر ولا يقبل الا بكره وانكم ابناء النعم وغيرى اصلح بكم فأبوا فقال شاوروا الامام قالوا قد فعلنا فقبلها ونزل بدار القضاء وسار فيهم السيرة التى أملوها فيه ، فبينما هو فى ذلك فتنازع ابو العباس بن عبد الوهاب وصهر لافلح فى ارض فارتفعا اليه فسبق ابو العباس فجلس معه فى سقيفة الدار وادنى مجلسه وحادثه فخرجت جارية القاضى فاستسقاها فوصل الخصم ورأى بعض ذلك فوقع فى نفسه ان خصمه بجنب القاضى يحادثه ويستسقى وانا ملقى على باب الدار لا يلتفت الىّ فلاخت من القاضى ندرة فرآه فقال ما حاجتك قال جئت خصما لابى العباس فوجدته جالسا الى جانبك فجلست هنا فاغضبه ذلك فقال لابى العباس تأتينى خصما وتجلس الى جنبى وتستسقى جاريتى ياغلام خذ بيد ابى العباس واجلسه مكان خصمه ولا يبرح وخذ بيد خصمه واجلسه الى جنبى وأمر الجارية فلتسقه ففعل الغلام ثم ان ابا العباس بعد انصرافه شكاه الى افلح فقال قد اعلمتك بهذا ولكن الصواب ما فعل ولو فعل غيره كان مداهنا فاتصل فعله بوجوه الاباضية فاعجبهم فاستحسنوه ..

ومنهم ابو يونس وسيم النفوسى التمزينى ، قال ابو زكريا ان الامام استعمل على قنطرارة ابا يونس وسيم وما ولاها فاحسن السيرة وسبب خروجه من جبل نفوسة الى قنطرارة ان خدمه اذا احتطبن من مساقى ارباع الناس تركن الحفر من غير تسوية فيمسكن الماء عند مجيىء المطر فخشى التباعات فولى قنطرارة فاحسن السيرة وعدل فى القضية واحسن الى الرعية وربما اطلع على اشرف موضع حيث يسمعه الاقصى والادنى فينادى لا

فرار من الصدقة والفار من الصدقة يؤذى ويكرر ذلك وتمادى على ولايته وعدله الى ان مات مرضيا حميدا .

ومنهم مدمان الهرطلى كان شيخا تقيا وقافا وفى سير نفوسة ان مدمان الهرطلى كان قاضيا او عاملا للامام عبد الوهاب رضى الله عنه فاراد الامام تجربته فبعث اليه بكتابين فى احدهما عزله فان امتثل وقبل دفع له الآخر وفيه تقريره فلما قرأ الاول قال رحم الله الامام علم ضعفى وقصورى عن هذا الامر فكتب بعزلى فلما رفع اليه الثانى قال رحم الله الامام علم ان لا احد يخلنى من هذا الامر فاستقامت حالته اولا وآخرا ومن توقفه ان استمسك رجل باخر مدعيا انه باع له بقرة لا أسنان للفك الاعلى من فيها وهل هذا من عيوبها فقال حتى اسأل فشكوه الى الامام اذا استعمل عليهم من لا يعلم ان ليس للبقرة الاسنان العليا فقال الامام كيف حكم قالوا قال حتى اسأل قال انما استعملته لتوقفه .

ومنهم العباس بن ايوب وكان عاملا للامام افلح على جبل نفوسة بل على ما ادركه مما حوله من البلاد وتقدم ان اهل المشرق اختاروا من الجبل ثلاثه رجال ثم اختاروا ابا زكريا التوكيتي واما ابو مرداس فنفسى نفسى كالغزال واما العباس فنعم الفتى وفى السير اصطحب ابو مرداس والعباس وجماعة معهما فجازوا فى طريقهم بموضع قطعه الماء فجاز العباس الجرف ولم يطق ابو مرداس الجواز فوقف فقال للعباس لانقدر ان نثبت مثلك ولا نريد مخالفتك بأن نتسهل فرجع العباس وقال تبت الى الله يا ابامرداس ثم تسهل وتسهلوا معه فقال ابو مرداس ان سلكت الطريق او صعدت مع الحائط فلابد من سلوكها ولا نخالفها فان خالفناها لن نرجع اليها ابدا لان العباس ولى امرهم ويرى اتباعه ولو فى سلوك الطريق وفيها لما اوقف خلف العباس بفاغيس وكان خلف فى كثرة فخاف بعض المسلمين فاتى ابا مرداس فاخبره فقال لا اخاف على عسكر فيه ابو الحسن الابدلانى

فاتى ابا الحسن فقال له لا اخاف على عسكر فيه ابو مرداس فلما حمي الوطيس واشتد القتال قال ابومرداس اطمع لمن مات هنا الجنة الا من قتل نفسا او كان على فراش حرام او غصب مالا وتقدم مثلها ومخرجها غير مرة ولما طال القتال أتى ابو مرداس العباس فقال له تبت الى الله فان الباطل لايقف للحق اكثر من هذا فقال العباس تبت الى الله فانهزم خلف وقيل قال ماذا فعل العباس ولكن عدمت الحرب رجالها ومن يفعل هكذا فنزل بنفسه للقتال فانهزم القوم فقال ابومرداس للناس ارجعوا عن طلبهم فقال له رجل اين لالت يعنى طرف نفوسة لانهم فى الحيز بعد فقال نسيت لالت فاتبعوهم حتى خرجوا حيز لالت فلما رجعوا اقبلوا يهنئون العباس على ما اعطاه الله من النصر والظفر فقال لهم هنئوا ابا مرداس وابا الحسن اللذين لم يناما ليلهما يدعوان ربهما ويرغبانه فلما رجع العباس الى معسكره ترجل واقبل يعزى الشيوخ فى اقاربهم الذين ماتوا مع خلف وقال آجركم الله فى مصابكم فى اخوانكم فقالوا ياعباس ليسوا باخواننا ولكنهم ارحامنا وانما اخواننا انتم وفى السير ان زوجة ابى مرداس قالت له رزقك الله الجنة فقال لها انما يستاهل الجنة توفيق بن ايوب يعنى العباس الذى لم يخلع الدرع من عنقه من يوم الى يوم فوجد صدى الحديد فى فيه وبه اصبنا انا وانت مسجدنا ولقد بلغنا ان العباس خرج الى بنى يفرن بعسكره فخشى ابو مرداس على العسكر ان يضعف فخلى بالعباس فقال له ارجع فأبى فقال ان لم ترجع صحت فى العسكر فيفترقوا عليك فجمع العباس الناس فخطبهم فقال نفد الزاد وضعف الكراع فارجعوا حتى اذا سمنت الدواب وجدنا الزاد رجعنا الى عدونا وخرج الى جهادهم مرة اخرى فقال له ارجع فأبى فقال ابو مرداس ما اجن مهاصر الذى يطلب رجلا مثله ويترك ربه فدعا الله فانزل عليهم ماء غدقا فتفرق العسكر يريدون منازلهم فقال ابو مرداس للعباس اردهم الآن ان قدرت وخرج الى قتالهم مرة ثم فقد ابا مهاصر وابا زكريا التوكيتى فخشى ان يكون رجوعهما لحدث فقفا

اثرهما فوجدهما عند ام الخطاب فى اغرميمان ووجدته بخط عمنا يحيى ابن ابى العز فى كتاب السير فى اغرم ايناان بهمزة بعد ميم ونون قبل الف ويجوزان يكون من نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها ومعناه بالميم قصر النفس فى مجلس الذكر فقال لم رجعتما قالا كراهة لمعان السيوف وانت على المنهاج فقال اتركا لمعان السيوف لمن يطيقه فاخذت ام الخطاب لحم الشاة التى ذبحت للشيخين فجعلته فى خرج العباس فقالت للشيخين يكفيكما الجلبان ..

ومنهم ابو مهاصر الافطمانى رحمه الله واسمه موسى بن جعفر قال ابو العباس شيخ النسك والتبتل والمكرم بالدعاء المستجاب المتقبل رفض شهوات النفس فباعها وفاز باسمى المنازل واستوجب الرقى فى درجات الافاضل قال حدث جماعة من المشايخ ان ابا مهاصر خرج سنة من السنين فى أوان الربيع الى البادية هو وعمروس بن فتح رحمهما الله فلبثوا اياما على غير ماء فاخذوا يتيممون للصلوات فتكدرت نفس ابى مهاصر فقال قلوب يربو عليها الشحم ماسمنت ووجوه تعلوها الغبرة قلت سلامة الدين مع اهل الوبر انما الدين فى المدر والله لا يجعل بنا ان نترك الدين لاتباع شهواتنا وانى لا اخاف ان نكون ممن عاب الله عز وجل بقوله ﴿اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ (١) فرد عليه عمررس بان قال ليس فى ذلك ما تخافه لقد اباح الله التيمم لعدم الماء واباح الضرب فى الارض لطلب الفضل وابتغاء الرزق حيث قال ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ (٢) وقال ﴿الا عابرى سبيل﴾ (٣) وقال ﴿فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا

(١) سورة مريم ٥٩

(٢) سورة الجمعة ١٠

(٣) سورة المائدة ٤٣

طيبا﴾ (١) فلم يقنع ذلك ابا مهاصر فرجع الى منزله فاستصحب معه من تحف البادية فلما بلغ قسمها بين الاقارب والجيران والفقراء ومن تجب مواصلته فاعطى ليهودى فقال، اللهم لاتنساه من رحمتك كما لم ينسنى قال ابو مهاصر ذلك ما ابتغى عندك قال ابو العباس لعله انما اراد مايعطفه ويلين قلبه ويدخله الاسلام والا فابو مهاصر لا يجهل قوله تعالى ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ (٢) قلت انما يريدون ما يجده عند الله لان الله امر بذلك اذا كان جارا او قريبا او فقيرا ذا حاجة قال ابو العباس جمع الصبيان واعطاهم ثم اعطى لهرة معهم وقيل جروة فاحتفلوا يدعون الله له ولقد شوهدت الهرة عند احتفالهم شائلة يدها معهم على هيئة الداعى الى الله تعالى فيما ذكروه فقال لمن شاهد من ذلك ما شاهد ان الله خلق الرأفة واسكنها قلوب المؤمنين وخلق القسوة والجفوة واسكنها قلوب الكافرين قال ابو العباس وجواب ابى مهاصر قد حكى عن ابن مسعود رضى الله عنهما قال ابو العباس قال ابو نوح وحدث غير واحد من اصحابنا ان ابا مهاصر كانت له اتان حج عليها سبع مرات وعادته اذا خرج متوجها الى الحج له مصلى يدعو الله عنده ويصلى فيه فتنهق اتانه فاذا رجع من الحج قصده فيدعو ويصلى ثم تنهق فيعلم اهل المنزل بانفصاله وبرجوعه وربما ضحك عوامهم وجهالهم فيقول لهم ابو مهاصر تضحكون من نهاق اتان اقامت الحجة عليكم ، وخرج مرة الى مصلاه الذى بالشبيعان او غيره فمر بظبية ولدت فى الطريق وهى ترضع طلاها ففرت منه حين ابصرته فقال لها ارجعى يا مسكينة انا موسى بن جعفر فرجعت فقال لها ولدتِ فى الطريق فيضرك الناس فاخذ ولدها حتى ابعده من الطريق فتركه لها وذكر غير واحد انه

---

(١) سورة المائدة ٦

(٢) سورة المجادلة : آية ٢٢

سمع نقنقة ضفدع فنظر الى فيه فابصره علقة متعلقة به فقال افتح فاك ففتح الضفدع فاه فنزعها منه فقال له كادت ان تقتلك يا مسكين وفى كتاب السير ذكر عن ابى مهاصر حين يبنى مسجد امسراتن يحمل الخبز فى الفخار من منزله فيجدونه سخنا وانه اخذ قصبتين من سقفها فقال لهم لا اعطيهما باربعين دينارا قصبتى وقصبة تلولى ومر مرة على جماعة اهل دجى او زعرارة راكبا حمارته ومعها جحش يتبعها فقالوا ليتيم لو طلبته لاعطاكه فقام اليتيم فطلبه عند ابى مهاصر فاعطاه له فسار بحمارته وامتنعت من السير من اجل ولدها فاخذوا خليفة لليتيم فاشتراه منه بدينارين وفقد دنانير فسيال زعرار يابات عنده عنها فقال هى عندكم وكم عددها قال اربعة فاعطاها له فرجع الى بيته فقالت زوجته انا حملتها فرد الزعرارى ما اخذ منه فقال ما حملك على ماصنعت فقال اذا سمعت الناس يصدقوك ويكذبوننى ومصلاه باشبيعان يتوضأ ويصلى فيه الظهر وبينه وبين المنزل اثنى عشر ميلا واعطى ليلة قرى اضياف باتوا عنده واعطى لكلبتهم فقال اذا اكلتم فادعوا لى وانصرف الى بعض اموره فلما قاموا يدعون له وقفت الكلبة على رجليها رافعه يديها تعوى معهم واعطى بغله لقوم غربا اشتكى بعضهم قلة الظهر ومشقة المرض فحمل عليه فقال اين ارده قال يوم القيامة فلقوا اخاه بافريقية فتمسك بالبغل قالوا اعطاه لنا ابو مهاصر قال كيف قالوا قال اخذه يوم اللقاء قال هذا من كلام اخى وقال له ابو القاسم البغطورى اذا رأيت المصباح على مغلق بيتى فسر الى فاذا رأى ذلك سار وأكل مع الاضياف ويحضر المجلس وبينهما ازيد من سبعة اميال وذكر انه فطن بامرأة حاملة لا زوج لها فراعاها فرآها يوما آوت الى خربة فتبعها فقال تكون الغلبة ويكن الرقاد فوضعت حملها وهيأ لها ما يحتاج اليه مثلها قالت وجدنى ادبر كيف اصنع به فسلمه الله بقول الشيخ وفى حفظى باع وكيل يتيم زيتونه باربعة دنانير لرجل محابات فبلغه الخبر فانكر ذلك وافسده ثم انه اعطاه من جناه فباع باحد عشر دينارا او اطعم اليتيم من

الباقى سنة وكذا ايضا جاز على بستان رجل اسقط ما اثمر كرمه اما من قلة المطر او لعدم التذكير قبل أوان ادراكها فقال لصاحبه لِمَ لمْ تأخذ ما وقع من اشجارك قال لا حاجة لى فيه قال له اتأذن لى فى اخذه قال خذه فاخذه ابو مهاصر وجعله فى وعاء فتمادى الجدب وعظم القحط واسنت الناس فالتمس الطعام فلم يوجد فأتى صاحب البستان الشيخ يلتمس ما يأخذ منه قال له ليس معى إلاّ كرموس غير منضج فاشتراه منه بالبستان ورضى بالصفقة وخدم ابو مهاصر البستان واخضّر وآتى أُكله ضعفين فلما اينع جاز عليه بائعه وتعجب من حسنه وحمرة ثماره فأتى الشيخ فقال اجن بساتك فقال له الشيخ اجن بستانك انما اعطيتك ما فرطت فيه من ثمرة اشجارك .

ومنهم يحيى بن موليت ابن خالة ابى مهاصر ورفيقه فى طريق الحج وصنوه فى الدين والعبادة وروى انهما حجا معا فى مرات مات يحيى فى آخرهن وقال اذ حضره الموت وقف على وقيل ادخل الجنة من اى باب شئت يابن موليت وروى ان ابا مهاصر قال يا يحيى اياك ان تعاتب سارت اذا اعطت شيئا فانى لا اعاتب تلولا ولو اعطت جملا بحمله .

ومنهم ابو نصر التمصمصى من فضلاء جبل نفوسة علما وعملا وزهدا وقيل زار الجبل أربعين مرة يحذر الناس من فتنة نفاث وقيل من فتنة خلف وحضر مع العباس بفاغيس وكان اذ ذاك ضرير البصر فنزل الى القتال فقال اللهم لا ابصر ما اتقى ولا ما اضرب فلم تقع به ضربة ولم تخط له ضربة ، وفى سير نفوسة مات على ختم الآذان فبلغ ابا مرداس موته فقال مات هذا التمصمصى موتة الانبياء ومات ابو مرداس على ما قيل حين فرغ من غسل رجليه من الوضوء رحمة الله عليهما .

ومنهم ابراهيم بن عزيز وهو من البيض والبيض فى جبل نفوسة اربعة هذا وابو القاسم الملوشائي وماطوس بن ماطوس وابو بكر الغفسفى و ...

طلبة الشيخ ورسفلاس مونر بن مادت وفى السير اذا اجتمع الاشياخ قدموا ابراهيم بن عزيز ان يصلى بهم لفضله وورعه ويقرأ قل هو الله احد من رثة بلسانه وكان ابو محمد الدرفى يقول قل هو الله احد من ابراهيم خير من تلاوتكم اهل جادو .

ومنهم ابنا منيب وكان لهما السبق فى العلم والعمل وذكر فيما اظن ابو الربيع انهما شيخان فقيهان من نفوسة صالحين ابو يعقوب وابو يوسف ومن شدة تحفظهما وكثرة ورعهما انهما يترافقان الى تيهرت وغيرها واذا كان طريقهم على وارجلان لا يدخلانها بل ينزلان ظاهر المدينة حذار منه وشفقة على انفسهما من الاختلاف والشقاق ويبعثان من يقضى لهما حوائجهما وكان ذلك دأبهما سائرين وراجعين ولهما اخبار وذكر .

ومنهم وكيل بن دراج عامل الامام عبد الوهاب على قفصة النفوسى كذا نسبه من قيد مشايخ اهل الدعوة وهو من بنى يخلف .

ومنهم الاخوان محمد وابو عمر وابنا ابى المنيب اسماعيل ابن درار الغدامسى وهم بنى تناوث وايوب ولد محمد وقد تقدمت اخبار اسماعيل وانه من حملة العلم عن ابى عبيدة.واما منيب بن اسماعيل وحجاج بن وافيتين الوغوى ويوسف بن سادى فقد مالوا الى خلف فتاب حجاج وتقدم خبره .

ومنهم سلام بن عمرو اللواتى عامل الامام عبد الوهاب على سرت ونواحيها .

ومنهم ميال بن يوسف عامل الامام افلح على نفزاوه وابوه وزيره وهو ايضا لواتى .

ومنهم سلمة بن قطفة عامل الامام عبد الوهاب على قابس ونواحيها .

ومنهم محمد بن اسحاق الخزرى عامل الامام عبد الوهاب على

نفزاوه .

ومنهم جارون بن القمرى عامل الامام عبد الوهاب وصهره وهو زناتى .

ومنهم نهدى بن عاصم الزناتى عامل الامام عبد الوهاب .

ومنهم يبران بياء من بنى يزمتن المزاتى عامل الامام عبد الوهاب .

ومنهم ييب بن زلغين بورك له فى الحركتين التقى والدنيا وكان سخيا فاضلا وذكر الشيخ اسماعيل ابن الشيخ بيدير انه اصطحب مع رجل فلقيا عجوزا وقد اجتهدت جوعا فاستطعمتهما ولم يكن معهما سوى رغيف فضن صاحبه بنصيبه فأخذ نصف رغيف وهو نصيبه فأعطاه لها فقالت قسم الله لك بين الدارين فوسع الله عليه دنياه ورجونا له فى الآخرة اكثر ، وقيل كان له بعد ذلك ثلاثون الف ناقة وثلاثمائة الف شاة واثنى عشر الف حمارا واذا جاءه العامل وقت الصدقة قال للرعاة اختاروا خيار الابل فغيبوها فيأمر العامل بأخذها وقيل ذهب له جمال فقام فى طلبها فمر بعجوز رحل عنها الناس فقال لم اقمت فاشتكت بقلة الظهر فاعطاها نجيبة فقال اين ارده قال يوم اللقاء فسألت العجوز عن يوم اللقاء فاخبرت انه يوم القيامة فتحول الى ظل شجرة فنام فلم يوقظه إلا جماله يأكلن من الشجرة واخذ منها واحدا غير ذلول فجعل له رسنا فركبه فسهله الله له وفى الخبر مر الى غنمه حتى وصل الى الحى فنزل مقابل خيمة فنادت امرأة لأخرى ادخلى الضيف فصاحب المال لا يريد ان يبيت الضيف بلا عشاء فردت عليها الاخرى ادخليه انت فبادرت فادخلته فلما قدم وفيهم من يعرفه وكانوا جميعا عبيدا له فاعتق المدخلة وزوجها واوهب لهما ما بايديهما من المال وملكهما الاخرى وزوجها استحسانا لفعلها وقولها وقدم اليه ثلاثة نفر يبتغون معروفه فقالت له امرأته سلهم عن حوائجهم كى يبيتوا على سرور فسألهم فقال احدهم ابتغى صوفا والثاني ابتغي جملاً والثالث ابتغي

ما احلب فقضى حوائجهم فقال صاحب الجمل رزقك الله الجنة فقال ليس هذا اجمل الجنة وكان المعطى اولا بكرا خيارا فاعطاه جملا احسن منه وقيل صادفه طالب حاجة يغربل جديا لم يتم فاعرض عن الطلب ففطن فقال ماجاءت حاجتك فذكرها له فقضاها وقال انما افعل ماترى لاقضى حاجتك وحاجة غيرك وكفاك فى غاية مدحه قول الامام عبد الوهاب رحمه الله لولا انا ومحمد بن جرنى وييبب بن زلغين لخرب بيت مال المسلمين انا بالذهب ومحمد بن جرنى بالحرث وابن زلغين بالانعام وقال ايضا ماقام هذا الدين الا بسيوف نفوسة واموال مزاته .

ومنهم ابو عثمان المزاتى الساكن من جبل نفوسة بقرية دجى قال ابو العباس ذو الايثار والسخاء وكرامات الاولياء المفزوع اليه فى استجابة الدعاء المقصود فى الشدة والرخاء سلك فى النسك والزهد انهج المسالك وتحرى جهده ما يبعده من المهالك ، قال ابو العباس ومن كراماته ان مجاعة وقعت بجبل نفوسة وعنده غرفة موسوقة شعيرا وخرج يوما يستقى ولم يجد على الماء إلا ذئبا فقال له لم اجد على الماء غيرك فامسك لى فم السقاء يا آفة الغنم فانطق الله الذئب فقال انا ساع فى تحصيل معيشتى ولم ادخر الشعير لحولى مثلك يا ابا عثمان فاقبل فادخل رأسه بين علاقتى السقاء فأمسك بفيه فم السقا فملأ ابو عثمان سقاه ومضى الذئب والهم ان ذلك تنبيه من الله عز و جل فعمد الى الغرفة فتصدق بها جميعا قال ابو العباسى امحل الجبل على ما ذكر وكان لابى عثمان بستان جفت اغصانه وتساقطت ثماره واوراقه وقالت امرأته لابن لها سر الى والدك فقل له يدعو الله ان يسقى بستاننا فقد هلك فلما ابصر الصبى اقبل قال له قبل ان يتكلم ابعثتك امك لاستقى الله للبستان فقال نعم فدعى ربه فأرسل سحابة على بستان الشيخ فسقته فانعم واخضر فجازبه رجل فتعجب من نضارته وحسن اخضراره فاخذه بالعين فاذبل فعاد الى تساقط الورق فبلغ ابا عثمان ذلك

فقال اللهم امته فريدا بلا وصية فقيل دخل مغارة لاخذ طَفلٍ وهوى الطين فسقط عليه سقفها فمات وقيل حمل غداء الحصادين فوجد ميتا بالطريق وقد كتب وصيته فى التراب فنسفها الريح وهذان الخبران ذكرهما غير ابى العباس ايضا واسند الروايات الى ابى الربيع وابى سهل وابى نوح اعنى هذين الخبرين وغيرهما من كرامات ابى عثمان وذكر ان منزو بنت ابى عثمان اجتمعت مع امرأتين بجبل نفوسة وافضى بهن الحديث الى ان تمنت منزو ان تتزوج رجلا فظا غليظا فيحملنى مايعجز عنه مثلى ويكلفنى من خدمته فوق طاقتى ويؤذينى بانواع من سوء العشرة فاطيعه على ذلك واصبر على اذاه لعل الله يرحمنى بذلك فقضى الله امنيتها ان تزوجها رجل من قومها فركب جملا وجاز على نسوة فقال ان كانت منزو فيكن فلا اذن لها فى المقام بعدى وكانت فيهن فارتدت رداءها وسارت فى اثر بعلها حافية راجلة فحفيت حتى اذا رفعت رجلا ظهر الدم فى موضع القدم واذا نزل للمبات بادرته بردائها توسده له وكان ذلك دأبه ودأبها حتى وصل وطنه فبنى لها بيتا نبذه عن الناس وكان يسىء وتحسن ثم تزوج عليها امرأة فازداد سوء العشرة والذى يبدو منها من الصبر والطاعه فى زيادة فمرت بها قافلة يوما لنفوسة فسمعها بعضهم وهى تقول الا احد يزور فى الله فيذهب عنا غم النفوس ويزيل الوحشه فلما بلغوا نفوسة تذاكروا الحديث ففطن له الشيخ ابو زكريا يحيى بن يونس السدراتى رحمه الله فعلم انه كلام ابنة الشيخ ابى عثمان فساروا فى جماعة من مشايخ الجبل ومعهم ابو عثمان فلما وصلوها وجدوها متفضلة فى قميص تصلح خيمتها خارجا من الخيمة فقال لها ابو زكريا انى لاختار ان اجد جنازتك خارجة ولا اراك خارج بيتك متفضلة فاستتابها وتابت مما كان منها فمكثوا عندها ثلاثا فأرادوا الانصراف فرغبت اليهم ان يقيموا عندها ثلاثا اخرى ففعلوا فلما اجتمعوا لوداعها عند الانصراف قالت لابى زكريا انصب لى قدمك هاهنا لاذكركم بها فتذهب عنى الوحشة ففعل فاكفأت عليه قدحا فدعت له ان يرويه الله

يوم القيامة فقال ابو عثمان احتسبى واصبرى وقد سبق القضاء وارجو من الله ان لا تنصرم عشرة ايام الا ان يموت من يموت ويفرج الله عليك وينقطع ما تجدينه من النصبْ فودعوها فلما كان اليوم العاشر اورد بعلها ابله على بئر لهم فسقط دلوه فى البئر فانحدر اليه ومنع غلمانه من النزول لما سبق فى علم الله فلما شدها قال احملونى فرفعوه الى ان حاذ الحفير فى البئر فاذا قدر صد له حنش اعظم ما يقدر فاغراً فاه تبيض عيناه فناداهم انزلونى فانزلوه فرجع الحنش فى غاره ثم قال لهم ارفعونى فرفعوه فلما وازى ايضا موضعه برز فاغراً فاه فقال انزلونى فكان امره بين ارفعونى انزلونى فلما ايس قال ارفعونى فالتقمه ودخل الى مغارته فلم يسمعوا له الا قضقضة عظامه وهو آخر العهد به ذكر القصة ابو العباس وغيره ، وتمنت الثانية من النساء ان يأوى اليها ملأ من المسلمين فى ليلة مطر وبرد وقد بلهم القطر وتمكن منهم البرد وضربهم الجوع فاعالج لهم ما أزيل به عنهم مابهم لعل الله يرحمنى بذلك فاعطيت ماتمنت ، وتمنت الثالثة ان لو وقعت بين قوم جهال اذكرهم واعلمهم امر دينهم لعل الله ان يرحمنى فاعطيت ماتمنت ، وذكر ابو العباس وغيره عن الشيخ ابى نوح ان منزو لما جلبها الزوج الفاجر تسير معه حتى اذا نزل فرشت له وعالجت طعاما لعشائه ثم تقوم تصلى بقية الليل الى ان يطلع الفجر فكذا دأبه ودأبها حتى بلغا وفى السير ان ثلاث نسوة زرن تزعرازت فتمنين فاعطين ماتمنين ، وذكر ابو العباس وغيره ان تكفى بنت ابى عثمان زارته فصحبها فى الرجوع وهى على اتان فاصابها مطر وخشيت بلل الثياب وفساد الزينة وقيل وقت هدائها الى زوجها فاشتكت الى ابيها فساد زينتها وبلل ثيابها بالمطر وحال الصغر والعروس معلوم فدعا الله ان يحفظ عليها زينتها وعدم فساد ثيابها وان يسترها فلم يبتل بقدرة الله شىء من ثيابها وابتل ابو عثمان وثيابه واتانه وما ركبت عليه تكفى وما ذلك على الله بعزيز ولاحول ولاقوة الا بالله ، وفى السير دخل عليه رجل فى غاره فوجد رؤوسا كثيرة مختلفات الالوان

فسأله عن ذلك فقال ابو عثمان سمعت ان من ذبح لاخوانه فى الله شاة فله من الاجر على عدد ذلك اللون من ذلك اللون لو ذبحه ولذلك اخالف بين الالوان وفيها انه يتعبد فى ليلة من الليالى فى مصلاه المعروف فوقع به لصان فقال كل واحد منهما لصاحبه اضرب فضرباه فوقعت ضربة كل واحد منهما بصاحبه فاصبحا ميتين فى موضعهما فوقاه الله شرهما ، وفيها انه اودع غنمه الجبل حين سافر الى الحج فلم يضرهن سبع ولا لص حتى رجع وقيل اذا طلعت اليها اللصوص وقد ابصروها لم يجدوها ولما طلع اليها وجدها لم ينقص منها شىء ووجد اثر الذئب حواليها وفيها ان ابا مهاصر لما عزم على الارتحال الى الحج فى بعض سفراته اليه اتاه ابو عثمان قال اسافر معك ايها الشيخ قال له لا استطاعة لك فارجع فقال ابو عثمان منكرا لقوله انبقى بعدك لعلنا نرعى الغنم او الابل فلما رآه عازما رجع الى زوجته فقال زيدينى شيئا فاعطته حليها فتسابق الناس الى طعامه وحمله ثم ملوه لطول الطريق فرجع الى ابى مهاصر فكفله وكان يمسك فى المسير باذناب الابل وقالت له النساء دع الابل تمشى فاتفقت كلمتهن فدعا عليهن فسلط الله على النسوان سيلا مات فيه ثلثمائة عجوز ولم يرجع منهن الا امرأة اجابته حين دعا عليهن فلامه المشايخ على ذلك فصام لذلك سنة وكان كثير الزيارة لاخوانه خصوصا ابا مهاصر بل هو خاص به واهدى له مرة قلة سمن فاطعمها له فى خبز القمح لكثرة ما يغشاه فقال له ابو مهاصر انك خير البرابر اكلت خبز القمح .

ومنهم الشيخ ابو عامر التصرارى من الاثنى عشر شيخا المعلومين باجابة الدعاء فى جبل نفوسة وفى السير كانت له امرأة يقال لها امة الواحد وكانت صالحه متقية حزيمه لأمر الدنيا والآخرة مشهورة بذلك وكانت شابة بتندميره صالحة منعت نفسها من التزويج كل الامتناع فاستعانت عليها امها بجماعة من المشايخ فيهم ابو عامر التصرارى فلما كلموها والحوا عليها قالت لا افعل الا بشرط ان اختار من شئت منكم فاذنوا لها فاختارت

ابا عامر فجلبها الى داره فى حينه فقال لأمة الواحد قومى الى اختك فنزليها فنزلتها مع النسوة اللائى ينزلن العروس فهيئت لهم ما يصلح للعروس الا البخور ورمت به من تحت الباب حين تذكرته فقامت بهما وبأمورهما واشغالهما وارسلت اليها زينب اللالوتية فى أمر اظهرته لو امكن لنا ان نستر قبورنا بين القبور لفعلنا فتابت مما وقع منها وفى السير رأت الشيطان مرتين فى يوم واحد حملت حزمة حطب على رأسها فوسوس لها ان ابا عامر تغدا مع زوجته وجعلا لك لقمتك فى البرمة فرمت الحزمة لتزيد فيها الحطب اذ علمت ان ذلك من الشيطان فخرج من الحزمة مثل القط وهو يصيح فلما بلغت الدار وجدت الامر كما وسوس فانتقع لونها وتغير حالها فعرف ابو عامر ان ذلك من الشيطان فاخذ بكمها وهزها فقال اخرج عدو الله من جسد طاهر فخرج من كمها كالقط وهو يصيح خارجا من باب البيت وفيها انها تبكر فتجنى التين صبحا باردا ليأكل الشيخ وزوجه ثم تعود فتجنى فتنشر وفيها اجتمع المشايخ فى تنين ان دركل موضع فقالت لابى عامر احضر انت وزوجك المجلس وانا اكفيكما مؤنة الصبى ابن الضارة والبقرة ثم ارسلت اليهما اجتهدا فيما انتما فيه من الخير وقال ابو عامر للمشايخ ان لم تكن الضرائر مثل ما عندى فقد غبنتم فقال المشايخ لولا من امة الواحد لانكشفت انت وتوزينك وفيها ان لها اختين تزوجتا بتصصليت فولدتا غلامين معا فزارتهما مع ابى عامر فلما بلغا اليهما نظر ابو عامر الى الصبيين فقال انهما يكونان نفعا للاسلام وهذا افضل من هذا وكان احدهما ابا ميمون والاخر ابا حمزة لواباً اعنى لواب بن يوسف وسيأتى مناقب كل واحد منهما ان شاء الله .

ومنهم ابو خليل صال من اهل دركل رحمة الله عليه واكثر المؤلفون من اخباره وذكر كراماته واعظمها ماذكره الاكثرون بل صار فى المكتب والسير والسنة المحدثين كالتواتران ابا خليل لما حضرته الوفاة اجتمعت اليه الاشياخ والعباد وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا كيف لا نبكى ومصيبة

الاسلام فيك وفى فقدك اعظم كل رزية واشنع كل مصيبة قال لهم كيف حالى عندكم قالوا خير حال عبدت ربك العمر الطويل وتعلمت وعلمت العلم والسير والخلق الكريم قال اتشهدون لى بذلك عند الله قالوا نعم فقال اكتبوها هنا فكتبوها فقال اذا مت فاجعلوها بينى وبين كفنى ففعلوا كما امرهم فلما دفنوه وسدوا قبره ودمسوه فوقفوا يخطون عليه الخطة للحريم فاذا كتابهم الذى فيه شهادتهم موضوعة على القبر فقرأوة فاذا فيه كما هو عندكم كذلك هو عندنا قيل مات عن مائة سنه وقيل مائة وعشرين وفى السير انه يقول للطلبة ائتوا المجالس ياكسلاء فقد حضرها من حضرها ما بينه وبين قابس وما بينه وبين فزان حتى وقع قطاع الطريق عليه فجرحوه سبعة عشر جرحا فدخل مغارة مكث فيها اربعين يوما ما اكل ولا شرب الا مارأى فى منامه انه اطعم وسقى فخرج وقد نظر بدنه نظرة لم يرها قط فظنوا ان الرجل هو ابو خليل وفى السير وكان من قادات المسلمين وكان يمضى الى المسجد يمكث فيه ماشاء الله يصلى ثم يرجع مسرعا فقالت له امرأته لم تفعل ذلك يا شيخ فقال لها للنفس اقبال وادبار فاذا وجد الرجل فى نفسه اقبال اغتنم واجتهد واذا لم يجد ذلك فى نفسه تمسك بالفرائض وأداها حتى ينشط لئلا يمل ، وروى عنه انه تكلف انواعا من العبادات عجز عنها غيره وذلك انه ربما جعل ليله اجمع ركعة واحدة وربما جعله سجدة واحدة وكان من العلماء الذين جرت عليهم نسبة الدين بالمغرب من نفوسة وغيره وذكر ابو عمرو السوفى فى اسناده ابو عمرو وعن ابى العباس عن ابى الربيع سليمان بن يخلف عن ابى عبد الله محمد بن بكر عن ابى زكريا فصيل عن والده ابى مسور عن ابى معروف عن ابى ذرابان بن وسيم عن ابى خليل عن ابى المنيب محمد ابن يانس عن حملة العلم عن ابى عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن عمر عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن اللوح المحفوظ عن رب العالمين واما نفوسة فذكر الشيخ البغطورى انه اخذ الدين عن الشيخين الفقيهين التقيين ابى محمد

عبد الله بن محمد الجدولى وابى يحيى توفيق بن يحيى الجناوني وعن داؤد بن هارون وعن داؤد بن يوسف عن ابى زكريا يحيى الجناونى عن ابى الربيع سليمان بن موسى عن يحيى بن سفيان وعن البشر بن محمد وعن وجدليش بن فىّ عن ابى يحيى يوسف بن زيذ وعن ابى نصر عن ابى محمد يصليتين بن محمد عن ابى هارون الجلالنى عن ابى القاسم البغطورى عن ابان عن ابى خليل ومن اخباره ان ابنا له مات مقتولا فأتته المشايخ بقاتله يلتمسون الفضل والعفو فلما جن الليل قتله واستعان عليه بغيره فلما اصبحوا طلبوه فقال قتلته فغضبوا وعابوا عليه ثلاث خصال تركه للافضل الذى هو العفو واستعانته بمن ليس له فى الدم شيء وخان فى وديعته فاجاب بأن لو اخذت بالافضل وعفوت فاذا كبر اولاده وقتلوه كانوا جانين فيقتلون فيه والاستعانة على شاة عيد بغير من يضحى بها جائز والوديعة اذا ثبتت انها مال المودع عنده جاز له التصرف من غير اذن المودع وقال لأبان بعد ما كبر هل على مثلى صوم قال اذا لم تقدر فاطعم مسكينا قال لم تأت بها وقال له ليس عليك صوم اصلا قال الان جئت بها يا أبان .

ومنهم والى العهد وكان من اهل العلم والدين والورع واليقين وفى السير انه من اهل مرجس من قرى نفوسة وقيل انه باحث يوما ابا المنيب محمد بن يانس فارتفع بهما البحث الى ان قال احدهما يافنفان وقال الآخر ياكنكان فافترقا على حرج فقال والى العهد لزوجته فى اليوم الثالث ناولينى عكازى لئلا تحل على الرواية لا يحل للمؤمن ان يهجر اخاه فوق ثلاث فاذا ابو المنيب استاذن عليه فقال له مثلك الذى يوافق مثل هذا يا ابن يانس .

ومنهم ابو ذر صدوق الفرسطائي ممن اخذ العلم عن ابى مرداس وجازت عليه نسبة الدين وفى السير قال ابو مرداس حين يتعلم عنده قولوا لابى ذر ينصف من نفسه والا فلا يطلع الى الجبل ولم يذكر فيما ينصف

وفيها قال ابو ذر اى شىء تركت لك يا دنياى اتيّمم لصلاة الضحى بجد مورت .

ومنهم سعد بن ابى يونس عامل الامام عبد الوهاب على قنطرار وفى السير ان ابا القاسم الفرسطائي زار ابا محمد سعد بن يونس فى تيجى فلما حضر وقت الصلاة نزلوا ليغتسلوا فى العين فألفوه مسدودا حوضه وناس يعومون فيه فقال ابو محمد ضرونا وضروا انفسهم ونزلوا الى ماء آخر فلما رجعوا وجدوا موضع السد يرشح قال ابو محمد لولا من الرشح لنجسوا وبخست ثيابهم وقال ابو زكريا ارسل ابو يونس وسيم بن سعيد ابنه سعدا الى تيهرت ليتعلم العلم ومعه نفاث بن نصر فتعلما عند الامام فلما بلغا من العلوم ما اراد الله ارادا الرجوع الى بلدهما وذلك وقت موت ابى يونس عامل الامام على قنطرارة وتقدمت اخباره فاختار الامام افلح سعدا لاحكام الناس وقدمه فى موضع ابيه وكتب بذلك كتابا وطبعه وامرهما ان لا يقرآه حتى يصلا بلدهما فاستخف نفاث اثره ببعض الطريق ففك الختام على حين غفلة من سعد ليطلع على ما فيه ومن المقدم منهما فلما وجد سعدا مقدما حمله الحسد وحب الرياسة ان اظهر الطعن فى الامام فارسل اليه ان يأتيه ويوضح له ما انتقم عليه فما استحق التوبه فتاب ورجع والا فايه وقد اطلعت على بعض كتب الامام الى المشايخ فى شأنه وقد اكثروا الكتب الى الامام فى شأنه ثم انه خاف فانتقل الى المشرق ثم اتى بغداد وله فيها اخبار فى شدة الحفظ وكثرة العلم وحمله لديوان جابر الى المغرب وبقى سعد أميرا عدلا متقيا وقيل ان سعدا بنى دارا وكان البانى نفاثا وكان بناء عظيما واذا اجتمعت الناس لحوائجهم الى سعد خشى ان يظنوا به انه رضى على نفاث فيقول فى ذلك الملأ متى تترك ضلالك وكفرك يانفاث فيقول معاذ الله ان اكفر يا شيخ وفى حفظى يقول ليس الشتم بعبادة يا شيخ فاذا خلا سعد يقول ليس هذا جزاء من يخدمك ولكن جزاؤه الخبز واللحم وسعد ممن كره الغدو الى مانو لقتال ابن الاغلب

وقال له بعضهم لم ترد الموت فى سبيل الله واشتقت شداخ قنطرارة قال رحمه الله ليس بى ما يقول لكن خفت ان تذبح البقرة ويتبعها الولد يعنى نفوسة وقنطرارة .

ومنهم أبو ذرابان ابن وسيم الويغوى من العلماء العاملين وكان عاملا على جبل نفوسة قال ادركنا الناس الذين هم الناس احاديثهم ذكر الله ومعانقتهم بالمودة والصحبة والمحبة وبقيت حتى صحبت ناسا احاديثهم الدنيا وزيارتهم الحوائج ومعانقتهم بالنطاح وجاءته ابنته زائرة فامطرت السماء فقال بيتي قالت انما أذن لى فى الزيارة لا فى المبيت فقال سيرى فى حفظ الله وستره فمضت والليل مقبل والمطر هاطل والبلد شاسع فوصلت وقد حفظها الله ولم تقع عليها قطرة ومثلها لابى عثمان فجازت بقوم بسقيفة جمعهم المطر اليها او ساباط فتعجبوا من قدرة الله تعالى وكيف حفظها الله وذكر ابو الربيع ان ذئبا أذاه فى بستان له فدعا عليه فاصبح منتفخا فى البستان وفى السير ان ابان اخذ العلم بعد ان كبر والسبب الحامل له انه مرض هو واخ له صالح فرقدا فى بيت ابان عند بابه وكان الناس يغشونهما زائرين فيقولون لابان كيف حالك يا مسكين فيجيب ان عاش ابان جعل للدنيا جزاءها ان شاء الله ثم يدخلون الى اخيه ابى عبد الله فيحدثونه بل يقولون ذلك لابان عند خروجهم والله اعلم فقام من مرضة ذلك فاجتهد فى طلب العلم فتعلم عند ابى خليل الدرشلى وكان يعمل شغله الى آخر النهار ثم ينزل الى درشل فيجتهد ليلته ثم اذا حضر مجلس الصبح طلع الى ويغوا وحفظ مرة سبعين مسألة فطلع فنسى اربعا فرجع فلما راه ابو خليل قال نسيت كذا وكذا فعدهن فقال من اخبرك قال يعرف الراعى النفورة من غنمه وقال له ابو خليل افت للناس بالرخص لكل زمان نذير وانت نذير زمانك وقعد ابان والمشايخ فى خباء مرض فيه العبيد الجدرى ونزل المطر فاول قطرة وقعت من الخباء على عمامة ابان ولم يشتغل بذلك وسأل عن من حلف لامرأته بطلاقها لا زوج ابنته

لمن احبا ولا كرها فقال زوجها ممن لا تعرف وله مسائل فى الفقه كثيرة
واختلف هو والمشايخ فى ولاية الخاص فى زمان الامام فقال بوجوبها وابوا
فدخلوا داره واتى بسلاحه فنظر الى العباس فقال لم تنظر الى قال أفانت
شعاع الشمس حتى لا انظر اليك وقيل قال ذلك لابى عبيدة وهو إلصحيح
فقال له العباس عمن اخذتها قال عمن اوجب علينا امارتك يعنى الامام
فرجعوا الى قوله ومر على العباس وابن يزيد قاعدين يتحدثان حتى كادت
عمامة العباس تصل عمامة ابن يزيد فانتهره فلما تولى بعد العباس قعد فى
ذلك الموضع مع ابن يزيد يتحدثان حتى كادت عمامته تمسح عمامة ابن
يزيد فتذكر كلامه للعباس فقال رحم الله العباس ولما ولوه بعد العباس
دعا الله لان يمكث فيها اكثر من سبعة ايام فان جاز فلا يتجاوز سبعة
اشهر فان جاز فدون سبعة اعوام فمكث اقل من سبعة اشهر وكان له
مجلس علم عند امرأة صالحه فقيهة فخطبها وتزوجها فأتى اليها كالعادة
فأستاذن فأذنت له فقال تزوجتك من وليك وعقدت نكاحك فاغلقت
الباب فقالت كنت تدخل بامانتك ففتحنا لك والآن صرت مدعيا فان
آتيت ببينة رضينا بك زوجا والا فانصرف وقيل قالت له انك امين وقد
احتجت الى الامناء ولو كنت ابانا وهى زوجته بهلولة وسألها مرة عن
النسوان اللائي يغشين بيته للتعليم والافادة فقالت فلانة على الزيادة فى الخير
فقال زيدى الزيت والفتيلة وفلانه تكون عند جماعتين قال اغلقى الباب
فى وجهها وفى السير قال له استاذه وشيخه ابو خليل ثلاث يصلحن لدنياك
واخراك لاباس ان تستخدم العبيد بالليل اذا لم تستقص خدمتهم بالنهار ومن
اتفق على عمل الربا وفسخ ذلك بلسانه وتاب اجزاه وان قدرت ان لا
يصلك الموت الا فى غرس الشجر فافعل ودخل عليه يهودى وهو غضبان
فقال مثلك لا يغضب على امر الدنيا فوطن نفسك على ان لا ترى فيها
ما يسرك وكن كمن قدم بضاعته الى بلد يريد اللحوق بها وقيل كان وقت
التعلم على ابى خليل يتعلم معه ابن مؤنسة وكان ابو خليل يحتفل وينحفز

ويتهيأ ويستوى اذا دخل ابان واذا دخل ابن مؤنسة عكس استخفافا به فلامه بعض قربائه بان الناس قالوا فى ذلك فقال ان ابان يتعلم لله وابن مؤنسة يتعلم ليؤذى به وكان الامر كما تفرس وتقدم مثلها لشيخه محمد بن يانس حين يتعلم ابو خليل وعمرو بن يانس عنده وكانت زوجته بهلولة ممن وافقه وطابقه علما وعملا وحسن عشرة .

وفي بلده بعده غزاله ، امة ، وقيل عنها قبل ان تجلب من السودان اذا اكلت الدم قاءته ولايثبت فى بطنها فلما جلبها مشتريها جعلها قبل ان تسلم فى سلسلة مع العبيد خشية الاباق فاذا سمعت القراءة قعدت على نفسها وبركت على ركبتيها واستمعت واسلمت فاشتراها رجل من اهل ويغوا فكان دأبها ان تخدم مولاها بالنهار فاذا نام ونام عياله انصرفت فتحضر مجلس الذكر عند ابى محمد عبدالله بن الخير فى تنورزيرف وجدتها بخط عمنا يحيى بن ابى العز براء بين واووزاء بعدها ياء وراء وفاء وبينهما نيف وعشرون ميلا اكثره صعود وهبوط وعقاب وجبال فاذا انقضى المجلس رجعت فتأتى مصلى لها فى كهف معلوم فتصلى وتجد مصباحين يقدان لها فاذا كان آخر الليل أتت اهلها فايقظتهم للصلاة ففطن لها سيدها فاعتقها وتمادت على فعلها وتجد بعد العتق مصباحا واحدا .

ومنهم ابو الحسن التويغتى وهو من السادات الاخيار جمع علما وفقها وعمل بهما وحج على اتان له سبع مرار وكلما قدمت نهقت فيضحكوا فيقول ماضحككم وقد اقامت عليكم الحجة وفى السير اذا اصبح اشرف على الجبل فيقول هل من ماء يا وراد فيقولون نعم فيحمد الله ويتلو ﴿قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا — الاية﴾ (١) وضجر الوراد من سؤاله فاجابوه يوما بلا فنظروا الى البئر وقد غار ويبس ولم يبصروا الا صلصلة الطين .

---

(٢) سورة الملك ٣٠

ومنهم ابو يوسف حجاج الويغوى وفى السير كان رجلا صالحا وله امرأتان وتكلف تمام العدل بينهما وفى البلد بئران احدهما اطيب واقل ماء فان وجد فيها ما يكفيهما اخذ منها وإلا أخذ من الأخرى وإذا أراد أن يكسبهما أخذ شقتين فيخلطهما ثم يكسبهما ، وفى السير تلف له اربعمائة دينار فقام الى الصلاة ولم تخطر بباله حتى استكمل صلاته وفيها دخل اندر اليتيم فسافر الى الحج فوجد فى كرزيته حبة شعير فحفظها حتى رجع فاعطاها له وفيها ارسل امته تستسقى فأستبطاها فخرج فى طلبها فوجدها استراحت واخذها النوم وجعل سراويله تحت رأسها وأخذ القربة خشية ان تستوحش من فقد القربة فلما استيقظت وفقدت القربة وعرفت السراويل قالت هذا فعل سيدى رزقه الله الجنة وفيها عزل نفسه فى بيت خشية الميل وقال لامرأتيه من احب منكما ان تاتينى فلتفعل فى نوبتها .

ومنهم ابو زجمين وقيل ويسجمين وهو الصحيح وسيأتى انه فى زمان ابى عامر من ذرية عاصم فانظره هناك ذكر بعض اصحابنا ان شدة وقعت بجبل نفوسة وجدبا وبلاء وقحطا حتى اضر الناس وماتوا جوعا وتصوح النبات فصار هشيما فارسل وزجمين الى عاصم السدراتى ولده يدعو الله ويرغبه ان يغيث اهل الجبل ويرسل عليهم رحمته فلما بلغه قال له ارجع لم تأتنا الرحمة بعد ولم ار لها علامة فرجع واخبر والده بما قال له فلم يزداد الامر الا ضيقا ثم أرسله بعد مدة فوجد فى غنم عاصم مرضا فقال نعم الان جاءتنا الرحمة فدعا الله لاهل الجبل فرجع ولم يصل اباه الا والاودية هرير والاتلاع شرير وقد دفع له عراق لحم نضيج يرفعه لابيه من تلك الغنم فدفعه لوالده فقال له على ما افطرت قال على عروق الاشجار وقشورها وجذور النبات قال له والده لو اكلت منه نزعت من الولاية وهو من تاغرويت وسياتى فى مناقب ابى عامر مثلها ثم تولى بعد الامام افلح ابنه ابو بكر ثم ابو القيظان محمد بن افلح بتسليم اخيه له اذ كان وقت وفاة الامام افلح محمد بالمشرق .

فلما اجتمعت الكلمة بعد اختلافها على محمد بن افلح لعلمه وورعه كان اول شيء نظر فيه التماس قاض عدل يصلح لان يقلد امور الاسلام فاشاروا عليه بتقديم الشيخ التقى العالم النقى محمد بن عبد الله بن ابى الشيخ وكان وقافا شديدا فى دين الله حازما لقمع المظالم والمناهى آمرا بالمعروف ثم عزل نفسه لمنكر بلغه بعد ان احسن السيرة واظهر الحق وتجردت نفوسة الجبل لاصلاح الاسواق وقمع الفساق لان نفاقهم نجم مدة الفتنة وظهر فسادهم وعظم ضررهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون منار الحق فاصلح الله الفساد على ايديهم حتى عاقبوا القصاب على نفخ الشاة ومنعوا الحمال على دابته ان يحمل عليها فوق طاقتها وانقطعت مادة الفتنة وعمرت المساجد وكانت خلافته نحو الاربعين وعمره نحو المائه قال ابن الصغير رأيته يوما بمصلى الجنائزية ينتظر فراغ دفن جنازة من وجوه الناس ابيض اللحية والرأس ربعة وضعت له وسادة من جلد قال كان اذا جلس لايتكلم احد فى مجلسه الا ان تكون ظلامة ترفع قال وكان زاهدا ورعا سكيتا واذا جلس فى المسجد الجامع جلس على وسادة من ادم وله سارية تعرف به يجلس اليها وجمع العلم والعمل وألّف كتبا كثيرة قال ابو زكريا ان محمد بن افلح اجتمع المسلمون فولوه على انفسهم ولم يكن منهم فى توليته اختلاف وبلغ فى العدل والفضل غاية عظيمة وكانت نفوسة لا تعدل بولايته الا ولاية جده عبد الرحمن رضى الله عنهما وكانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله طائفة يقرأون وطائفة يصلون وطائفة يتحدثون فى فنون العلم وكان حسن السيرة اورع من فى زمانه وله فى الرد على المخالفين كتب كثيرة ومات عام احد وثمانين ومائتين ووجد فى تركته من العين سبعة عشر دينارا وبلغ فى العلم مبلغا عظيما والف كتبا كثيرة ووضع فى الاستطاعة اربعين كتابا وحدها وقد تقدم ان بيتهم بلغ فى العلم مبلغا عظيما وذكر عن ابيه افلح انه قعد عليه قبل بلوغ الحلم ثلاث حلق يتعلمون فنون العلم من الكلام واللغة والفقه

وان الامام عبد الوهاب أتته خزانة كتب نظرها فما استفاد منها الا ثلاث مسائل لكثرة علمه ومكث الامام افلح ما تقدم فى الولاية قيل لم يعد خطبة عيد ولا جمعة ومع ذلك اراد قبل الولاية السفر للتجاره فسأله ابوه فتوقف فى مسألة فمنعه خشية ان يدخل عليهم الربا ، واخبار ابى اليقظان كثيرة واقتصرنا على هذا .

ومنهم عيسى بن فرناس النفوسى وكان من اورع الناس وكان ابو اليقظان محمد اذا جلس قباله نصب عينيه على ما حكى ابن الصغير .

ومنهم محمود بن بكر وكان اخص الناس بابى اليقظان .

ومنهم عبد الله بن اللمطى وكان الشيخان غاية فى علم الكلام وكانا يردان على الفرق وينقضان مقالات المبتدعة والفا كتبا فى ذلك قال ابن الصغير وقد جمع بين الاباضية والمعتزلة للمناظرة نادى زعيم المعتزلة عبد الله اللمطى فاجابه قال هل تقدر وتستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه قال لا قال هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان انت فيه قال لا قال هل تستطيع الانتقال من مكان انت فيه الى مكان لست فيه قال اذا شئت .

ومنهم ابو عبيدة الاعرج وكان غاية فى العلم والعمل والورع والادب قال ابن الصغير فيما نقل عنه كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم والحلم واذا اختلفوا فى مسألة فى الكلام والفقه صدروا عن رأيه ، قال جالسته مرارا فما رأيت فى سود الرأس اخشع لله تعالى منه وكان لا يجمعه مع ابى اليقظان الا المسجد الجامع قال حدثنى احمد بن بشران ابا اليقظان ضرب سرادقه لامر اراده وبرز بنفسه وعلم الناس بخروجه فخرج اليه القراء والفقهاء وضربوا اخبيتهم حوله حاشا ابا عبيدة فبينما الناس ذات يوم اذ أقبل ابو عبيدة فقالوا هذا ابو عبيدة جاء اما مسلما او مفتقدا

فاعلموا بقدومه ابا اليقظان فلما دخل عليه رحب به ورفع درجته وادنى منزلته ومكانه فقال امسلما او مفتقدا فقال لا مسلما ولا مفتقدا ولكن جارة لى خرج ابنها البارحة لطلب معاش له ولها فاخذه صاحب الحرم فحبسه فأتتنى امه شاكيه فأردت اطلاقه فأمر باطلاق من حبس تلك الليلة اجلالا لابى عبيدة ثم سلم وانصرف فعجب الحاضرون من صدقه وتركه التصنع واظهاره على لسانه ما اسر فى قلبه قلت انما ذلك فيمن اخذ تأديبا الا من عليه حد من حدود الله قال وكان عالما بالكلام والفقه واللغة والنحو والوثائق وكان مع الديانة والعلم حسن الادب وكان اهل المغرب كلهم مشغوفين به ويرسلون اليه بزكاة اموالهم يصرفها حيث شاء من سجلماسة وغيرها ومن ورعه وتقشفه ان خديمه ابا سابق علف ليلة فرسه من بيت المال فاعلمه فقال ما هذا يا ابا سابق وحلف لا قام ولا اكل ولا شرب حتى ترد فى بيت المال فنزع ابو سابق عن الفرس وكمل ما نقص من اكل الفرس من ماله ورده من حينه فما برح حتى رجع ابو سابق فاعلمه فقال الآن احسنت .

ومنهم ابو منصور النفوسى عامله على نفوسة وطرابلس واسمه الياس من اهل تندميرة قريه من قرى نفوسة وكان فى ابتدائه قال فى السير من اهل الجملة فنزل مرة الى تيجى فالتقى بابى مرداس مهاصر حافى الرِّجل قد ادماها الشجر والحجر فى سنة قحط وشدة فاعطاه نعليه قال ابو مرداس نزع الله منك يا فتى مالا يرضى ورد فيك ما يرضى قال ابو منصور فحسست حين دعا بما غشينى فوقع فى نفسه التعلق بالمراتب العالية من العلم والعمل ببركة الشيخ وقد تقدم وكان بعد ان تولى امور المسلمين اذا خرج لقتال العدو ويركب بغلة ولا يتقى نبلا ولا ضربة على نفسه ولا على مركوبه ولا تقع به ولم يهزم له جيش ولم تنكس له راية وخرج مرة فى طلب ولد خلف وقد هرب الى زواغة وكان على مذهب ابيه ونزل عليهم بريموا فاجتمع رأيهم على قتاله ومدافعته ومنع ولد خلف منه فقال

شيخ من شيوخ بنى يهراسن يسمى ابا سلمة هل لكم ان تتركوا ريموا وتتحصنوا بجزيرة جربة او ترسلوا الى الامام بتيهرت يخرجكم من عمالة نفوسة ويفرد لكم عاملا او تدفعوا صاحبكم الى نفوسة وانا كفيل لكم ان لا يتجازوا فيه الحق وحكم الله فسفهوا رأيه فقام فاجتمع امرهم على لقاء ابى منصور فلما ابلغهم ناصبوه الحرب فهزمهم الله وقتل منهم بشرا كثيرا فدخل ولد خلف الى جربة فتحصن ببعض قصورها ثم ارشى من نزل عنده فدفعه لابى منصور وسجنه ثم وقعت مسألة وهى قطع الرجل فى الحد فسألوه من اين يقطع فقال دون العاقب ثم تاب ورجع وفى حفظى يسمى الطيب بن الخبيث بن الطبيب وذكر ابن الرقيق ان ابا العباس ابن طولون نقل من بيت مال مصر مائه حمل ذهبا واراد المغرب وتلقاه ابن قرهب صاحب طرابلس فهزمه وقتل من رجاله ومن على اسر منهم ودخل ابن قرهب طرابلس وتحصن بها وحاصره ابن طولون ثلاثة واربعين يوما واستغاث اهل طرابلس بابى منصور النفوسى فقام محتسبا وكان خارج طرابلس زعيته فلاقاه ابو منصور فى اثنى عشر الفا فهزم الله ابن طولون وقتل اكثر اصحابه ولم يأخذ من اموال ابن طولون شيئا تورعا عنها وزهدا فى الدنيا الا رجلا واحدا اخذ حملا وستأتى قصته .

ومنهم عمروس بن فتح المساكنى النفوسى قاضى ابى منصور الياس قال ابو العباس بحر العلم الزاخر بل حاز كل المفاخر وحاز قصب السبق وان كان فى السن متأخرا كان ضابطا حافظا محتاطا محافظا قال ابو العباس لم تشغله المجاهدة فى الله عن دراسة العلم ولم يلهه التبحر فى العلم عما تعين عليه من مصادرة تلك الهموم لازم الدرس والاجتهاد ثم رابط على الجهاد قال ابو العباس له مصنفات فى الفروع والعقائد قال ابو الربيع عن الشيخ ابى محمد عبد الله عن ابى محمد ماكس بن الخير رحمهما الله ان عمروسا عالما غاية زمانه وبلغنا انه هم وعزم ان يفرز مسائل الفروع فيبين ما استخرج من الكتاب وما استنبط من السنة وما كان من الاجماع فيرد كل شيء الى اصله قال ابو العباس وصرف الى ذلك وجه العناية

حتى يكون تاليفه طرازا لما صنف فى علوم الشرائع واعجلته المنية قال ابو الربيع وابو العباس اختصم اليه رجلان فى مجلس الحكم بمحضر ابى منصور فادلى الطالب بالحجة فاسترده المطلوب الجواب فسكت فاعاد وسكت ثم اعاد فلم يفعل فاستبان له لدده فقام اليه فركله برجله ورمحه فقال الجلساء عجلت على الرجل فجمع اصابعه فقال كم هذه قالوا خمسة قال اهذه عجلة حيث لم يبتدؤا بالعدد من الواحد ثم قال لابى منصور ان لم تأذن لى بثلاث فخذ خاتمك عنى يا الياس قتل مانع الحق والطاعن فى دين المسلمين والدال على عوراتهم وفى السير خرج ابو منصور الى قوم سمع انهم اكلوا عيرا فاشتبه عليه الامر بين اهل العير والقاطعين عليهم فارسل الى عمروس ان يسرع اليه فلما اتاه سال اهل العير عن صفة امتعتهم وسأل الآخرين فتميز له الحق وذكر ذلك ابو العباس وابو الربيع وذكر ابو الربيع وابو العباس انه قال لالياس هؤلاء اصحاب الرفقه وهؤلاء اضيافك يكنى بذلك عن حبسهم والانكال بهم قال ابو العباس وابو الربيع جلس معه ذات مرة داود بن ياجرين وماطوس رحمهم الله فتحدثوا حتى جرى بينهم ذكر اهل الصدق والكذب وذكروا اهل شروس فقال الشيخان اهل شروس لا يكذبون فاظهر عمروس اجازه شهادة كل شروسى فعاتباه على ذلك فقال انما حكمت بشهادتكما اذ زكيتماهم قالا لا نريد ذلك فتوقف عن الحكم بشهادة غير المعلومين بالعدل والتقى قال ابو العباس عمروس اجل من ان يتجاوز الى هذا القدر او ينسب اليه هذا التهاون ولعله اظهر لهما ذلك تجازفا اذ بريا من الكذب جميع اهل البلد جملة لاتفصيلا وتادب ان يوجههما بالمناقصة فسلك معها طريقا يرجعان فيه الى الصواب من غير تخطئة ولا توبيخ وهذه جملة فضائل وذكر ابو الربيع وابو العباس وذكر فى السير ان عمروسا واصحابه قدموا مكة حجاجا فدخلوا على محمد بن محبوب فى مجلس من اصحابه فسلموا ورحب بهم وادنى مجلسهم تعظيما للجنس فلما تبوأوا للمذاكرة سأله عمروس عن مسألة فقال ابن محبوب ان كان ابو حفص فى شىء من هذا البلد فهذا

السؤال منه فقالوا له هو السائل فرفع ابن محبرب مجلسه وزاد فى دنوه فجعل عمروس يسأله فى مسائل الدماء واكثر فقار ابن محبوب هذا من مكنون العلم فلا يعلن به فى قوم جهال فقال عمروس لاصحابه احفظوا السؤال احفظ لكم الجواب فلما قدموا نفوسة قال عمروس هلموا ما تكفلتم قالوا لم يبق معنا الا قولك احفظوا السؤال احفظ لكم الجواب فقام بهما جميعا سؤالا وجوابا وفى السير سأله رجل بمحضر ابى مهاصر عمن اخذ من مال ابن طيلون خرجا فتاب ولم يعلم له صاحبا قال تسأل عن مولاه فان اعياك امره فتصدق به فغضب ابو مهاصر فقال لا اقعد فى مجلس يفتى فيه بمثل هذا قال عمروس ان اردت ان تقعد فاقعد فان من شأن المسلمين ان لا يؤيسوا احدا من رحمة الله وفيها وسمع بموت ابى مهاصر وقد لبس احدى نعليه وذهل عن لبس الاخرى فمسكها فى يده ذهولا وتفجعا وتفظيعا لما سمع فما ادركهم الا وقد دفنوه فتمرغ على القبر فقال كما امنت لك يا اخى يعنى من المصائب الدينية فقال الجهال استراح منه وتأولوه للامور الدنيوية اعنى جهال افاطمان بلد ابى مهاصر ولما وفد ابو غانم بشر بن غانم الخراسانى على الامام عبد الوهاب ومعه مدونته المشهورة فى الفقه التى رواها عن تلامذة ابى عبيدة وجاز على جبل نفوسة واستودع عمروسا نسخة منها واخذ فى نسخها واخته تملى عليه ويلازم الموضع حتى تدركه الشمس فينتقل حرصا فى احياء العلم فما رجع بشر الا وقد استكمل نسخها وهو فى اثنى عشر جزءا (١) فوجد نقطة

(١) كتاب «المدونه» للامام العالم ابي غانم بشر بن غانم الخراساني من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وكتاب المدونه يقع في اثنتى عشر جزءا ، يحتوى على كثير من الاحاديث المسنده الى النبي ﷺ كما انه مشحون بفتاوى اقطاب العلم والعمل جابر وابي عبيدة والربيع وغيرهم رضي الله عنهم . ولكن هذا الكتاب فُقد منذ فترة حتى ان الامام القطب محمد بن يوسف اطفيش لم يعثر إلا على قطعة منه فقام بوضع حاشية عليها ، وفي الايام الاخيرة القريبة عثر على احد عشر جزءا من هذا الكتاب ولم يتخلف سوى جزء واحد في الحج ومناسكه وعسى ان يظهر في المستقبل القريب ان شاء الله .

حبر على بعض الكراريس فقال سرقت هذه قال سماني سارق العلم فلما وقع ما وقع بتيهرت واحرقت كتبها بقيت نسخة عمروس ينتفع بها الاباضية ولولاها لبقى اهل المذهب من غير ديوان بالمغرب يعتمدون عليه وذلك ببركة عمروس وحسن نيته ويمنه وكتب وصيته فى كتاب ودفعها لورثته فأمرهم ان يعملوا بمضمونه وانا خصيمكم بين يدى الله وذلك اظن عند خروجه الى مانو للقاء العدو وفيه استشهد رحمه الله وقال ابو العباس وابو الربيع ان ام عمروس اوصت اليه فى المهد واستخلفته فلما كبر وقضى وصية امه وجد فيها الحج فسأل هل يتولاها ليدعو لها ام لا فلم يجد من يتولاها به الا امرأة فتولاها بها فحج عنها وكان المسلمون من اهل جبل نفوسة اكثر الناس حجا وازكاهم نهجا وانهم يحجون بالنساء والذرية وذكر انه ولد فى ركب واحد ثلثمائة صبى ذكورا ولهذا قالوا من حج عن غير متوليه فهو هالك ، انتهى كلام ابى الربيع ، وفى السير ان لابى ميمون مثلها كما تقف عليها ان شاء الله وذكر ابو زكريا وابو الربيع وابو العباس ان عمروسا لما وقعت الهزيمة بمانو استشهد هناك قال ابو زكريا ان عمروسا يحمى على الناس ويذود عنهم وكان على فرس سابق ولم يقدروا له على شيء فاتخذوا حبالا اضطروه اليها فعثر فاخذوه أسيرا فسأله عدو الله ابراهيم بن الاغلب امير المسودة ان يطلبه العفو فقال كلمة لا تسمعها منى ابدا ولكن اسألك ان لاتعرينى من سراويلى فقطعوه بمقراض الحديد فلما بلغوا الاكحل استشهد وفى السير حمى ساقة الناس على فرس سابق فاخذوه بالحبال وطلبوه ان يرجع عما هو عليه فيتركوه قال تلك كلمة لا اقولها حتى الحق بالله فقطعوا يديه الى المرفقين فمات شهيدا رحمة الله عليه وفى السير مكث بالمغرب يتعلم عشرين سنة فلما قدم قال له اخوه لو رأيت اجرافا فى فدادينك قال له مجيبا لو رأيت اجرافا يتعلموا دينك وكانت اخته عالمة وحضرت وقعت مانو فاخذت اسيرة فى عدة نساء فخافت عليهن الفساد من الفساق فامرت ان تستخلف كل واحدة على نفسها من

يزوجها لمن ارادها بسوء وبعث اليه بعض الاشياخ من المتكلمين من اهل فزان ان يؤلف له كتابا فى الاصول فكتب اليه الكتاب المعروف بالعمروسى وكتب اليه رسالة فلما رآه الفزاني وهو الذي وضع الكتابين المعروفين بأصول الكلام قال النفوسى اقوى منى وفيها خرج مع ابي مهاصر وكانوا يستقون بالماء على بغلته من الجبل قال ان دمتم عليها لا ينفعها اكل الربيع فتركوها وتيمموا للصلاة وتقدم رجوع ابي مهاصر وفيها نزع من القضاء من غير حدث فطلبوه الرجوع فأبى والسبب ان عبدا اشتكى مولاه فقال اصطلح مع مولاك وكان ابو مهاصر حاضرا فقال أعط له حقه من مولاه نزعك الله من ذلك المكان ورد فيه غيرك فنفذت دعوته وروى ان له عبدا نصرانيا فاستخبره ماذا يبلغ فيهم فقال قلة الذواقة من الطرفة .

ومنهم سدرات بن ابراهيم المساكنى النفوسى وكان شيخا عالما متقيا وفى السير سئل عن امرأة وضعت ولدا وبقى آخر فى بطنها هل تأكل فى رمضان نهارا قال نعم فقال بعض الاشياخ نعس الشيخ فقالت اخت عمروس ان نعس لم ينعس علمه وكلامه وجدناها تاكل اذا انشقت المبوله فكيف بهذه وفى منزله امرأة صالحه ولدت صبيا على فقر وقلة لباس فتنام فى شق ثوب وابنها فى شق سنة فاذا اصبح ذهبت الى ماء بعيد عن البلد فتغسل بعض الثوب ثم تلبس ماغسلت وتغسل الباقى كذلك شتاء وصيفا وصبرت على ذلك فسمع بذلك ابن خليل فارسل اليها بثوب فوسع الله عليه من هناك .

ومنهم ابو مسور يصليتن النفوسى الادوناطى قال ابو الربيع هذا الشيخ عظيم القدر فى الاسلام عالم عامل ورع قال ابو العباس احد الشيوخ المجتهدين فى افعال البر المخلصين فى العلانية والسر وعمر حتى بلغ الغاية فى السن والهرم وكان فى زمان الامام عبد الوهاب وعاش بعده وكان يقول

عشت حتى لم اجد فى الامام ما اريده ولا فى نفسى ولا فى الاخوان ولا فى الاولاد ولا فى القبيلة فادعوا الله ان يريحنى مما انا فيه قال ابو نوح لعله لما ضعف جسمه وقل ما بيده وقصر عن ما كان يسدى من الصلاة وفقد ما ادرك فى ريعان الشباب لامه اولئك على ما فقدوا من عرفه وقد كتم ما اصابه احتسابا وقال ابو الربيع وابو العباس وفى كتاب السير ان ابنته سألته عن بعض مسائل الحيض ووصفت له ما ولت من ذلك قال الا تستحيى قالت اخشى ان استحيت منك ان يمقتنى الله يوم القيامة فانتبه الشيخ فقال لا يمقتك الله يا بنيتى قال ابو العباس وكانت عظيمة القدر فى الاسلام قال ابو مسور يوما المسلمون افضل من اقوالهم وقالت هى

اقوالهم افضل لان المسلمين يفنون وتبقى اقوالهم الا ان تريد فضل الاجسام على الاعراض والا فالعلم افضل المخلوقات ونشرا ثيابهما يوما من غسل فقال الشيخ تمنيت ان الله طهر قلبى مثل تنقية الثياب وصفائها قال تمنيت ان يكون تطهير قلبى بيدى فاطهره كهذه الثياب ثم ارسله الى مولاه قال انك ابلغ منى ولو فى الامانى ومن كلامه اذا كانت الفتنة لزمنا ايدينا والسنتنا واعيننا ووكلنا امر قلوبنا الى الله وقال من افسد شيئا من الحيوان عليه شراؤه وفى السير انه يضرب رجلا بالسياط قدام مسجد منزله فابصر رجلا يمشى فى المقبرة على بعد فقال لا اخرج حق الاحياء حتى اخرج حق الاموات فاوتى به فضربه والاول بين الاعواد ثم اكمل له واتم له ما يستحق وهذا من تمام عدلهم رحمهم الله وفيها وجدوا منبوذا بالمسجد فاجتمع الناس فى امره فقال اما نختار له افضل من الحجر الذى هو فيه فتولى أمره فاذا اعطى مالا يدخر وكان له قيمة او لم تكن اخذه بالقيمة نفعا للمنبوذ فقيل له ان مال اليتيم نار ياعمي فكان بعد ذلك يتركه حتى يفسد فيرمى به وقال لابنته ازوجك لمن له عليك سبعون حقا فقالت اردها الى ثلاث ان دعا اجبت وان امر امتثلت وان نهى تركت ونحو هذا .

ومنهم ابو ميمون وابن خالته ابو حمزة لواب بن يوسف وتقدم التنبيه عليهما فى التعريف بابى عامر ومن اخبارهما اذا زار احدهما الآخر مكث عنده من يوم الى يوم يتذاكران العلم ويتعاونان على العباده وينشرحان فى امر الاسلام وكانا اخوين فى الله وزارت امرأة من اهل المنزل ابا حمزة فالفته ساجدا فانتظرت قيامه فاستبطته فذهبت الى ادوناط فأتت مجلس ابى مسور حتى افترق فزارت فى ادوناط من زارت ثم رجعت الى ابي حمزة فوجدته ساجدا كما كان وعيناه تذرفان بالدموع وفى السير لما حضرت الوفاة ام ابى ميمون استخلفته على وصيتها وهو فى المهد فانفذها الا الحج فسأل هل هى من اهل الولاية فوجد ولايتها عند امرأة واحدة فسأل هل يتولاها بها فلم يفت له بها وعندهم من حج عن غير متولى هالك فسافر الى المشرق فدخل على عبد الله بن عباد المصرى فسأله فرخص له فحج عنها وتقدم التعريف بابن عباد وانه امتنع عن اكل اللحم لانه يأكل اشجار الناس وفى السير ارتحل ابو ميمون من قحط وشدة وقعت بالجبل ومعه وديعة لرجل شروسى فنزل بافريقية فادركه المستودع ووجده من تمام الحاجة يطبخ ميتة فقال وديعتى فاعطاها له وهى مائة دينار فقال له ابو ميمون لا يحل لك أكل ما تطبخ فسأله ما يحل لابى ميمون من المطاعم ولا يحل له فاخبره فاعطى للشيخ عشرين دينارا فقال لزوجته ام يحيى اهرق مافى البرمة فحفرت له ودفنته فعصم الله بفضله الشيخ والعجوز من اكلها وخطب عليه ابان ام يحيى وقال لها ساخطبك على رجل قائم بأمر آخرته كسلان لامر دنياه ، وانكسرت ساقية ماء الى غاره فان قضى الله عليك بتزويجه فصلاحها عليك فقضى الله بينهما بالزواج فجلبها فلما نزل من الجبل فنظرت اليه من القبة من فوق الجبل فاستصغرت شأنه فتذاكروا فى الطريق العلوم فمكثوا من يوم الى يوم قالت فما طلعوا الى الجبل الا وهو اعظم الناس فى عيني قالت وجدت عليه اربعين دينارا دينا فقضاها الله عليه بعمل يديها وقيل تعمل عديلة ثياب فى سنتها وقيل تقدم رجل

يصلى بالناس وهو لايستحق التقديم فقالت له اخرج من المحراب يا رجل سوء لئلا ياتيك من السماء اكثر مما ياتيك من الارض فجبذته فكانت تحتذر منه خوفا من شره فالتقته فى مضيق يوما فحس منها الخوف والحذر فقال جوزى كما امكنك ولولاك لهلكنا رزقك الله الجنة وكانت حزيمة لامور الاخرى وامور الدنيا ومن كثرة حفظها انها سمعت رجلا فى طريق الحج ينشد قصيدة ثمانين بيتا فحفظتها كلها ونافستها امرأة من اهل منزلها فسمعت بان شوال قد استهل فلما اصبحت قدمت حلاوة لعيالها فقالت امتها خفت ان يكون لطبقك ريح تفوح قالت كلوا لو دعا بالهلال غراب او امة مثقوبة الشفة فبلغ الخبر ام يحيى فقالت ما اخذنا ديننا بالغراب ولا بالامة ففضحهما الله بفعلها وزارهما ابان اعنيها وابا ميمون وكان يوم مطر فوجدها تصلح الساقية التى ذكر لها حين خطبها فرأته فتذاكرا فتبسما فتعاونا على اصلاحها فلما قضى الله لابى ميمون بالاستشهاد شيعته حين خرج قالت ادع الله ان يكتب سلامتك قال ذلك عقد فرغ منه ولكن ادع الله ان يجعلك زوجة لى فى الجنة فلما استشهد بقيت بعده كهفا للاسلام ومأوى للاخيار فكانوا يجتمعون عندها عزابة امسين فى ليلة الجمعه يتذاكرون ويحيون ليلتهم فى العبادة وتفقدت ابا يوسف ابن منيب ليلة فلاقته بعد ذلك فقالت اكفر بعد ايمان يا زكريا فاعتذر انه اشتغل بغسل ثيابه من بخس باجلازن وابو يوسف بن منيب واخوه بل بنو منيب دار علم وعمل وزهد فى الدنيا ورغبه فيما يبقى ومن العجائب من مؤلف اخبار علماء نفوسة ومناقبهم كيف ترك الكلام على كرامات بنى منيب مع شهرتهم فى الاسلام واعجب منه ترك ذكر بنى العباس وأكد فى العجب غفلة اخبار ابى زكريا والجميع فى حوزة واحدة ولعله الف وضاع حين الجمع للكتاب والقرطاس الذى فيه مناقبهم فذهل عنه وغفل وتقدم التنبيه عليهم فيما مضى بالاختصار .

وكانت شاكرة الرعرارية من اهل أثره تقرأ على ام يحيى فروت من

اطعم مسلما مقدار ما يقع على الضرس يعطى له اثنان وعشرون سهما و نصف فى الجنة ولو اعطى اهل الدنيا ذلك النصف لوسعهم من اول الدنيا الى اخرها فلم تفسر من اى شيء يطعمه وتختلف عليها سنة ان رجعت تفكرت وعزمت حين اللقاء على السؤال لماذا وتذهل حين الاجتماع فتفكرت يوما وهى خارجة من بيتها وهى تقول مماذا حتى بلغت ام يحيى قالت مماذا قالت من اطيب طعام من ماله قالت ومن اعلمك ان السؤال على ذلك قالت ام يحيى علمت حين لم افسره انه بقى فى نفسك وفى السير ان كتاب الخليل الصالح اول ما وقع بالجبل عند بعض اهل امسين فمنع من اعطائه للنسخ فاخذته بل عرضه عليها مرة فقالت من اراد ان ينسخ فليأت .

ومنهم ابو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري النفوسي بقية الحافظين واعتماد اهل الدنيا والدين بل كان من الراسخين اخذ العلم من منبعه وسقاه كل عطشان من مستحقه اضاء كل حالك من ارجاء الجبل بعد اظلامه واحياه بعد انطماسه تعلم عند ابان بويغوا وكان يسبق ابان الى المسجد فسبقه ابان ليلة فخرج ينظر ففاجاه فقال ما ابطاك قال اغتسلت على فوجزوكان يسير في كل ليلة من بغطوره ثم يرجع الى ويغو في ليلته فيصلي مع ابان ولم يفقده سنة الا مرة وهي المنبه عليها ، وقيل قعد يفتى بعد وقعة مانو ثلاثة ايام بلياليها وقيل يوم وليلة وهو يقول الكبر عيب وهو يومئذ له من العمر مائة وعشرون سنة وعاش بعدها يعلم الناس ثلاثين سنة وكان الحاكم ابا محمد عبد الله بن الخير وسيأتى التعريف به ان شاء الله تعالى وقالت له التلامذه انكبت عنك ما سمعنا قال اكتبوا ولو بأقلام النحاس صمت اذن نسيت ما سمعت منذ اربع سنين وافتقد ابنه بمانو فأتاه رجل بخبره فقال لزوجة ولده ان صدقته كما صدقته فاعتدى وقال فقدت بمانو ثلاثمائة متولى ولا سيما شيبة الدجى وميال الاتلجامى وجانا التلجامى

التنزغتي وهو أخ له من الرضاعة وختم ابنه المجلس والمعلم فقال ليس لنا من ثواب مجلسنا شيء ثم ختم مرة اخرى مع ابى يحيى بن ماطوس فقال لنا نصفه ثم ختم مع ابن ماطوس رجل صالح فقال لنا جميعه ودعاه رجل من اهل تمنكرت يبيت عنده فالتقيا يهوديا فقال له التمنكرتي مرحبا فقال ابو القاسم لا رحب الله بك الى ثلاث فرجع عنه وتركه وقال لابي محمد عبد الله بعد مانو احكم بان المرأة هي القاعدة فيما ينسب الى النساء وورثة الزوج هم القاعدون فيما ينسب الى الرجل والمأخوذ به قبل ذلك ان الباقي من الازواج هو القاعد في الكل فتوقف ابو محمد فقال ابو القاسم اتعتقد اني اكثر منك علما واكبر سنا قال نعم قال لترجعن الى هذا القول وإلا لم اسلم عليك ابدا فرجع اليه وتزوج آخر عمره امرأة سوء كانت تؤذيه واسرفت عليه فبلغه الضرر مع الكبر ، قال فدخل عليه المشايخ زائرين وعليهم حسن اللباس ومعه ابنة اخيه من الرضاعة جانا التنزغتي فقالت شيخكم يصوم على الحسو وانتم على ما أرى من حسن الهيئة فجمعوا له دراهم اعطوها لها وأنفقتها على الشيخ كيف لا يعرف فحسنت حالة الشيخ واذا ارادت ان تطعمه أورت انها تفلى قمله فيجعل رأسه بين ركبتيها ففطنت زوجته بعد زمان فلما ظنت انه يأكل أخذته من رجله فرمت به تحت الدكان فقال رددت العيال الى بطنك فكانت حاله معها الى ان مات فحضرت نساء جنازته فسألناها عن مسألة فقالت للأمة ما كان يفعل فيها مولاك قالت لا تعرفيها انت فكيف انا اعرف .

ومنهم ابو محمد عبد الله بن الخير وذكر ابو الربيع ان عبد الله بن الخير عالم كبير يضرب به المثل يقال من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل عبد الله بن الخير وهو نفوسى من تونزيرف قال ابو العباس شيخ التقى والاخلاص المتحرى مسالك الخلاص وكان عالما فاضلا أثيرا كانت الامثال تضرب به يقال من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل

عبد الله بن الخير وزكر ابو الربيع وابو العباس ان سعالا اصابه فقيل التصبح بالفطور على لبن ناقة دواء وعند افلح ناقة فجعل يأتيه كل صباح فرأى يوما زيتا على اصل زيتونه فسأله عنه فقال افلح غداءي قدم ملثوثا بزيت في اناء مشعوب بحديد فاصاب يدي حديده فرفعتها فاذا الدم فاكفيته فقال اخطأت ولعل الدم لم يسل إلا بعد أن رفعت يدك وكانت العلماء تقول اذا توجه النجس من تسعة وتسعين وجها والطهارة من وجه واحد غلبت الطهارة النجس ، وما جعل الله علينا في الدين من حرج ، ثم قال لافلح اذا اخذت الرهن فقل هذا الرهن في يدى الى آخر حقى أساوم قبل الاجل وابيع بعد الاجل وليس لى ما اصابته الآفات ولا ينفسخ باستنفاعى ولا يكون سخريا ، وكان اهل الجبل لا يقدمون للصلاة الا التقى الآسن العالم اقتداء بالسنة وكان يصلي بهم فثقل سمعه فكان يجهر في صلاة النهار حتى يسمع من خلفه فقال له يحيى بن يونس ما تسعنا الصلاة خلفك وانت لم تكلف الا ما تسمع فقال له لم اكلف سماعك يا ابن يونس فزاد في الضعف والهرم والكبر وكان يجلس جلوس قومنا فقال ايضا ما حال صلاتنا خلفك يا شيخ وترك التقدم قيل مات على مائة وعشرين واخذ العلم عن ابان بن وسيم وفي السير لم يبق من المشايخ بعد مانو الا هو وابو القاسم البغطوري وعلق زاده لنية السير الى تعليم العلم وهو الحاكم والقاضي بين الناس ، وزاره ابو القاسم في ايام حصاد الزراع فلم يؤذن خشية ان يهلك الناس ان لم يحضروا فقال ابو القاسم اذن فان لم يحضروا فاهلكهم الله ، وقال ثلاثة من الكبائر تبديلك سنتك وقتالك اهل صفقتك وخروجك من ملتك ، وكان يأتى ابا القاسم الى منزله بعد مانو فيحكم هناك فيتعاونا وموضعهما مشهور هناك ، وفي منزله امرأة صالحة تسمى مكنا تزوجت رجلا من اهل تيرى واشترطت عليه سُكنا منزلها فطلب موضعه فلم ترد ان تعصيه فدخل بها المفاوز حتى اذا بلغت منزله اجتمع عليها مع الغربة فقد الاخوان في الله وسوء البعولة ثم تزوج

عليها وتركها كالمعلقة وسار اليها يحيى بن يونس ونزعت به الوحشة فأقام عندها ما شاء الله ودعت له وجعل قدمه على رملة في اناء لتتسلى بأثره عند تحريك الهموم فيزول بعض ما بها ثم ساقته المقادير الى ان نزل بئرا فاذا بثعبان عظيم فوق رأسه فعلم من أين أوتى فأوتى بقطيفة فالتف بها فما نفع من سخط الله شيء وتقدم مثلها لمنزو ابنة ابي عثمان والحكاية واحدة الا ان هذه ابسط قليلا وذكر هذه في السير وهى اولى لانه اقعد بوطنه منهم وذكر الاولى ابو الربيع عن اشياخه وابو العباس ويجوز ان تكون القضيتان مختلفتين .

ومنهم يحيى بن يونس السدراتي الونزي في ، بلد ، النفوسي وطنا ، قال ابو العباس كان من اهل الورع والزهد وممن اخذ نفسه بالجهد والجهد وذكر ابو الربيع وابو العباس ان ابا زكريا عادته ان يوصل بين المغرب والعشاء بالصلاة ثم اذا صلى العشاء تنفل بما كان ينتفل به ثم يوتر ثم يحتاط لجميع الصلوات فهذا دأبه وعادته رحمه الله وذكر ابو الربيع وابو العباس انه زار أم زكار وكانت من الصالحين المجتهدين فوجدها هالكة جوعا وليس بها الا رمق فخرج من ماذر الى رنابرت عند ابى كبت وكان عالما متمولا ردئاً بخيلا فاخبر بخبر العجوز وعنده لبن فابى ان يعطيه شيئا من اللبن فعالج لها حسوا وقد انطبقت اسنانها من شدة الجوع فمازال حتى ادخل الحسو الى بطنها فلما افاقت قالت من ذا الذى من الموت بالجوع نجانى نجا الله عظامه من النار فلما قعدت قالت مستجمى اغتسل للصلاة وفى السير ان الذى اتاها يحيى بن موليت الدرفى ووجد بابها رد عليه التراب وكانت عادة الجائع فى ذلك الزمان يغلق بعض بابه ويترك الباقى وكان ابو كبت يبغضها من انكارها عليه ردىء افعاله فسمع اهل ويغوا بخبرها فجمعوا لها شيئا فبورك فى رزقهم الى يومنا هذا كذا فى السير وهم اعرف ببلادهم ومشايخهم وكان ابو محمد الدرفى يقول لولا يحيى بن موليت لهلك

اهل جادو ومضى ابو كبت الى الحج وافتقرت العامة الى علمه لكثرتهم ويتزاحمون عليه للسؤال حتى كانت الرماح على رأسه لكثرتها كالقصب فسأله رجل لالوتى عن نازلة فقال له وانتم يامذبذبون يا أهل لالت فأتى اللالوتى شيخهم فاخبره فقال ادنونى منه فقال مالك جعلتنا مذبذبين ارى الله المسلمين منك كما أرى منك فجعل الناس ينفضون عنه حتى بقى وحيدا بدعوة الشيخ ومن ردىء افعاله ان سألته امرأة ليقوّم حليها للزكاة فقال اقومه عليك لابسة له فخرجت فقال المشايخ قتلها فى عطش الاسلام احرمه الله اياها وولت هاربة ، ومنها ان تلاميذه حصدوا يوما زرعه فلما قضوا قال ارجعوا الى اهاليكم وكلوا .

ومنهم مصلوكن التائب من اهل امر ساون كان سخى الكف قد قل من لم ياكل طعامه من فقهاء الجبل واشياخهم وكان كثيرا مايغشى زورغ الارجانية زائرا ونزل يوما الى اجلازن فغسل ثيابه واشتوى شاة فجعلها فى سفرة فدعا الله ان يغفر ذنوبه وان يجعل له آية لذلك ثم قال وعلامة ذلك ان اجد كلب زورغ ميتا او غائبا وزوجها عند الضارة وانه اول ما تأكل هذه البضعة لعضو من الشاة فجعل ذلك العضو اسفل السفرة فطلع ليلا فسأل عن الكلب فقالت مات بالامس وعن الزوج قالت عند الضارة ففتحت السفرة فاخرجت ما فيها فأول ما ابتدأت باكل ذلك العضو فقال الحمد لله قالت لعل الدعوة مشتركة قال نعم وكانت زورغ فى زمان امتلاء الجبل بالاسلام فيه كالرمانة وقالت الناس من شدة ورعها ومن كثرة عبادتها ومن قوتها فى الامر والنهى النصف عليها كثير والثلث قليل ، ومن كرامتها اذا رفعوا فراشها فى الصيف وجدوا تحته ثلجا وارضت زوجها وضارتها وامتها فكانوا يدعون لها بالجنة وذكر ان اختا لزوجها مرضت فاراد الرحيل الى الربيع وما امكنه ان يقول لاحدى امرأتيه اقعدى تمرضين اختى وارتحل بالاخرى وارتجى الخير عند زورغ

فقال لها لى عندك حاجة قالت كل حاجة قالت كل حاجة لك مقضية الا تمريض اختك فلا ارتحل واتركها فقال رزقك الله الجنة وتلك اعظم حاجتي وكان يريد نقل شيء من التراب وقد عيا فقال لها عليه فقالت نقلته بالبقرة فقال رزقك الله الجنة وفي السير وخدمت اخت زوجها سنة لم تخلع طوقها من عنقها فماتت فخلعت ثوبها لتنام وتستريح فلما وضعت جنبها على الارض سمعت طائرا قد وقع على ذرب دارها يقول يا زورغ طريق الجنة بخلاف الهوا فايقظت ضارتها لتسمع فقال ما تريدين الى من لا تحبه الملائكة يا زورغ وقال أمرت أن أيقظ رجلا في ليلتى في وادى ازلجم فقامت مبادرة الى الصلاة وتحيز زوجها وقد أتى بشىء من الطيب فقالت فقالت اقصد عند الضارة قال رزقك الله الجنة ، وفيها زارتها نساء من ايجيطال بل وجواري ثم زارتها نساء من ابديلان فلم يردن الجوارى ان يرينهن ولا ان يعلمن بمكانهن فدعت الله ان يردهن فرجعن بعدما بلغن والمسافة قرب ستة أميال ثم قلن على احداهن تكثر امها عتابها اذا قصرت في عمل الصوف فدعت لها ولم تعاتبها بعد لك وبقين عندها الى قرب المغرب والموضع بعيد فدعت الله ان يطوي لهن الارض فجزن على ارجان وقد أخذ الناس الماء لوضوء المغرب وكذا أمر ساون ثم جزن على تميجار كذلك ثم جزن على ادوناط كذلك فبلغن منزلهن والناس في حال الوضوء وعرضت على مصلوكن قراءتها فقال لا صلاة لك من اللحن ثم عرضت على ابان وقد زارها فلقنها ولم تطق تقويم لسانها فقال اعجبني اعجن الله عظامك في الجنة فرخص لها بعد ان تحيرت .

ومنهم ابو زيد البصغورتي وكان من المعدودين في اجابة الدعاء وله زوجة سوء مسرفة اذا قال لها احمر الفجر قالت حمر الله عينيك بالسم دعنى ارقد فقالت له ليلة احملنى الآن الى أهلي فحملها على حمار فلما بلغوا اهلها إلا وفاضت روحها ووجدوا ثعبانا قد طوقت عنقها فحفروا لها قبرا

فاذا ثعبان ثم حفروا ثانيا كذلك ثم ثالثا كذلك فقال له ابو زيد أمرنا وامرت فدعنا نتمثل ما أمرنا ثم افعل ما امرت فتنحى حتى وضعوها فنزل على صدرها وردوا عليها التراب كذلك .

ومنهم ابو الليث الجناونى وكان رجلا صالحا عابدا وقيل ليس بنفوسى بل بربرى لكنه يسكن اجناون قالت له زوجه يوما انتقص لبن بقرتنا فقال ناولينى عكازى لا يقع هذا الا من ضعف الحق فطلع الى جادو فوجد ابا منصور يضرب رجلا أتى فيه كتاب من تيمنتى وعمروس وجماعة من الاشياخ حاضرون فقالوا له ارجه هاهنا لموضع في المجلس فقال حتى اعلم على ما يضرب الرجل فاخبروه فقال بسواد في قرطاس تضرب الناس يا الياس فقال له ما نفعل يا شيخ قال ترده الى السجن وابعث الامناء فان صح ذلك عنه فانفذ والا فقاصصه من نفسك في ضربه فبعثوا الامناء فلم يصح عند ذلك وتبين ان الفاعل غيره فاخرجه وقاصصه .

ومنهم ابو معبد الجناونى جمع بين العلم والعمل والورع تعلم العلم بالمغرب عند سعد ابن ابي يونس بقنطرار فقدم الى تندباس فوجد امة تستقى فطلبها ان تجعل الماء في وعائه قالت له اتخدم اموال الناس يا جاهل فرجع الى التعلم فمكث عشرين سنة والله اعلم ، فلما ودع شيخه للانصراف قال اجعلني في حل قلت لامتك وقد آتتني بمعيشتي ناولينى الابريق قال الشيخ السوداء ام البيضاء قال لا اعرف منهما السوداء من البيضاء من كثرة غضه لبصره فلما اشرف على اجناون في رجوعه قال لو ماتوا جميعا وفصلوا اعضاءهم لاورثتهم بعضهم من بعض جميعا من كثرة علمه وهو سعيد بن يونس وافلح بن العباس وغيرهم ممن نهى عن المسير الى مانو وقيل له قد فزع البغال فقال لم يفزع البغال ولكن ينزل ويموت وترجع وتكون شيخ زمانك فلا احياني الله الى ذلك الوقت .

ومنهم ابو يحيى زكريا الارجانى القاضي العادل العالم الكامل الامام الفاضل جمع علما وعملا وورعا ، وفي السير لما قدم نفوسة حاكما او اماما مدافعا اخذت امه واخته تبكيان يقولان احرقوك واشووك وكانتا صالحتين وتولد عنده ولد فجمع اليهود له اربعين دينارا فقالوا خذها خرصا لولدك فقال لو قدرت ان اصونكم لاخذت الجزية فابى ان يقبلها واطعمهم عنبا وانصرفوا قالوا مارأينا مثل هذا البلاد لا يطمع سلطانها فى اموال الناس فاخذوا فى اشتراء الربع وفيها اشترى مشايخ اجناون لحما فشووه وجعلوا له قسما بينهم فحمله بعض واخبره فانتهره وقال لم يتجاسر غيرك على ذلك واسمه ضمام فرده وفيها واذا جلس للحكم يقول اللهم اعط الحق لذى الحق ولاحجة لمحتج اذا احتج بلاحق وفيها واتاه يهودى تاجر فالفاه خلط دقيقاً بالماء فعجنه ليأكله نيا من غير طبخ فمد له قبضة فقال كلها طيبة قال اليهودى المترف فاكلتها فما اكلت اطيب منها وفيها (١) وفى ايامه لا يجتمع فى سوق جادو اهل زمور وطرميسة بل لهؤلاء يوم وللآخرين يوم فصادف تاسع المحرم يوم طرميسة فتشفع اهل زمور بابى زكريا ان يتركوا لهم الدخول ليقضوا حوائج عاشوراء ولو عشية فابوا وصمموا وتكلموا بكلام ردىء فقضى الله بينهم بحرب مات فيه كثير من طرميسة وانهزموا لاستخفافهم بحق الله ولاستخفافهم بحق الاشياخ وفيها غارت كتامة على الجزيرة فخرج اليهم فهزمهم الله وخرج اليهم مرة اخرى فى قرب تركت فهزمهم الله وفيها ضرب ومات، ضربه رجل من اصحابه قيل من تبين بكر كان قد اخرج منه الحق فسألوه من ضربه فقال لا اترك لولدى ما يؤذيه وكتامة جند ابى عبيد الله وفى السير يجلس للقضاء بين الناس فى جادو الى اخر النهار ويرجع الى اهله ويستريح سبع مرار بينه وبين ارجان والمسافه غير بعيدة وقيل ثلاثا من الضعف والعياء والجوع رحمه الله ولنذكر ابنه ان تراخا زمانه عن وقته وفى السير ان ابا زكريا بن ابى يحيى قد ولوه امور المسلمين وقد نزعوا ابا عبد الله بن ابى عمر من غير حدث فخرجوا

(١) اي في سير نفوسة

الى المسودة فى الاشهر الحرام فهزموا ومات خلق كثير وهناك مات ابو عيسى الدرفى فى عدة من المشايخ وضرب ابو زكريا، ضربه رجل من طرميسة من اصحابه فلما حضرته الوفاة قالوا من ترى لنا بعدك قال زيد بن افصيت رأيته يتعلم مسائل الاحكام وقالت ام زوجته لابنتها لما اراد ان يجلبها ابو زكريا خذى بما افتأت لك الوازن اعنى ام ابى زكريا الا فى ثلاث مسائل اخذتها من ابن مغطير عبد الحميد الجناونى لا تشربى نبيذ الدباء ولا تجعلى الحناء ليديك الى الرسغين ولا تغتسلى اذا مضى ثلاثة ايام من وقت حيضك .

ومنهم ابو عيسى وقد مات شهيدا كما تقدم ومن كلامه ان قال لزوجة ابى زكريا كلامى كله علم، من سوء العلامة ان تعقب المرأة المنافق مكان الزوج المسلم ومن علامة الخير أن تعقب الصالح مكان الطالح فاعقبت ابا زكريا ابن ابى عبد الله مكان ابى زكريا بن ابى زكريا .

ومنهم الشيخ الامام الداعى الى معالم الاسلام المنبه على مشاعر الحلال والحرام لواب بن سلام أوتى الحكمة صغيرا فدام على منهاجها الى ان صار كبيرا وفى السير وجد لواب بن سلام اهل اغرميتان يلعبون فى المبارك فردهم الى المساجد ويؤذن وهو طفل واذا قيل له اقم الصلاة قال الطفل لا يقيم الصلاة واذا قيل له تقدم تصلى قال الطفل لا يؤم واذا قيل ارجع فى وسط الصف قال الطفل لا يتوسط الصف وتعلم العلم من ابى كبة من اهل تنكنيص فلما اظهر من ابى كبة ماتقدم ذكره امتنع لواب من الفتوى خشية الاثم اذ لا يميز ما اخذ من الثقة وغيره وهو احد الائمة العشرة الذين ذكر ابو يعقوب فى كتاب الدليل لاهل العقول واسند الى كل واحد مسألة، ومسألة لواب انه ليس على الانسان شىء مما يسبق الى ذهنه من الوسواس فى صفة الله من كونه محدودا وعلى العرش او على صفة كذا وذا جوارح ما لم يقطع للشهادة على الله انه كذلك ويجزم

باعتقاد ذلك بدليل انه عليه السلام سأله رجل ان فى النفس اشياء اريد ان اسألك عنها وودت انى لو مت قبلها لكان احب الى فقال له عليه السلام كلنا يجد ذلك وحديث ابن مسعود تلك برازخ الايمان وحديث زوجة جابر حين سألت مجاهدا قالت انه يخطر ببالى بعد حبيبى اشياء وددت لو مت قبلها لكان احب الى قال ليس عليك من ذلك شىء .

ومنهم ابو يحيى تكسنيت وكان موفقا صغيرا فى المهد وحين بلغ الاشد وقوى على الاجتهاد والجهد ومن اعجب كراماته ان امه نصرانيه لا يرضع لها ثديا اذا شربت خمرا وذاقت محرما وبقربه ام امان ومن كراماتها انها رأت ليلة القدر وهى فى مصلاها المعروف وابصرت ذئبا فى ناحية اشفى كذا وجدته بخط عمنا يحيى ابن ابى العز بغير همز قبل الشين ومن كراماتها اعارت ثوبا ملكا لها لامرأة بغير اذن الزوج فأراد ضربها على ذلك بعمود فأولته ظهرها وانتظرت وقوع العمود بظهرها فاستبطأته فالتفتت فاذا هو ميت ومنه ان امرأة كلفتها امرا عليها فى فعله ضرر فمضت لحاجة لها فسقطت من جبل فتقطعت قطعا فنسأل الله العصمة مما يوصلنا الى عقوق اوليائه .

ومنهم ابو الشعثاء المعدود فى المستجابين بين الدعاء الجامع بين العلم والعمل والورع المخلص فى السراء والضراء من كراماته انه دخل عليه ابن اخته ابو يونس التميدالى فى مسجده فنظر الى سقف المسجد قد انفتح ورأى السماء فلما تحقق هذه الكرامة قال ادع الله لهذا الجبل يا خالى ان لا يعلوه سيف المسودة الى يوم القيامه فقال الآخر مثل ذلك وقال ابو يونس كنت اصلى فى مسجدنا فدخل عليه رجل فقال له صل قاعدا يا شيخ وكان اذ اقام من السجود اخذ عكازه فقالوا له بماذا اجبته فقال اشتغلت بنفسى واشتغل بنفسه ثم وجدو اريحة المسك فى روث دابته وقال ابو الشعثاء لاهل بلده سنتوت لا القى الله منكم من ظلمكم خيرا ولا القاكم ممن ظلمتم

خيرا ومن شدة ورعه ان دعاه رجل الى طعام وده به فلما غسل تذكر ان له عليه شهادة فابى من الاكل فقال وهبته لك فابى فقال تركت شهادتى فابى فقال تركت ذلك المال فابى اجمع ثم بعد ذلك اعطى لذلك الرجل دراهم يعمل له طعاما مثل ذلك الطعام فلما صنعه دخل الشيخ ونزع الغطاء وقال كله انت وعيالك فخرج وقال انما افسدت مالك بسببى وخرج مرة الى المرج فحرث ثم حصد اذ طاب الزرع ودرس وحمل الحب على جمله فتلقاه رجل ببعض الطريق وادعى انه من اهل المرج فقال تعلم يارب انا لم نجعل احدا فى حل فسمعه الشيخ وقال لولده نوخ الجمل ثم فرغا ما فى الحمل وانصرفا وقيل ان نساء من اهل تدينة يحضرن مجلسه ليلا ومعهن اولادهن فاذا تفرق المجلس رجعن الى منازلهن وهذه كرامة له ولهن لان المسافة ازيد من اربعة وعشرين ميلا. ومن كراماته انه يصلى فى مصلاه وتصلى بصلاته امرأته امرأة صالحة من مصلاها من ناحية تارديت وبينهما بعد وفيها ان ام الخطاب حلفت بعتق رقيقها ان لا تتزوج اخا زوجها ثم قلب الله قلبها فقيل لها المخرج ان تهيىء مماليكك ثم تتزوجى ففعلت فرد عليها فاخبرت ابا الشعثاء بقضيتها فقال اتخادعين من خلق الخداع يا ام الخطاب وكانت صالحة فدخلت الدار فوجدت الجوارى ينسجن فقال انكن معتقات فقمن من الفرح فلم تزد واحدة منهن خيطا وهن ثلاثة عشر جاريه .

ومنهم ابو صالح سدرات من اهل اغل وكان صالحا متقيا متحريا وكان منفردا فى منزله ليس فيه كثرة الاشياخ ولا الفقهاء فخاطب نفسه اؤذن واقيم الصلاة واتقدم بالناس واحضر الشهادة يا سدرات فلا اسكن بلدا انا فيها كذا فانتقل الى ابى محمد التغرمنى وعلق وضوءه يوما بخص ابى محمد فأخذه من خارج من فرحه من غير استئذان فعاتبه ابو محمد على ذلك فتاب .

ومنهم ابو اسحاق الاشارنى وكان عالما ورعا شديدا فى الامر والنهى ممن لا تأخذه فى الله لومة لائم قال لاهل منزله اشارن اضمنوا لى اربعا اضمن لكم اربعا الصلاة والآذان وحفظ الخط وتعليم القرآن يسلم مسافركم وينمو رزقكم وتطفأ نار الحرب عنكم ويرتفع القحط واذا رجع من حوائجه أتى المسجد فاذا لم يجد احدا دخله يقول ما هذا يا اهل اشارن صرتم اشارن ومن كراماته خرج هو وزوجته حفصة سائرا الى الجزيرة وصاحبهما اسد ولبوة احدهما يحاذيهم يمنة والآخر ذات الشمال الى ان وصلا وكان يقول لان اتردى من فوق جبل خير من ان اقول لا افعل شيئا ثم افعله وكان ابو محمد التغرمينى حاكما وكان يطلب الخصماء الحل فقال له ابو هارون هذا امر لا تصلح له ولا يصلح لك الحق بيتك وجرتك يعنى يشتغل بأمر صلاته قال له رزقك الله الجنة فرجع ابو اسحاق وكان قويا فى دين الله فسجن يوما ابا زكار من اهل اغرم اينان وهو صهر ابى محمد التغرمينى فسجنه فى مسجد امسراتن تأديبا عن رعى غنمه فى الخط فنزلت عليه جنابة فتشفع بابى محمد الى ابى اسحاق يتركه ينزل الى تموحط يغتسل ويرجع فابى له قال ابو محمد اما يجد الرجل يقض ما عليه فاصطحب الشيخان راجعين الى منازلهما فلما بلغا اشارن والعادة ان يبيت عند آل ابى اسحاق لان بلده لم يزل شاطا فأرادت الحمارة العادة وفى نفس ابى محمد من رد شفاعته فابى لها فقال ابو اسحاق دع الحمارة تذهب حيث عرفت رزقك الله الجنة بابها مثل ما بين السماء والارض وقد ذكر له عذره بانه لو اراد ارسل بعض مواليه او خدمه فأتاه بالماء فذهب معه فلما دخلا الدار اتى ابو اسحاق بطبق فيه انواع من الثمار فأكلا قال له اطعمك الله من ثمار الجنة .

ومنهم ابو محمد عبيدة بن زارود التغرمينى وشهرته فى العلم والعمل والورع واجابة الدعاء كافية عن التعريف وفى السير أرسل جرته الى ابن خالته عبيدة بن محمد يطلب الماء للوضوء فلم يعطه فوقف ودعا الله بباب

بيته فملأ قلته من الميزاب من ماء المطر وفيها (١) عملت ثلاثا يشبهن الفضول وثلاثا يشبهن الكذب اعطى حمارا يركب عليه ومن عادتهم رحمهم الله لايضربون الدواب الا يسيرا فاستحسن سيره فقال ما احسنه قالوا نعم هو لليتيم فنزل ومر على جنان تينا فعزم على الشيخ ان ياكل فاستحسن فقال ما احسن تين هذا الجنان قال نعم انكسرت عليه ساقيه ليتيم فخرج واتى من الاكل وقال لامة لقيها ما احسنك ان عرفت توحيدك فتعلقت به ان يعلمها توحيدها لانه لو لم يسأل لم يقع فى محذور واللائى يشبهن الكذب ابصر ذئبا فقال لرفيقه هل رأيت هذا الذئب ولم يدر اذكر ام انثى وقال لصبى يبكى هذه املك اقبلت ونفرت بغلته واخذا مخلاة يدعوها بها لترجع وليس فى المخلاة شيء فناهيك من شيخ معمر هذه سقطاته تجنب الكبائر والصغائر حتى عد على نفسه هذه وله زوجتان احداهما تؤذيه والاخرى صالحة عملت له مرة طعاما فاشتغل بالصلاة فاكلت من الطعام عناق فماتت فعمدت ام زعرور الى الطعام فدفنته ونقت الاناء وصنعت طعاما اخر فلما فرغ الشيخ من ورده اقبل على الاكل فاستحسن الطعام فقال لام زعرور عملت طعاما جيدا فقالت ام زعرور نعم لعلها تعنى ان الطعام جيد وكانت تكثر من شتم ام زعرور وتسكت عنها وتقول اياك اشتم وتجيبها فلك سكت وكانت من عباد الله الصالحين وكذا الشيخ ابو اسحاق ممن ابتلى بزوجة سوء وكانت تضربه ويحتمل ذلك لله وكانت ام زعرور عالمة ورعة شديده فى دين الله وهى من ايجيطال خرج اهلها فى الشدة فطلبتها ام يحيى تكون عندها لما اراد الله بها من الخير فتعلمت عندها فقدم اخوها فخرجت اليه وسلمت عليه فقالت لها ام يحيى اذا جاء اخوانك المنافقون تعانقيهم واذا جاء اخوانك المؤمنون دخلت الخزانة

(١) اي في السير

فتابت الى الله وقدم ابو محمد التغرمينى زائرا ام يحيى يوما فاخبرته بشأنها
ورغبته فيها فخرجت لتستسقى من الجب فاخذ اناءه وتبعها تملأ له اناءه
فطلبها فملأت له فرجع ولم يرض فاخبر العجوز فقالت لعلك صادفت
غيرها والامر كذلك فخرجت مرة فصادفها ابو محمد فطلب الماء فلم تعطه
حتى ملأت جرتها قبل ثم ملأت جرة العجوز ثم اعطته الماء ثالثا فاستحسن
حيث عملت بالعلم لاجل الصلاة فسألها هل لله مزرعة يا جارية قالت
نعم قال وهل له من يحرثها قالت نعم قال وهل له من يحصد مانبت فيها
وهل له مخازن قالت نعم قالت المزرعه الدنيا والحراثون الناس والحصاد
الموت والمخازن الجنة والنار فخطبها الى عمها فاجتمع رأى اهل المنزل ان
لا تخرج من منزلهم ورجع الشيخ الى الدعاء والرغبه الى الله فاجاب الله
دعاءه والجارية قالت لا اتزوج غيره فتزوجها لانها قالت لا اتزوج الا
من احب عمى وعمها قال لا ازوجها الا من أرادت فأرادته وقال لها
ابو محمد يوما فانى سمعت من نظر الى الفجر فله من الاجر كمن رمى
بخمسين نبلة يوم بدر فقالت انت راعيه ثم قالت له سمعت كمن رمى
بسبعين قال الزيادة من عندك ابدا زادك الله من اعمال البر وما نزلا عن
فراشهما قط الا وتحاللا لئلا يبقى على احدهما من حقوق الزوجيه شيء
فنسيا مرة فتذكر بعد ان خرج وتذكرت فخرجت فى اثره فالفته راجعا
فتحاللا ولما أراد اخرج ابنته لابى زكار احتاجت الى الشورى والشيخ زاهد
فى الدنيا وتحير فصار امره خروجا ودخولا وكانت ام زعرور حزيمة للدنيا
والآخرة فاخرجت متاعا كثيرا فكلما خرجت شيئا قال لنا فتقول نعم
فيقول رزقك الله الجنة وسألتها امرأة من اهل اغرم اينان عن موسى بن
جانا من بلدها أتاها وقال قد تزوجتك من وليك فصدقته فلما حملت انكر
فقالت لها بئس ما صنعت انت وموسى ودعت ربها ان كان فعل هذا ان
لا يخرج من الدنيا سالما وأتت ام زعرور الشيخ واخبرته وهو يتوضأ فقال
بئس ما فعلا واسأل الله ان يغفر ذنوبي وان فعل موسى ذلك ان لا يخرج

من الدنيا سالما فما لبث الا يسيرا فجاءه امر الله فمات وحضره الموت صار شبه ثعبان فخرج من احدى ثقبة الانف ويدخل فى الاخرى حتى مات على تلك الحال فانتظروه ان ينقطع فادخلوه فى قبره كذلك نعوذ بالله من ذنوب عاقبتها البوار ولابى محمد اربعة اولاد زعرور وأبو عبد الله عالم صالح قدوة وهو ابن ضارة ام زعرور توزين تلميذ ابى عبيدة البغطورى وموسى وفى السير خرج ابو عبد الله افضل اهل زمانه وهو ابن المرأة السوء وتخلفت أم زعرور بعد أمه فأخذ متاع أمه فباعه لئلا تلبسه ضارتها وربما وقع بينه وبين ام زعرور كلام فيقول اقوم لئلا اكون رجلا سوءا وتكونى امرأة سوء ومن دعاء ام زعرور له ولولدها رزق الله زعرورا الخير تعنى ولدها ورزق ابا عبد الله محمد الجنة وكان مساعدا لابيه صغيرا وكبيرا فاذا أراد ان ياكل قال ادع اخاك زعرورا لياكل فيدعوه خشية ان يصل الشيخ الدرك فى ذلك من شان العدالة وكان زعرور صالحا ، ومما افتت به انه ليس بيننا وبين مخالفينا أمر ولا نهى وفيمن حلف لامرأته بطلاقها ان تخبره بما اكلت من التمر وقد القت نوى ما اكلت فى البحر وانعدم ولم تدر عدده انه تخبره وتعد مما تيقنت انه أقل عددا مما أكلت حتى تتيقن انه اكثر مما اكلت فتكون قد اخبرته بذلك العدد فيما اخبرت لانها لابد ان توافقه ومن عود نفسه صيام يوم معلوم فنسى ان يبيت الصيام من الليل ان له ان يجدد النية ولو بعدما اصبح ومن قال من النساء ولم تدر بحملها لغيرها اطلعى فوق ظهرى فاسقطت ان لاشيء عليهما اذا لم يعلما بالحمل وسألتها امرأة من اهل اغرم اينان وهى تفلى لها القمل عن امرأة من اى وقت تحسب المرأة اذا رأت طهرا او حيضا قالت تحسب ذلك اليوم ولو بعد طلوع الشمس والمشايخ مارأت بعد طلوعها لا تحسب ذلك اليوم وكذا فى العدة واجل البيع والاجارة وجميع الاحكام ولابى عبدالله ولدان وراع يدعو الله عز وجل الجنة فغارت

صنهاجة على تغرمين فخرجوا الى القتال وسأل الراعى الشيخ انه جهاد فقال سبيل الله وابناه خرجا بثوبين جديدين فماتوا جميعا فصبر فاذ سأل عن خبر موتهما يقول اذا انفتح الكيس ذهب ما فيه يعنى الذكر يذهب الاجر وكشف اسيل عن الراعى بعد زمان فوجد كما هو لم يغيره الزمان ولا المكان ولما مات ابو عبد الله وحملوه خرج طائران ابيضان فوقع احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فلما دفنوه وقع احدهما عند رأسه من القبر والآخر عند رجليه وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب .

ومنهم ابو يالدس وكان ورعا قويا فى دين الله وزاره المشايخ ورد وجهه الى الحائط فقال له المشايخ اوصنا قال عليكم بالآثار عليكم بالآثار الى ثلاث وهو تغرمينى .

ومنهم ابو يعقوب وكان واسطة العقد وانسان العين علم علما عمل به ولا تأخذه فى الله لومة لائم فى ذات ربه ارسل اليه ابو زكريا والمشايخ من جادو فرجع الرسول فقال مشغول عن المجيء قال ابن جنون لمثل هؤلاء يمسك الزمان شيخ قال ابو محمد خصيب اسكت ابو يعقوب خير منك ومنى ومن اهل الجبل وجمع اهل نفوسة مالا يدارون به عن الجبل عامل المسودة ولم يجدوا من يحمله فحمله ابو يعقوب فلما دخل عليه قال بعض اهل مجلسه ما وجدوا من يرسلوا الا هذا الوجه تحقيرا لابى يعقوب فنظر اليه ابو يعقوب نظرة فرد بصره ثم ضربه الله بما شاء فانتفخ بطنه حتى ان القاعد عند رجليه لا يرى القاعد عند رأسه فانشق فطار فرته الى السقف يعنى الخباء واراد ابو زكريا ان يرجع من جادو الى تندميرت فقال ابو يعقوب ان امور الناس لم تنقض بعد فاشتكى بالقلة وانه اراد ان يلتمس للعيال نفقة فقال الشيخ ابو يعقوب لاهل تغرمين بخبر الشيخ فجمعوا له خمسة وعشرين حملا من طعام فحملوها له الى منزله وتولى ابو يعقوب الحكومة وفى السير كان حاكما ورعا شديدا فى الامر والنهى وكتب

اليه ابو الربيع كل نفسك بمكيال العلم وزنها بميزان الورع وخذ لها منها وخذ لما فى يديك وتخاصم اليه رجلان فوجب على احدهما اليمين قال خصمه حلفه لى فاشتغل عنه بحفر مواضع الغرس فكرر عليه واشتغل فغضب ثم رجع وقد انحل مع صاحبه فقال له الشيخ لو حلفته لحلف كاذبا وضاع مالك فشكر له غفلته وأتاه رجل بنميمة فقال فلان لا يقول هذا بل هو منك فقطع عن نفسه النمائم وامتنع سنة بعض الكبراء من ان يخرج منه الحق وأوكل امره الى الله فتتابعت عليه المصائب فعلم من اين أوتى فالقى بنفسه اليه وطلبه ان يخرج منه الحق فابى وقال قد وكلت الحق الذى فيك لمن هو اقوى منى وهو اشد بأسا واشد تنكيلا وقالت ام زيد لام زعرور شيعينى افيدك ثلاثا قال ابو محمد شيعيها ولو ندفنك بادبيرن وهو اسم موضع وفيه مصلى ابى محمد الذى ابصرت أم زعرور خلف ابى محمد وهو يصلى فيه صفوفا شبه رجال عليهم ثياب بيض فلما شيعتها قالت من شيع اخاه فى الله كتبت له بكل خطوة حسنه ومحيت عنه سيئة ولا ينبغى للمسلم ان يبقى بغير صديق يفشى اليه سره ويشترك معه همومه فان لم يجده من الرجال اتخذه من النساء والعكس للنساء واذا اتفق رجلان على نكاح ولية ثم رجع الخاطب أو المخطوب اليه من غير ألم بعدما فشا امرهما فلا يلقى خيرا ولا يجد بركة .

ومنهم ابو عمران موسى الاندمومنى التغرمينى من الاذلة على المؤمنين الاعزة على المنافقين كان ورعا لكنه غليظ على الفجار وصنع لهم رجل طعاما فقال كلوا فالله الذى اخرجه من هذا الرجل السوء والرجل واقف فجعل لهم الزيت وادخله رجل يطعمه فخرج لحاجة فشم رائحة الخمر فوجد الخوابى مملؤآت فكسرها فخرج وتبعه صاحب البيت بعد ان رجع يريد اذاه فاعطاه دعوة سوء ومنعه الله من شره ووجد غنما تحت زيتونة فى الخط فأخذ يطردهن حتى ادركه العطش من شدة الحر فوقع صريعا فسقاه صاحب الغنم وكان يتبعه بدلو من ماء فكثر خيره ونمى ماله من

هناك وبقيت تلك البركة فى ذريته قال فى السير الى يومنا هذا ولقى ابا داؤد الدرفى فى بعض الطرق فتنحى عن الطريق فتبعه حتى ادركه فسلم عليه ثم قال اخبرنى بشيء من كرامات جدى قال له جدك يركب حمارته وتركب هذا الاحمر العينين جز من هناك واجوز من بعدك يعنى انه يفارقه فاعتذر بتغير الزمان واختلاف الاحوال عما كانت عند جده وكانت عجوز باندمون قتل ولداها فقطعا قطعا فرزقها الله الصبر فجمعت اعضاء كل واحد منفردة وكفنتها بعد ان اعيى الناس كيف يصنعون ومن كراماته انه مسح بجرح ودعا فدمل وبرأ ويأتى خبره فى التعريف بابى زكريا .

ومنهم ابو حيان من اهل تمسيانت ويسمى ضيف ام ابى محمد التغرمينى وذكر فى السير انه بات عند ام ابى محمد وهو طفل اذ ذاك قال فحملت له الماء فوجدته يتمعك فى التراب وهو يقول اليوم ثم اليوم اليوم يتزود من له فى نفسه حاجة قولك سيكتب عملك سيرفع خيره لك وشره عليك لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وحفظه ابو محمد مع صغره ويذكره لطلبته ويقول اخبركم بكلام ضيف امى ومن كلام ابى عبد الله بن ابى محمد من يعمل للاخرة يصب الدنيا والاخرة ومن يعمل للدنيا يصب الدنيا ومن يعمل للمروءة يقه الله مصارع السوء ومن يعمل لما يقال فلا يزن له عند الله ولو مثقال عنق الذره .

ومنهم ابو محمد القنطرارى كان مستجاب الدعاء وكان دأبه طاعة ربه ومصالح عباده قيل انه يسير الى جادو فيصلح طريق الجبل فاذا انتصف النهار ذهب الى جادو والمسافة بينهما قرب اربعة وعشرين ميلا اعنى طريق جبل تالكيت يسوى ما صعب وتوعر منه فوصل مرة الى منزل اصغوا فوجد سبعة من اوغادهم فقالوا لا نتركك تسير حتى تغنى لنا وهم لا يعرفونه بل حتى ترقص فلما ايس من خيرهم وانه لابد مما طلبوا ان يفعله واراد ان يدرك الصلاة فى مسجد امسراتن والمسافة بعيدة فحرك رجليه وهز منكبيه وضربوا له الكف ودعا عليهم على تجبرهم بكلام بالبربرية ان

يعجل الله انتقامهم فجاز غير بعيد فوقع شر بينهم فقتل بعضهم بعضا ولم ينجح واحد منهم فى ساعته والموضع الى يومنا معروف نعوذ بالله من سخطه ، ومن كراماته ان اثر قدميه على صخرة وقوفه لآذانه بحيال مسجدهم الى يومنا هذا قاله فى السير ووقعت شدة وقحط فخرج اهل منزله الى افريقيه فخرج ببناته معهم فسار ما شاء الله فنظر الى ضعفه وضعف بناته وبعد السفر فرجع وقال اتكل على الله وارد الحاجة اليه وهو المطعم فى موضعي وغيره وهو كلام بالبربرية فما بقى الا يسيرا حتى اغاثه الله بالمطر وكان اذا امسى اغاثهم الله بذود غزلان فتمتلىء عليهم الدار فيحلبن بناته حاجتهم ثم يخرجن فهكذا دأبهن وتواترت الامطار وخصبت البلاد واذا اشتهت بناته لحما اختار تيسا منها فيذبحه لهن فانبت الله الزرع من غير بذر فوجد تسعين مودى شعيرا مما حصد من ربعه فحصد لاهل بلده مزارعهم وخزنه لهم فسمعوا بالخصب ورجعوا فاعطى لكل واحد منهم متاعه فكان منه بذرهم وطعامهم .

ومنهم ابو يحيى الارذالي رحمه الله وزوجه ام الخطاب وسبب تزوجه لها اراد صرم العنب فأرسل الى نصرانى كان يقضى له حوائجه ليأكل العنب فأتاه وعياله وبناته وكن بدور الخدور فابصرهن الشيخ فقال اعندكم هذا الجمال قال نعم وان جاز فى دينكم جوزتك واحدة منهن قال نعم قال أختر فاختار ام الخطاب فلما دخل بها وكانت كاملة العقل قال لها اختارى الاسلام او الرجوع الى اهلك وكان الخروج عندهم عن الزوج حراما يعنى فى دين النصارى واختارت الاسلام على الرجوع فأغتسلت وأسلمت فلما اصبحت اتتها امها فقالت مرادى بقاؤك على دينك واذا تركته فكونى افضل اهل دينك فاخذت بقول امها فشمرت عن ساق الاجتهاد فآثرت ما ينجيها يوم المعاد ووافقت الشيخ فسمعت مرة قراءة فى دارها ثم سمعتها الليلة الثانية فى البيت والليلة الثالثة فى اذنها قرأ لها سورة البقرة وآل عمران واصبحت وقد حفظتهما فعرضتهما على الشيخ

فاستحسنها فقال هذه ليس بقراءة اهل الارض وجاز عليها ابو ميمون فلم يجدها فاخبرت فتبعته وقد لتت دقيقا بماء فلما اقتربت منه تنحنحت فتنحيا الى زيتونة بحيال قصر شماخ فاعطته ذلك فوجد فيه سبع قبضات فقال سبعة اشراف وسبع كذا وسبع نوب وسبع قبضات وسبع درجات فدعوا الله ربهما وتوادعا وافترقا فلما جن الليل فنامت فاتاها آت فى المنام ففسر لها قول ابى ميمون سبعة اشراف مشت اليه وسبع كذا صعدت وسبع نوب لم يأكل فيها شيئا وسبع قبضات وجد فى الطعام وسبع درجات تعطى فى الجنة .

ومنهم ابو القاسم موضين التغريسنى وكان ذا كرامات ومن اعظمها اذا رفع اليه طعام فيه ريبة انغلق فاه ومثله فى ذلك ابو داود كما يأتى فصانه الله بمنه من كل ريبه وزاره ابو موسى الدجى فساله عن علامات آخر الزمان قال جاءتك ياولدى قال هل ادركت شيئا من الماضين قال مروا مروا وذكر بعض الساعين فى الارض فسادا انه قال اعرف المؤمن بفرسى اذا اطلقته على ابى القاسم فلا يقربه ولا يدنو منه فلا اطيق الغارة عليه وروى عنه انه يقع الحمام على رأسه .

ومنهم ابو يعقوب من أهل تدينت وكان فاضلا ونعس من العياء على المحراث فاتاه آت فمسك شيئا من ناصيته فقال قم يايوسف اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا ورأى رسول الله ﷺ فى النوم ليلة تمام اربعمائة فقال له الليلة تمام اربعمائة فقلت نعم قال من عرف الله فليتقه وروى عن ام زيد انها رفعت من بيتها ليلا وهى نائمة مع زوجها على الفراش فانفرج البيت حتى وصلوا بها الى وزان مصلاها المعروف فقال بعضهم لبعض قد استقبلت فقال نعم فوضعوها قالوا من صلى فى هذا الموضع ركعتين كمن صلاها بمكة وكانت حازمة فعقدت فى الشجر الذى يليها عقدا لئلا يذهب عنها الموضع فردوها الى بيتها والى فراشها فلما اصبحت ذهبت حتى وجدت علامتها فبنت هناك مصلاها

المعروف وشاهدوا بركته واجابة دعوته فيما قيل والله اعلم ونابها دينار من الخفارة ولم تجد مخرجا فذهبت الى اخيها فى الله ابى محمد التغرمينى فاشتغلت عن العبادة فغار الاعرابى يومه ذلك فى تمزدا فضرب فسقط مَيتا

فاراح الله منه العجوز وعجن حارس التين لامرأة صالحة قفة تينها اذ امتنعت منه وقد راودها عن نفسها فشكته الى ربها فنزلت عليه نار فاحرقته :

ومنهم ابو الفضل الجرامى بن الشيخ سهل وكلاهما فايق وفى ميدان العلم والعمل سابق سأل ابو الفضل عن القرآن فقال اعن الخالق او عن المخلوق تسألونى فقال السلطان جوهرة فى تليس وسئل ابوه عن احدى سبع لا تكون الدنيا مع عدمها فتلا عليه من اول الشمس ونزل بعض اشياخ قومنا جادو وهو قوى فى العلوم فقال له ابو الفضل بعد محاورة ما بيننا وبينكم كفاه المتقدمون ولكن ان اسأل بعض المعتزلة هل كلف الله الكافر الايمان فى حال كفره قال نعم قال ابو الفضل هل كلفه ما لا يستطيع او لا فيلزم على الاول الاستطاعة قبل الفعل وعلى الثانى تكليف المحال فحار ولم يجد جوابا واسمه ابو اسحاق فقال لابى الفضل اوهمت السامعين ان عندك جوابا قال نعم قال كلفه ما لا يستطيع لاشتغاله بالكفر لا لزمانة او غيرها وكانت ام جلدين تزوجت شيخا من اشياخ العلم وله بنات وكن يؤذينها يأخذن الدقيق ويرددن التربة البيضاء موضعه ويأخذن اللبن ويرددن الماء فاذا قال الشيخ لم يكون فى لبنك الماء؟ فتقول كذلك قدر الله وتأخذ الدقيق فتجعله فى آنية وتصب عليه الماء فترسب التربة وتأخذ الدقيق من فوق فضعفت واصفرت من إذائهن ولم تخبر اباهن بشىء من ذلك ثم متن جميعا فاراحها الله منهن وبقيت بغير ولد واستحيى الشيخ ان يتزوج عليها واستحيت منه ان يبقى بغير ولد فرغبت الى ربها فأجيب دعاءها فسمع هاتفا يبشرها فولدت اربعة ذكور متتابعين متعها الله بهم

زمانا ثم ماتوا جميعا وزارها المشايخ فقالت بيتوا فان لم تبيتوا الا لتأكلوا فلا تبيتوا يا من يزيل الوحشة عمن لا يعرفهم فاذا عرفهم زادوه وحشة واشتكت من الذنوب فقال لها الزواغى حب المسلمين حب المسلمين يخرج العبد من الذنوب كما تكشط الشاة من جلدها وكما ينزع الشعر من الزيت وسألت ربها ان لا تموت حتى ترى ام زعرور وزيتون تغرمين وان يصلى عليها ابو محمد اذا ماتت فقضى الله ان ارتحل اهلها للربيع حتى بلغوا تغرمين فمضت ابنتا ابنها الى تغرمين يطحنان فصادفتا بيت ام زعروز فاخذتا فى الطحن والعجوز مشغولة بالعبادة فقالتا فيما بينهما ان هذه العجوز مثل جدتنا فسمعتهما فسألتهما فاخبرتاها عن ام جلدين فخرجت اليها زائرة فقالت لها ام زعرور ادعى الله فقالت بل ادعى انتِ فانى استحييت من ربى قد سألته ثلاثا تعنى ان ترى ام زعرور وترى زيتون تغرمين وان يصلى عليها ابو محمد قالت ام زعرور ادعى انا ام زعرور وهذه تغرمين فدعت الله فرجعت ام زعرور فاخبرت ابا محمد فخرج ليزورها فوجدها ماتت فصلى عليها وكانت ام جلدين اول عمرها اذا سمعت صوت الدف تحرك قلبها فدعت الله فلم تسمع دفا حتى ماتت وللعجائز بالجبل وغيره شأن عظيم .

ومنهم ابو عبد الله فضل مسكنه غربى مدينه القيروان وسط سوق الاحد حارة ابى محرز يخرج الى المرج بالسبخة الى اخوانه من هوارة وزناتة كورة قريبة من سبعة منازل يتعلمون منه العلم فى مساجد عدة عامرة قال ابن سلام بن عمرو وهو عالم مفت بالقيروان يعنى اذا رجع من التعليم قعد للفتيا ببلده بالقيروان .

ومنهم الامام الشهير الفقيه الكبير سعيد الحدائي وكان فقيها عالما مفتيا بالقيروان وكان ذا مال وجاه قال ابن سلام بن عمرو من فقهائنا بالقيروان رجل يسمى سعيد الحدائي وهو الذى رد مقالة عبد الله بن يزيد فى الحجة قال ابو عمار قال سعيد الحدائي ان حجة رسول الله قامت على الناس

جميعا مَن البالغين اشدهم الاصحاء ولزمتهم كافة سمعوا بها او لم يسمعوا ثم قال نظر المسلمون فرأوا ان مقالة سعيد اقرب الى الصواب والرشد وابعد من مقالة من اجمعوا على تخطئته ممن قال بحجة الفكر قال ابن الرقيق لما عزل ابراهيم بن احمد ابا العباس بن طالب عن قضاء افريقية سنة خمس وسبعين ومائتين وامر فكتب كتابا قرىء بالجامع فلما قرىء لم يوقف له احد غير سعيد بن الحدائي فأنه تكلم فيه كلاما جميلا قال ابن سلام وابو سعيد هو الذى ادحض حجة عابدين الكبش بالقيروان فقتلهم ابو جعفر بن خزر قال وهم المشركون عابدون الكبش ذكر هذا اثر التعريف بسعيد وقوله ابو سعيد فابو زيادة من الناسخ .

ومنهم حارث ابو الغدير الهوارى ومسكنه قال ابن سلام قبلة سوسة غربى مدينة القيروان قال وهو فقيه مفت كبير معروف بدعوة المسلمين .

ومنهم سليمان بن ياسر قال ابن سلام منزله بقلوط حوزة شرقى القيروان وهو رجل فقيه من علمائنا .

ومنهم ابو يعقوب يوسف قال ابن سلام ورجل يقال له ابو يوسف وهو عربى وهو من علماء اصحابنا وهم حوزة وجماعة ومنازل عدة ومساجد كثيرة .

ومنهم ابو الفتاح قال ابن سلام بعد كلام وكان كبيرهم يقال له ابو الفتاح وهو الذى يعلمهم العلم توفى قبل سنة ستين ومائتين وهو رجل بصير بالفقه تعلم العلم بتاهرت وهم نحو من خمسمائة رجل فى حوزة واحدة .

ومنهم ابو حبيب ومنزله بقفصة الساحل شرقى القيروان قال ابن سلام وهو رجل عالم فقيه .

ومنهم ابو عمرو حفصون النفوسى قال ابن سلام ومنزله بباطن المرج

فى عدد من نفوسة نحو خمسمائة او اكثر قال وهو رجل عالم فقيه فارض ناقد .

ومنهم العسيرى الهوارى قال ابن سلام رجل عالم فقيه بصير واسع العلم ومنزله بفحص القيروان فاوذى بنزول الموالى عليه فترحل .

ومنهم السمح بن عبد الجبار الهوارى قال ابن سلام فقيه عالم .

ومنهم ابو حفص سليمان بن حفص الفراء عند من قال انه تاب من الذى خالف فيه قال بعض اصحابنا لو لم يكن الا احمد بن الحسين الاطرابلسى او سليمان بن حفص الفراء لتبعته المذاهب ولو لم يكن الا الامام افلح لتبعته المذاهب وقد تقدم فى التعريف به بعض مناقبه وكلهم اباضية الا احمد بن الحسين وابن عمارة يأخذون بمسائل القياس واخذا بقول عيسى بن عمير فى الكلام وبقول ابن علية فى الفقه ورأيت له كتبا كثيرة اجلها واحسنها المقالات وبعده المختصر فى الفقه .

واما الفراء فرجل عالم يسكن القيروان خالف فى بعض المسائل وذكر بعض اصحابنا انه تاب ورجع الى مذهب اهل الحق قال ابو عمرو اذا ذكر الشيخ ابو زكريا الفراء وعليا قال انا لله وانا اليه راجعون مما اصابهما على كثرة علمهما .

ومنهم الامام الماهر والبحر الزاخر العالم الذاكر ابى حاتم يوسف بن ابى اليقظان محمد رضى الله عنهما بويع بعد موت ابيه ومكث فى الخلافة اربعه عشر سنة قال ابو زكريا قد اطردت له الامور ولم ينقم عليه احد من رعيته فى حكم ولا فعل وقدم على جبل نفوسة بعد ابى منصور افلح بن العباس قال ابن الصغير لما دخل ابو حاتم مدينة تيهرت جمع مشايخ البلد واستشارهم فيمن يوليه القضاء فاشاروا بان يولى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الشيخ وكان ابوه قاضيا وتقدم التعريف به وبعدله وباتقانه الامور وقالوا وما عبد الله دون محمد فى العلم والورع والدين قال اشرتم

واحسنتم فولاه القضاء وولى بيت المال عبد الرحمن بن صواب النفوسى
وولى الشرطة زكار لانه ذو نصيحة وهيبة وابراهيم بن مسكين لانه ذو
صلابة فى الحق وقد كانت حروب فسدت بها البلد وفسد اهلها واظهروا
المنكر وكثر الفسق والزنى وشرب الخمر جهارا فلما تولى الرجلان الشرطة
قطعا ذلك فى اسرع وقت واقرب زمان فكسروا الخوابى فى كل دار عظم
قدرها او صغر وفر المفسدون الى الجبال وشرد الاشرون الى الاطراف
والاودية ونفيا قطاع الطرق وردعا السراق ردعا شديدا وحملا الناس على
العدل والسبيل ولم ينقم على ابى حاتم شىء الا انه ضرب مرة على الظنة
لا غير وكانت له خطباء قال ابن الصغير وشهدت له خطبا كثيرة اولهم
ابن ابى ادريس والثانى احمد والثالث ابو العباس والرابع عثمان بن الصفار
والخامس احمد بن المنصور وكان الرستميون اهل علم وفصاحة وذكر عن
الامام افلح انه لم يعد خطبة قط لجمعة ولا لعيد او لغيرهما وقد تقدم
التعريف بهم من ذلك .

ومنهم ابو معروف ويار بن جواد رحمهما الله قال ابو العباس ناهيك
بابى معروف فى الاثار والمعروف والموصوف بدراسة العلوم المعروف قال
وله فى النوازل والاسئلة المعضلات اجوبة كاشفة اشكال المشكلات قال
ابو العباس وابو الربيع دخل رجل على ابى معروف فى مرضه الذى مات
فيه فسأله عن ستة نفر دخلوا على مريض ثلاثة رجال وثلاث نسوة فقالوا
له اوص فقال بماذا اوص ومالى ورثتموه اسداسا لكل واحد سدس فاجاب
بأنه رجل له ام واختان لام وثلاثة بنو عم فتزوج كل رجل امرأة فالمال
بينهم اسداس واستمسك زوج عمه فى نفقة ابنة عمه معها الى ابى منصور
الياس فقال ابو معروف اردد الى ابنة عمى وهى كبيرة فقال ابو منصور
لان فعلت لاكلن بك فساق ويغو واتى ابا معروف يتيم فشكاه بان سيف
ابيه فى يد الطواف اعطاه له زوج اختى فارسل الشيخ ابو معروف الى
الطواف فقال ساوم بنصيب الاخت من السيف ففعل فلم يجد من يشتريه

وقيل اشترى جنانا وباعه ولم يره وعيب عليه ذلكِ واهدى امير القيروان
سيفا لاهل الجبل ومراده اختلاف رأيهم فاختلفوا فبعضهم امر برده وهو
اولى بريته وبعضهم قال ذلك عون له على باطله وقال بعضهم اكسروه
وادفنوه وقال بعضهم امسكوه فان عطايا الملوك جائزة ومن هؤلاء ابو
معروف فاصيب بصره قال ابن ماطوس الحمد لله الذى جعله له فى دنياه
ولم يجعله له فى آخرته وبعث الى الشيخ عبد الحميد الفزانى ان يرسل اليه
دواء لعينيه قال عجبا لهذا الشيخ اعطاه الله شفاء الذنوب فاراد ما يزيله
قال ابو معروف حين بلغه قوله جعلنى كالصبى ارضع لابهامى فمراد
الفزانى اجر المصيبة ومما تكتسب العين من الاثم ومراد ابى معروف
مايكسب من الخير بالبصر وكان يتجر فاذا وزن غيره زاد له خروبة واذا
اخذ نقص خروبة فاوصى بعشرين دينارا لحوطة الميزان ودخلت المشايخ
على امه لتوصى فقالت فيما اكثر الوصية قالوا فى الكفارة فاوصت بثلاثمائة
كفارة فانفذها ابو معروف عنها ورمى رجل طائرا فوقعت برجل فقتلته
فاختصما لابى معروف فاخذ القاتل منهم فقال اولياؤه لم يعتمد فقال
اصبروا والادفعته ليقتل وانتم تنظرون وقال خصماؤهم ادفعه لنا لانه قاتل
ولينا ظلما فقال اصبروا والا تركته ولا تجدون اليه سبيلا وحكم بينهم
بالدية وانما قال لهم ذلك لان فى المسألة اختلافا وسرقت بغلته فوجدت
بمصر فاخذ المشايخ له خليفة فاستمسك بمن هى عنده وشهد له من حضر
فحكم له بها ومن عادته اذا جاز على اغصان الاشجار التى زادت حتى
منعت السابلة فيكسرها ويرمى بها الى بستان صاحبها وكان يوما يعمل
عملا فى جنانه لابسا سراويل لاغير فدخل عليه تلميذه ابو مسور فلما
رآه كذلك اخرجه الى الخطة فقال تبت فاراد لومه بعد ذلك قال ليس
لك ذلك بعد التوبة وهذا منهم رحمهم الله من احياء السير والورع والحذر
وجاز يوما وتلاميذه على فدان فيه اشجار التين البغطورى فادخل الشيخ
الطلبة فاكلوا بالدلالة فالتقى بصاحب الفدان فاخبره ليسره بذلك فقال

قد صادفتم وقت جنايتها فامر ابو معروف فاوقروا بغلته تبنا وارسل بها الى البغطورى فامر خادمه ان يصبها فى داره .

ومنهم ماطوس بن هارون وماطوس بن ماطوس وكلاهما قد سبق فى ميدان العلم والعمل وشمر عن ساق الجد وحسر عن ساعد الاجتهاد وتجنب الكسل وكان ابن هارون ذا بنات واحتاج لما ينوبهن فارسل معه عامل اليتيمة ثلاثمائة دينار الى ابى منصور فاتاه فقال له عليها وانه محتاج اليها ولا يعطيها له فاساغها له ودخل داره جار له يسوى فى المطر الماء فقال له ليس لك عندى ماء وجاز على تندميرت فاشلا عليه سفهاؤها الكلاب ونزل الى بلده شروس ودخل بيته وعليه ثوب جديد وجعل يتقلب من شدة الغيظ وهو يقول لو كان لجهنم بابان ادخل من احدهما واخرج من الآخر لشفيت غيظى ولم يعلم احدا خشية الفتنة بين القبائل حتى تقطع القميص من كثرة التقلب ورأى رؤيا انه لبس جبة من قصب فعبرت بأنه يموت شهيدا فاستشهد بمانو رحمه الله وهو ممن شد فى الخروج اليه لاجل رؤياه فضرب بها وخرج امعاه فمسكها بيده وقاتل بالاخرى حتى استشهد وقال له بعض اصحابه حين ضرب الى هذا توصلونا قال هذا الذى نتمناه زمانا وهو خير من الرجوع الى الاغتسال بالماء البارد بالاسحار ووقعت فتنة بين شروس وتندميرت فخرج الماطوسان من شروس خشية ما يلحقهما من الاثم فقال يوما ابن هارون لابن ماطوس اين تريد ان ينهدم الحائط فقال لا ابالى اين وقع لسلامة قلبه وقال ابن هارون وانا كذلك واذا كان لابد فلينهدم اليهم وكان ابن ماطوس اختص بكمال الصبر وكثرة الكرامات واجابة الدعاء وهو من الاثنى عشر المشهورين باجابة الدعاء ومن صبره انه ابتلى بأمراة سوء وكان يوما يحدث امرأته فالقت على عمامته رمادا وما زاد الا الحمد والشكر واخذت يوما ابنه وضربت به الحائط فخرج دماغه وما فعل الا الصبر واذا قيل له طلقها قال لا اريد ان يبتلى بها احد غيرى ومن اعلا كراماته انه اذا كان يسير بالليل من المسجد واراد

دخول بيته سبقه عمود من النور بين يديه ومدحه رجل بذلك فقال الشيطان يرفع الى حيث يمكنه من خلف وامام فنسأل الله العصمة منه وكانت امرأته تقول له سبقك جنك .

ومنهم شبية الدجى النفوسى وتقدم ان ابا القاسم قال فقدت بمانو ثلاثمائة متوليا ولا شتيبة فى دجى وميال فى اتلجام وجنا فى تنزغت وهو صاحب اللواء فى وقعة مانو فقال افلح بن العباس اثبت البند فى الارض ياشيبة فابى ثم اعاد عليه فقال مسكته عند ابيك وجدك ولم يأمرا بذلك سأحفر له حفر لله لك فلما اثبت البند فى الارض انصرف افلح وترك المسلمين يقعون حوله خشية ان يولوا الدبر واللواء قائم فصرعه بعض اهل البصائر فانهزم الباقون ولم يكره موت المشايخ لانهم اكرهوه على الخروج ومسجد دجى له .

واما جنا التنزغتى وهو اخ لابى القاسم من الرضاعة كان فى التقى والزهد والشهرة فى الخير بمكان وكفاك ذكر ابى القاسم له فى الثلاثة الذين خصص من الالوف ومن الثلاثمائة الذين هم فى ولايته وله بنات مشهورات فى طرق الخير حتى قيل فيهن بنات جانا فى الاسلام فى جبل نفوسة كالغرابيب البيض .

وكذا ميال ايضا والثلاثة غايه فى العبادة والشجاعة والتقى واستشهدوا جميعا بمانو وتقدم ان المشايخ حين دخلوا على ابى القاسم زائرين قالت لهم احدى بنات جانا ما قالت وجمعوا ماجمعوا وجعلوه بيدها تنفقه على عمها سرا لعلمهم بانها غاية فى ذلك وكفى التنبيه على القاضى عبد الله والخازن عبد الرحمن وعلى الخطباء عن اعادة التعريف بهم ثانيا وفى ايام يوسف كانت وقعة مانو التى فل بها حد سيف نفوسة على يد افلح ابن العباس وذلك ان نفوسة بلغت فى العلم والتقى والعدل والورع مبلغا عظيما يكاد ان يكون حاكيه كاذبا وهابهم من بالمشرق والمغرب ولذا قال

الامام عبدالوهاب رضى الله عنه انما قام هذا الدين بسيوف نفوسة واموال مزاته وقد تقدم هذا وكان ابراهيم بن احمد من بنى الاغلب والى بنى العباس على افريقية وكان ظالما جائرا فقدم طرابلس ولعله افسد فاجتمع رأى اكثر نفوسة على ملاقاته فابى لهم اميرهم افلح بن العباس وسعد بن يونس عامل قنطرارة ومعبد الجناونى وعزم من رغب فى الجهاد واظهار المعروف ودين الله لتكون كلمة الله هى العليا ، قال ابن الرقيق وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين تحرك ابراهيم بن احمد يريد محاربة ابن طولون وامر بالحشد فلما اجتمع له مايريد خرج من تونس لعشر خلون من المحرم فاقام برقادة الى سبع بقين من صفر ثم خرج بجميع من معه فاعترضه اهل نفوسة فى جمع عظيم وذلك فى النصف من ربيع الاول فكان بينهم قتال عظيم فقتل من جنده جماعة من الرؤساء وغيرهم ثم انهزم اهل نفوسة وكان فى ايام المعتضد فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا وتطارح منهم فى البحر بشر كثير وقتلهم فيه حتى غلبت حمرة الدم على الماء قال ابو زكريا قال بعضهم لبعض دعوا هذا الرجل ولا تتعرضوا له بشىء فابى جمهور الناس منهم سعيد بن ابى يونس حتى قال بعضهم اشتقت شداخ قنطرارة لم ترد الموت فى سبيل الله قال خفت على البقرة فيتبعها عجلها يعنى بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطرارة فكان الامر كما ظن وتقدم كراهة معبد لذلك فى التعريف به وكراهة افلح فلاقوه بقصر مانو على ساحل البحر فاقتتلوا قتالا لم ير مثله فى ذلك الزمان فبارز رجل من المخالفين يريد من يقابله فكل من خرج اليه قتل فخرج اليه افلح بنفسه واشتد القتال فأمر افلح شيبة الدجى صاحب البند ان يثبته فى الارض فابى ثم أمره ثانيا فابى فقال لم يأمرنى ابوك ولا جدك باثباته والحفر له ساحفر له حفر الله لك وكان افلح قد اضمر للاشياخ ايجاس سوء لانهم اكرهوه الى الخروج فلما حفر للبند انصرف وتركهم وبقى اهل البصائر لانه لا يجوز لهم ان يولوا الادبار والبند قائم فصرعه بعض اهل الخير فمات اثنا عشر الفا ومن العلماء اربعمائة وحمل منهم

اسرى ثمانين عالما وفيها مات ابو ميمون وعمروس وماطوس وشيبة وجانا وميال ومعبد وغيرهم من الاشياخ وكانت فى الاسلام فلة لم تترقع الى يومنا هذا وتقدم ان عمروسا حمى الناس على فرس سابق فجعل له حبال فعثر فرسه فأسروه فقالوا ارجع عن الذى كنت عليه نطلقك واستعف نعف عنك فقال تلك كلمة لا اقولها حتى الحق بالله وكان يقرض بمقاريض الحديد من يديه حتى بلغوا به المرفق فمات شهيدا حميدا رحمة الله عليه وجاز عدو الله الى طرابلس وفيها ابن عمه فقتله واراد الزيادة فتفرق عنه جمعه ورجع الى إفريقية وفى سنة اربع وثمانين إخرج ابنه العباس الى حيز نفوسة فى شهر رجب فقتل من وجد فى الاطراف واستباح النساء وحمل ثلاثين اسيرا فقتلهم ابراهيم بعد ان قدموا عليه واوتى بنفر من اهل نفوسة فأمر بقتلهم وقدم رجل منهم وكان احسنهم منظرا فقال اظنك معلم القوم وامامهم قال لست كذلك قال ما تقول فىَّ قال ماعسى ان اقول بفاسق ظالم سفاك لدماء المسلمين ابعدك الله فاستشاط ابراهيم غيظا فقال والله لاقتلنك قتلة لم اقتل بها احدا من اصحابك قال ان كان الامر لك ستفعل ما قلت فزاده حنقا فقال ومن يمنعك متى فاذن المؤذن فقام فصلى باصحابه فالقى الله فى قلبه ان يطلقه فتركه ليعلم ان الامر لله لا له عدو الله واستاصل من قدر عليه من قنطرارة فصح ماذكر لهم سعد بن ابى يونس ثم فعل باهل نفزاوة كذلك فى المرتين وذكر ابو زكريا ان الصفين لما افترقا بمانو حدث غير واحد من اصحابنا ان رجلا من عسكر الفاسق لما جنه الليل اقبل ليحمل اخاه من المعركة فيدفنه نظر بعد ان حمل اخاه على بغل له شبه سلوقى فى القتلى فسمعه يقول كبروا يا اهل الجنة فكبرت نفوسة ومن معها ثم قال انبحوا ياكلاب النار فنبحت قتلى المسودة فنبح اخوه من بين يديه على سرج الدابة فالقاه الى الارض فهرب وتقدمت حكاية الذى صلب ابا يحيى طالب الحق وما رأى له من البراهين وكذا صالب عروة بن ادية وبراهين قتلى مكة مع ابى حمزة المختار ووقعة مانو بعد وقعة

ابن نور (١) احمد بأهل عمان وقد خرج عليهم من البحرين عام ثمانين ومائتين وكان عاملا للمعتضد "وخليفة اهل عمان عزان بن تميم قال المسعودى امامهم يومئذ الصلت بن مالك والصحيح ان الصلت عمر اماما لم يعمره غيره بعمان من الائمة فلما كبر عزل من غير جرحة واغتنم ذلك موسى بن موسى وبايع لراشد بن النظر اماما وفى الناس بقية فاحتالوا حتى عزلوه وبايعوا عزانا وخرج عليهم احمد بن بور وقتل عزانا وخلقا كثيرا حمل رؤوس بعضهم الى بغداد فابتلى الله المعتضد بان اظهر له شخصا فى داره بالليل تارة بحربة فيطعن بعض غلمانه فيقتله وتارة تاجرا فجمع الاطباء والمنجمين والمعزمين واصحاب الخواص فما صنعوا شيئا وكذلك ابتلى الله ابن الاغلب واستحال طبعه وغلب عليه سوء المزاج فتغير عقله وساءت حالته واسرف فى قتل اصحابه واولاده وبناته وكتابه وحجابه وانهمك فى الشر وسقط له منديل من يد بعض جواريه فاصابه خادم فقتله وقتل بسببه ثلاثمائة خادم وقتل ابنه المكنى بابى الاغلب صبرا بين يدية وقتل ثمانية اخوة صبرا كانوا من رجاله وقتل يوما ست عشرة بنتا قال ابن الرقيق وأتى بامور لم يأت بها احد قبله ولم يتقدمه الى مثلها ملك واتخذ الاحداث حتى جمع اربعا وستين حدثا وجعل لكل واحد منهم فراشا ومرقدا وملحفا وبلغه عن بعضهم امر فقتلهم جميعا منهم من ضرب بعمود من حديد فطار دماغه وكان يحرق منهم كل يوم خمسة او ستة حتى اتى على آخرهم وادخل بعضهم الحمام فسد عليهم وماتوا من حينهم وقتل ندماءه وطبيبه وقتل كتابه وحجابه وسجن بعض كتابه واستعطفه على نفسه وفى جملته ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا فاجابه ان الملوك اذا ما استرحموا قتلوا فقتله والجأه وابل المطر الى مسجد قرية فسقط بعضه وخشى من سقوط الباقى عليه

---

(١) سماه العمانيون محمد بن بور لما احدثه من دمار وقتل وفساد ، وكان ذلك عام مائتين وثمانين هجرية .

وعلى اصحابه فخرجوا ووقفوا فى المطر فابصرهم فتى فانزلهم واحسن بما قدر وبات باحسن مبات وكان زمان التين فادخلهم بستانا له واطعمهم ما ارادو فأمر به فضرب ضربا وجيعا وكانت له عبيد صقالبة فرمى ببعضهم من اعلا القصر وبعضهم ادخلهم بيتا وبنى عليهم ليموتوا جوعا فوجدوا فى البيت سيفا فقتلهم واحد منهم ثم قتل نفسه وحزن لذلك اذ لم يموتوا جوعا وقتل صاحب الديوان وشريكه لا لامر عظيم بان قطع يدى احدهما ورجليه وحمل راسه الى صاحبه فقال له ان لك خدمة وقديم صحبة واقتلك قتلة مريحة قال ما خنت لك عهدا منذ توليت وامر بضرب عنقه وقتل ابنه ابا عقال اذ قال لاخيه ان ابى زال عقله وقتل جواريه وبناته فمنهن من خنق ومنهن من بنى عليها حتى ماتت جوعا وله افعال غير هذا

واضطرب امره ثم اظهر التوبه واراد الحج ثم رجع غازيا الى صقلية فمات بها طريدا ملعونا ولم تبق ايامهم بعد ذلك الا قليلا حتى اباد الله ملكهم واهلكهم وازال الامر من ايديهم وفى ذلك عام ستة وتسعين ومائتين وجعل الله سبب وهن شوكتهم ان ابراهيم قتل رجاله خصوصا من برقادة فنازلهم بنفسه وحاربهم وبارزهم فلم يقدر لهم على شىء ثم اظهر انه عفا عنهم ثم خلع عليهم ثم اجتمع عنده نحو الف منهم فاحاط بهم وقاتلوا عن انفسهم قتالا شديدا ثم قتلهم جميعا وقتل غلمانه الصقالبة ثم اشترى العبيد السودان مكانهم فبلغت عدتهم مائة الف وقتل وزيره احمد بن ابى اسحاق وكاتبه رجاء بن محمد فدمرهم الله واوهن شوكتهم وسلط عليهم كتامة مع بنى عبيد الله .

ومنهم ابو بكر بن يوسف النفوسى وكان عالما فقيها مستجاب الدعاء قال ابو زكريا ذكر لابراهيم بن احمد أن من علماء الاباضية ابا بكر بن يوسف فوجه اليه من اخذه فطلبهم ان يصلى ركعتين ففعلوا فدعا ربه انى مظلوم فبعث الله ريحا وظلمة فحالت بينهم وبين الشيخ وكان مكفوف

البصر فاخذ ابنه بيده فنجاه الله مما مكروا .

ومنهم ابن يكوب وكان عالما قال ابو زكريا اخذه ابراهيم بن احمد فى ثمانين عالما فحملهم الى القيروان وكان مقطوع العرقوب فاستأذن اصحابه فى الهروب فأذنوا له فهرب فنجاه الله من شره وقتل سائر اصحابه ومنهم داود بن ياجرين وياجرين ورايت بخط بعضهم ياكرين بالكاف قال ابو العباس هما شيخا نسك وزهد واجتهاد فى العبادة وجد وقد ذكر انهما خرجا سنة من السنين الى البادية فى اوان الربيع وكانا متوافقين مترافقين فلما عزما على الافتراق او قبل ان يفترقا قال ياكرين ياداود اوصنى قال لا تستنج بيمينك ولاتنزل اهلك الا فى موضع الذراء والسترة ولا تسكن ازواجك فى بيت واحد وتقدم انه حضر مجلس القضاء هو وماطوس عند عمروس عند التعريف به .

ومنهم ميمون بن محمد ابو عمر وابو الفضل سهل وكلاهما فى الفضل والتوفيق فايق وفى ميدان الرضا والعدل سابق وبالحكمة وفنون العلم ناطق اما ابو عمر فكان حاكما وشديدا فى الامر والنهى وفى السير سمع بمجلس الخمر فى الفحص على ستة اميال من شروس وشروس ام قرى نفوسة وجادو مدينتهم فكسر آنيتهم واراق شرابهم وفيها جاز عليه ركب التكرور قدم من بلاد السودان فجمعوا له اربعمائة دينار فابى من اخذها وامر باغلاق الاسواق والبروز الى التكرور من اجل الانتفاع بالبيع والشراء فطلب التكرور رؤية ابى عمر لما سمعوا عنه من العدل ودلوا عليه فسلموا وكان مع ابى الربيع سليمان بن هارون فلما ملأ اعينهم وافئدتهم علما وادبا وحياء وابى من اخذ المال تورعا سألوا عن اسمه لاشتهاره بالكنية فقيل ميمون قالوا ميمون اى طابق اللفظ المعنى وناسب وكان ميمون الناصية على نفوسة مدة ولايته وانه رجع يوما من جادو فسمع بجيش عظيم للمسودة على الطريق واراد السير معه لانه محجة الاوائل وطريق الاشياخ

ولم يرد ان يخالفها فلما نام اصحابه قصد غار تكيت فبات فيه يعبد ربه ويرغب اليه فلما اصبح اتاه خبر انصرافهم فسار مع طريق الماضين ومن عادتهم انهم لايخالفون طريق السلف ولو فى المشى فلاقى يوما ابا سليمان التندميرتى فنزل عن فرسه اجلالا له فقال ابنه من هذا يا أبتى قال او ما تعرفه هذا الذى انزل الحمل عن ظهره فحملته ومازال حتى طرحه عن ظهره فلاموه فقال عسى من الله توبة نصوح قبل موتى ولو بسنة او بشهر او بجمعة او بيوم ولو بساعة ولو عند الغرغرة وضعف حين كان فى الامور حتى لم يطق الصلاة واقفا للهرم فلما ترك الامور قوى واشتد قال كانما حط عنى حمل وحبس جانيا فى بيته مغلولا فقام ابو عمر بليل فتوضأ للصلاة ففك الجانى وثاقه واخذ سكينا فضرب ابا عمر وجرحه فقام اليه ونزع من يده السكين وشدوا وثاقه ولم ينتصف لنفسه وكان الحاكم اذ ذاك غيره فلما اصبح حمله المشايخ الى الحاكم قال الحاكم كدت ان تعمى الاسلام يا عدو الله وروى انه اذا اراد ان يحكم اخذ يرتعد كالسعفة واذا قال الخصم اعطنى حقى جعل يبكى خوفا من الميل عن الحق .

واما ابو الفضل سهل لما تولى ادرك الناس فى ذل من المسودةِ وزناتة والعرب وواحد من اولئك يقدم على عشرة من نفوسة لما ملأوا قلوبهم من الرعب فلم يبرح حتى عكسها وصار النفوسى يقدم على عشرة من اهل البادية ورفع الجور عن نفوسة وخرج مرة الى طلب زناتة ونزل الابراج فلما قرب من العدو ضرب خيمته فدخلها يرغب الى ربه وارخى اطنا بها فانتشب الحرب فهزم الله زناتة وشتتهم ووقع فساد بمدينه غدامس وهى على سبع او ثمانى مراحل من نفوسة وخرج اليهم يصلح فسادهم فاتفق رأى المشايخ فى رده فلما بلغه الرسل ابصروا رايات او اعلاما فوق رأسه وعلموا ان ذلك برهان من الله فتركوه ولم يردوه فلما بلغ غدامس ناصبوه وقاتلوه فهزمهم الله وازال الحدث واصلح الفساد .

ومنهم ابو صالح الدركلى النفوسى وكان من اهل الخير والعلم والاجتهاد اخذ العلم من معدنه ابى خليل وافاد به اهله واشتهر عنه انه وجد امرأة على الماء تسمى العافية وحملت قربة على خادم وحاذرت ثيابها مما يقطر خشية ما يصل ثوب الخادم فرخص لها ولو نجس ثوب الخادم وزادها ان مربط الجديان والخرفان وبلل الجدى يوم ولادته ولبن امرأة حلبت فى ليلة مطيرة شاة وقت ولادتها فى جملة الغنم وغبار البيت النجس والكنس والماء الذى يطير من البئر يغرف منه ماء السنه والماء السائل حول البئر ليس شىء منها ينجس وكذا الطين المعجون بالماء النجس اذا جف وان الوضوء لا ينتقض ممن سلك دمنة الغنم ليلة المطر وقال اختلفت انا وفقهاء الجبل فى مسائل تمام العدة ابتداء الاغتسال من الحيضة الثالثة قالوا تمامها تمام الغسل واذا أبطأت عنها الحيضة الثالثة فلا تنقض عدتها حتى ترى الحيضة الثالثة وقلت تتربص عاما ثم تتزوج وان من اجبر على نفقة زوجته يقال له انفق وان طلقت انحللت وقلت اقول له انفق او طلق .

ومنهم ابو يحيى سليمان بن ماطوس الشروسى النفوسى وابو هارون الجلالمى موسى بن يونس النفوسى وابو الربيع سليمان بن زرقون النفوسى ثلاثتهم اضاؤا الارض شرقا ومغربا بعد ما اشرفت شموس العدل والدين على الافول بمصيبة مانو فانتعش بهم الدين واحيى الله بهم قلوب الجاهلين كانوا بدورا بين الفراقد وكلهم مطلبا للناشد وفى السير ان ابن ماطوس حاكما على شروس فحرضه ابو هارون الجلالمى صنوه فى التقى وقرينه فى العلم على تاثير الحق فقال ان لم تقدر على الغائية فأت ما دونها وضرب له مثالا فقال ابن ماطوس آجرك الله انما حسبت ان لم اقدر على الكل تركت الكل وشاع علمه وفتياه فى البلدان شرقا ومغربا وذكر ابو زكريا يحيى الجناونى عن ابى محمد ورسفلاس عن ابيه عن ابى يحيى الفرسطائي انه قال اجتمعت مع بعض العلماء بناحية زويلة فقال ان فتوى ابن ماطوس كلها حسنة الا انه لا يرى الشدمة ليتيم ولا لغائب قال ابو يحيى فلما قدمت

آتيت ابن ماطوس فاخبرته فقال قُل له ذلك تعطيل الحقوق يا جاهل قال ابو العباس وغيره ان ابا صالح وابا موسى ومن معهم من التلامذة اقاموا عند ابن ماطوس ماشاء الله يقرأون العلم ثم انتقلوا الى افريقية الى سلام ليك منها فدرسوا فيه الكتب زمانا ثم رجعوا يعرضون على ابن ماطوس ويصححون ما قرأوا فى تلك المدة فالتقوا ببكر بن ابى بكر بنفزاوة وصحبهم فساروا الى وقت صلاة الظهر فسألهم رجل صحبهم ولم يخرج من اميال بلده ايصلى تماما ام قصرا قال الجميع تمام الا بكر قال ان نويت السفر فصلى قصرا ومروا بأمراة تغسل صوف شاة ميتة قال الجميع لا تطهر بالغسل بل حتى تترب فى سبعة موضيع بسبعة اقضبة ثم تغسل بعد فقال بكر اغسلى صوفك كما تغسلين غيره ومن تيمم ويده نجسة فقد طهرت ونجس التراب وقال بعدم نجاسة التراب قالوا اين ذهب النجس قال ذهب بين الضربات فلما بلغوا الشيخ اعلموه بالمسائل وقول بكر فيها قال لهم الفرسطائى عالم يعنى بكرا وصححوا فى ستة اشهر جميع ما قرأوا من شدة اجتهادهم قال ابو العباس هذه بمناقب بكر اشبه وانكر على بعض من يرد عليه لما بلغه ان بعض يأخذون الصدقات ثم يردون منها عن من اخذها منه وانكر ذلك وقال ذلك مما لا يرضاه الله تعالى وقدم رجل ليلا من اهل بلده واراد الخروج ليلا فصنعت له امرأته طعاما وكانت حزيمة فاحضرت للطعام ابن ماطوس فحملت من وطىء زوجها فقيل فيها فقالت من زوجى قدم ليلا وعند ابن ماطوس الخبر الصحيح فأتته فذكرت له فنسى فذرته فلم يتذكر فرجعت مقهورة فاذا جنها الليل اخذت فى الدعاء وتقول ياملائكة السحر ذكروا ابن ماطوس فقام ذات ليلة ليصلى فتذكر فلما اصبح امر بضرب الطبل فلما اجتمع الناس اخبرهم بصدقها ومجىء زوجها لها ليلا قال البغطورى ان ابن ماطوس قد أتى بعد ابى القاسم وبورك فى علمه فبلغت فتواه شرقا ومغربا وهو احد فروع مانو .

واما ابو هارون الجلالى فقال البغطورى جذور مانو ابو القاسم وعبد

الله بن الخير وفروعه ابو هارون الجلالمى وابن ماطوس وابو زكريا يحيى
بن يونس الفرسطائي ومن يتاماه ابو يحيى زكريا الفرسطائي قال وقال
الشيخ ابو محمد بن محمد ان ابا هارون كان يتعلم عند ابى القاسم ثلاثين
سنة الاصول والحجة والمناظرة ويقول ان الفقه علم العجائز وتعلقت به
العلوم مما اعطاه الله من الفهم قال قال فيه ابن ماطوس لو علم الناس
ماينفعهم لازدحموا عند باب داره كما يزدحمون عند باب دار ابى عبيدة
بالبصرة وكان حزيما لدنياه واخراه وهو افضل من تعلم عند ابى القاسم
وكان غراسا للشجر وذكر انه يحيى من اشجار التين ثلاثمائة مديا واظن
انه مائة وخمسون وسقا والمودى بحوزتنا نحو ثلثى الوسق وكان من القادة
فى الدين يطعم مائة لعياله ومن يأمنه ومائة للاضياف وابناء السبيل ومائة
لتلامذته ومن يتعلم وكان فى ابتدائه يعمل شغله فى ربعه الى العشية فيمضى
الى الشيخ ابى القاسم يتعلم ثم يدرس ثم يرجع مصبحا شغله وذلك دأبه
واخذ العلم منه جماعة كبيرة وفى السير قال ابو القاسم البغطورى يحيى
الله الدين بهذين ابن يونس وابن يونس لاسيما هذا يعنى ابا هارون فخرجا
كما تفرس ، وكان واسع الدنيا تاجر اسفار اجمع مالا أنفقه في الطاعة
واكثر من شراء الربع وضاف عنده الشيخ عبدالله بن الخير بالجزيرة حين
حصروا بها فوقعت صيحة على شأن غارة فخرج ابو هارون ثم رجع يسأل
الشيخ كيف يفعلون ان ادركوا احدا فقال ان قتلوا الانفس وحازوا
الاموال خاصة فاقصدوا اموالكم فان حالوا بينكم وبينها فقاتلوهم وضيع
رجل زكاة غنمه سنينا فحمل زاده يتعلم مسألته والتقى مع الشيخ ولم
يعرفه فاخبره بقصته ولماذا جاء اليه فاجابه عما سأل بان يعطى عما فى
يده وكان اكثر مما عنده قبل على جميع السنين الماضيه فرجع وقال صدق
الناس العالم كالحوض من جاء استقى وكان عنده اجير دمرى استعمل
الورع ويجعل ثوب صلاته فى المزود فاطمأنت نفس الشيخ اليه ثم سرق
بقرة الشيخ وفى السير قال له ابن زرقون مارأيت مثلك ياموسى او خيرا

منك .

واما ابن زرقون فقال ابو زكريا كان قادة أي اماما يقتدى به وهو من نفوسة تاديوت وبها مولده ومسكنه قال ابو زكريا وحدثني بعض اصحابنا انه ادرك ديوانه وكتبه بقرية تاديوت وقد بلغ من العلوم ما لم يبلغه كثير وتعلم هو وابو يزيد بسجلماسة وكانوا يومئذ من اهل الدعوة واستاذهم ابن الجمع وكان من مشايخ المسلمين اقبل من المشرق تاجرا غزير العلم فنزل توزر فخدمه ابو الربيع فاختبره فى امور كثيرة فالفاه حاذقا فاستخبر يوما تمام تنبيهه وتوقد نفسه فقال له انك فطين ولم يظهر الياء واوراه انه فطين ففهم ما أراد فاجابه بانه غير منزلق فنام يوما فغطاه قال الزيت خير موريا بجزيت خيرا فاجابه بانه يصلح للخبز فانتقل الى سجلماسة وانتقل معه ومكث معه سنين فتعلم عنده فنون العلم فحضره الموت هناك واوصى بكتبه لابى الربيع ورجع الى قصطالية واشتهر فى العلوم واضطربت قصطالية كلها من اجله واختلف اهل سجلماسة بعدما خرج من عندهم فى مسألة كادوا يقتتلون عليها فاتفق رأيهم على ان يرسلوا أمينين الى ابى الربيع فيعملوا بما يجيبهم به فادركه الرسولان فاجابهم فاخذوا بما قال واصطلحوا وبات ليلة وضل هو وابو يزيد بعض اهل الدعوة فلم يحسنوا قراهما ومر ببعض النكار واحسنوا انزالهما وذلك سبب هلاك ابى يزيد فقال لابى الربيع الا ترى مابين الطائفتين فهل لك فى الرجوع الى مذهبهم فقال ابو الربيع أأخلد الى الارض لهواى فرجع ابو يزيد نكاريا وهم فرقة من الاباضية اتبعوا فى الكلام عبد الله بن يزيد ويأخذون فى الفقه بقول ابن عبد العزيز وابى المؤرج وحاتم بن منصور وشعيب وخلافهم انكار امامة عبد الوهاب وقد تقدم الكلام عليهم هناك ، ودخل مرة الى افريقية فوجدها تغيرت واستولت مشايخ النكار عليهم فاصلح ذلك اجمع وردها الى الحق ودخل مرة خصا فيه سبعة اسرة لكل شيخ من مستاوة سرير يجلس عليه فقال له واحد منهم هاهنا يا ابا الربيع فقصده

فلما تمكن من الاستواء عثر فوقع على المستاوى ولكزه بمرفقه حتى كاد ان يكسره قال كدت ان اكسرك ثم ناظروه فغلبهم وحضر غدءاهم فخرجوا وانتقلوا من غير اكل وتبعهم فى احياء افريقية حتى نفى جميع من يميل الى مذهبهم واصلح البلاد رحمه الله وتوجه الى الجبل وكان ابو القاسم يوالى نفاثا ، قبل احداثه ما احدث ولم تقم عليه عنده بينة يقطع بها عذره فيتبرأ منه وبقى على حاله قال لهم ابو الربيع شيخكم يوالى نفاثا وانتم توالون شيخكم فكلكم نفاثيون وسألته امرأة عن البراءة من مستاوة قال كلهم فى البراءة ومستاوة هم النكار وقد تقدم الكلام على نفاث ومخالفته للامام افلح وطلب خرقة الى العجوز يرقع بها ثوبه فاعطته فقالت انها بخسة فقطع منها ظرفا وقال خذى بخسك ورقع بالباقى وطلب مرة ماء فاعطته عجوز فقالت اشرب قليلا فاستوعب ما فى الاناء قالت ألم أقل لك اشرب قليلا قال انما شربت قليلا تأول قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل ، ورأى تبرجا بنساء قصطالية فقال ما اكثر إماء اهل هذا البلد فحملهن على غير الحرائر وعيب عليه الفتيا بالرخص فقال بينى وبينكم النسيان ووطىء برجله شيئا رطبا فقال ما اكثر طعام اهل هذا البلد ثم وجد طعاما ومر على غدير ماء فى فصل الشتاء ومعه عالمان اخران متقيان وكان وقت صلاة فلم يتوضأ خشية الضرر من البرد وغسل احد الاخرين يديه وتوضأ الاخر فاخذه شدة البرد فوقع فلفه صاحباه فى ثيابه وحملاه وقال لم تهون على نفسك ان تتيمم لصلاة واحدة فتيمم الان لصلوات قال ابو العباس ارى ابا الربيع أفقه الثلاثة فى المسألة وسيأتى تمام اخباره مع ابى الخطاب وغيره .

ومنهم ابو الخطاب وسيل ابن سنتين الزواغى رحمه الله تعالى قال ابو العباس مذكور فى من افنى بدنه فى العبادة وماله فى الصدقة موسوم بسيمة الصلاح وسمته معدود فى ديوان علماء وقته لا بطيئا فى السباق ولا قاصرا عن اللحاق وجاز ابن زرقون على ريصو فوجد بها اربع فرق من الاباضية

مستاوة اتباع عبد الله بن يزيد والخلفية اتباع خلف بن السمح والنفاثية اتباع نفاث بن نصر واهل الدعوة وذلك فى ايام ابى الخطاب وسيل فأمر القضاء والاحكام لابى الخطاب والفتيا للنكار وهم مستاوة وامامة رمضان للخلفية والاذان للنفاثية ووقف ابو الربيع على حلقتهم والنكارى يفتى فالقى لمن يليه مسألة يسأل عنها ولعلهم لا يعرفونه فسأل المفتى فتعجب من ترتيب السؤال وحسنه ولم يطق جوابه فقال ابو الربيع اجب الرجل قال النكارى اجبه انت ولعله ظن ان السؤال اعطال فاجابه ابو الربيع فزاده اسئلة اجاب فيها من غير توقف فرجع السؤال اليه وسقط النكارى ثم ان بعض اهل الدعوة سأله عن النكار والخلفية والنفاثية وهم حضور قال كفار[1] فنظر بعضهم الى بعض فتفرقوا وابو الخطاب غائب واخبر بما وقع وانه عجل على القوم فقال ابو الخطاب كلا انه فصل لكم دينكم وعاتب على ابى الخطاب نفوسة الجبل وعاتبوه فى استفتائه النكارى والتزامه الامر ليقظان وتغريمه الارامل واليتامى للظلمة وتقديمه خلفيا فلما بلغه بكى وقال الحمد لله الذى جعل لى اخوانا يعاتبونى على ما بلغهم منى من التقصير قبل يوم القيامة فأجابهم بأنى لا احكم بما به يفتى وانما احكم بعلمى والتزامى الامر ليقظان انما التزمته احتسابا لله لا ليقظان وأمر اليتامى والارامل ان يداروا عن انفسهم ولم اقدم خلفيا انما اصلى فريضتى ثم اقول له اتصلى وقال ابو زكريا فيما بلغه عن بعض اهل القيروان والله اعلم ان كان من اهل الدعوة ومن غيرهم كان عنده من العلم ان من بنى مسجدا فى ناصروت فهو مسلم عند الله فخرج الى الموضع ليبنى فيه المسجد فوجد ابا الخطاب بناه وهو مسجده المعروف واتاه رجل لا يعرفه

(١) تقدم ان الكفر ينقسم الى قسمين كفر شرك وهو ما يخرج صاحبه من الملة، وكفر نعمة وهو ما لا يخرج صاحبه من الملة، وهو تقسيم يقتضيه القرآن والسنة.

فقال لى عليك دينار قال لا اعرفك فالح فى الطلب فاعطاه ماطلب خشية الخصومة وسأله بعض اغنياء بنى يهراسن ان يعطى زكاته اخاه فقيرا قال ادعه فدعاه فقال تب الى الله فتاب قال اعطه زكاتك قال للآخذ ألبسناك ثوبا وهو لباس التقوى فان تعريت منه فلا قتلك الا الجوع فنزعه بعد فبقي اثر الفقر فى ذريته واخذت فيه دعوة الشيخ وقالت امرأة من ذرية ابى الخطاب المعافرى حين مات ابو الخطاب مات الحق وبقيتم يا زواغة بطون كالأخرجة وعمائم كالابرقة ونعال سلجماسية واحكام متعوجة .

ومنهم ابو ايوب صنوابى الخطاب فى التقى واجابة الدعاء والعلم والسخاء خرج هو وابو الخطاب يوما فى بعض حاجتهما فادركهما الليل فابصرا ليلة القدر فاجتهد ابو الخطاب فى الدعاء لأمر آخرته وابو ايوب يدعو ان يصيب دنيا سببا للجنة فانكر عليه ابو الخطاب ان هذا مقام عظيم اتتعرض فيه للدنيا فقال ابو ايوب ان لم اصب بها الجنة فلا رزقنيها الله ومسكنهما ريصو وبسط الله الرزق والدنيا على ابى ايوب وقيل اذا جمع زرعه للدرس رآه من بجربة واطلق يده للنفقة للوارد والصادر ونزلت به عير ليمتاروا ففتح لهم مطمورة فلما اكتالوا قال لابنه انزل وانظر ما فعلت المطمورة قال له قمحها قمح الجنة فتصدق بما فيها وابتدأ بأهل العير وأتته نفوسة الجبل فى سنة شديدة القحط فرأى على وجوههم لباس الجوع فانزلهم وانفق عليهم مما اعطاه الله وكان يذبح لهم كبشا غداء وعشاء كبشا شهرا وما يمونهم من الطعام فسمعوا برخص الطعام بجربة فأرادوها ليمتاروا فمنعهم وكان الرسول بينهم ابا مسور واطلق دواب الاشياخ فى الاندر تأكل قالوا كيف يصنع بالزكاه فلما حضر الكيل اخرج العاشر والتاسع والثامن والسابع والسادس للزكاة وذلك النصف فامتاروا جميعا من زكاته وكان معهم ابو يعقوب الدمرى ومعه ابنه وقال اجعلوا للصبى سهما قالوا ان كان متول لك قال يبيت عندى الليلة يريد يختبره فلما اصبح قال توليته وخرج فى جماعة يريدون زيارة الجبل فبينما هم فى السير اذ ابصروا شخصا

ظنوه عدوا ونزلوا عن دوابهم من البغال فتعلقوا بالوعر فمكنوا بالوعر فلما جنهم الليل وتيقنوا ان يبيتوا تلك الليلة طاوين قال عندى الف قفيز من طعام وما يلوثه زيتا وانا ابيت بغير عشاء خيار ما يدخر المرء التقى وكان الشبح عيرا فعقلوا دواب الشيوخ فساقوها .

ومنهم ابو محمد الدرفى قال ابو العباس اسمه ملى وفى كتاب السير اسمه زيد بن فصيت فاما ان يكون ملى لقبا واما شيخ اخر ا سمه ملى قال ابو العباس هو ممن يعزى الى الورع والصلاح وممن ضرب فى الدراسة بالقداح واديرت عليه من راح المذاكرة اقداح وذكر ان رجلا دعاه الى طعام فذاكره بشهادة له فقال ارفع طعامك لان لك على شهادة فقال كل واشهدك انى تركت لغريمى مالى عليه من حق بشهادتك فانصرف واحضر ابو محمد قمحا صالحا واستدعى الرجل المذكور فقال خذ الطعام واصرفه فيمن ترى محتاجا واحتاط بذلك لما اتلف بسببه من الطعام وتقدم مثلها لابى الشعثاء الزنتوتى وبعضهم يكتبه بالسين وللشيخ ابن ابراهيم مثلها كما سيأتى وفى السير كان عالما زاهدا فى الدنيا وكان حاكما على اهل جادو وركب حمارته ذات يوم فبركت فأخذ يصفق نعليه عند اذنيها وذهب اصحابه ولم تقم فقال بعض اصحابه ما اظن الا حمارته بركت فرجع فضربها فقامت والورع منع الشيخ من ضربها وان نصر بن اكبت مقدم فساطو اقدم على الشيخ وهناك معتق صالح اسمه نصر قدم ايضا فقال الشيخ للمعتق ارجع يا ابا حبيب هنا فظن ابن اكبت يريده قال موضعى مستويا ياشيخ قال لم اعنك وانما اعنى المعتق وما انت فارجع فى الجحيم قال استحق المعتق ما فعلت به ياشيخ ووقعت فتنة فاذا جاز على جماعة فساطو قال لم اجتمعتم يا جماعة سوء وكان مقدمهم ابن اكبت يحذرهم من ان يجيبه احد فاجابه يوما اخوه ليستقيم لك المشى ولحمارتك قال الشيخ لا يستقيم مشيي ومشي حمارتى الا بك عسى الله ان يقتلك ويصطلحوا قال ابن اكبت لاخيه احذر اهل زمور من الشيخ فوقعت لى فيك يابن اخى فكان الامر كذلك فقتلوه

واصطلحوا وازداد عند ابنه ابى يحيى يوسف ولد قال اخذنا فى التوسع وسموه سليمان لعله يسلم من دهره وقيل عنه يجتنبه الخصماء خوفا من عقوقه وارتاه مسكين وهو ياكل شواء اشتراه فاعطاه ما يشترى به شواء وقال انما اشتريت هذا لآكله لنفسى وكان ابنه ابو يحيى لا يصلى فزار ابا محمد شيخ من تميجار فقال له ابو محمد بت عندى ياشيخ فقال لا افعل وابنك لا يصلى فانصرف فجعل ابو محمد حبلا فى عنق ولده وحمله الى السجن وقال ما وجد لى عيب الا انك لا تصلى فاختر اما الصلاة او دوام السجن أو تركب جملا ولا اراك ابدا فاختار الصلاة فاخذ يرائي بها زمانا ثم تاب ورجع الى الله بقلبه فاحسن وضوءه واقبل الى المسجد وجاز على اترابه كان اذا جاز عليهم قبل قالوا على وجه الهزويه هذا فلان اراد ان يصلى فما قالوا شيئا يومهم استحياء منه حين اقبل فاراه الله عبرة التوبة من ساعته فهابوه والبسه الله ثوب الوقار وغشى عليه فى مرضه الذى مات فيه وهو بدار بنى ابى عبد الله بسوق جادو فحملوه يبتغون منزله حتى بلغوا ماطس فأفاق فقال اين تريدون بى قالوا منزلك قال ردونى وجدتمونى فى الجهاد وموضع الرباط فحملتمونى فردوه ومات بدار بنى ابى عبد الله ودفن قبلة الدار فلما جن الليل قال الشيخ ابو زكريا اللالوتى فخرجت لأرى قبر الشيخ فلما قربت رأيت صفوفا من الرجال مصطفة حول القبر بيض الثياب .

واما ابنه ابو يحيى فاخذ العلم من ابى محمد الكباوى وكان من اعلم اهل زمانه واستفتى ابو محمد الدرفى ابا محمد الكباوى فى المرأة اذ فادت زوجها وقام من موضعه فقبل فرخص الافداء وفى من حلف لامرأته ان لا تعطى مفتاح الجب فأرتها لمن حملها وقالت لا اعطيها لك الا حنث وفيمن حلف لزوجه ان يأكل بالزيت وتاكل بغير زيت وهو مختلط فرخص اذا اكل من موضع تأخر فيه المغرف حين الاثراد وكان زمانهم قليل الزيت ويجعلون الزيت على المغرف وكان ابو يحيى متفننا فى العلوم وعارفا بالنجوم

وتولى بعد ابيه حكومة جادو وتخاصم اليه اثنان احدهما سرق زيتون الآخر فابى ان يقر قال ابو يحيى قم خذه من موضع كذا وكان مطيعا لوالده قال مايشق على شيء اكثر من ان يقول اطعمنى لحما لذيذا فأبادر بنفسى فأذبح شاة واسلخها واهيئها بنفسى ، وفى السير ان ابا محمد الآخرة دون الدنيا وابو يحيى يوسف بن ابى محمد الدنيا والآخرة وسليمان ابو داود بن ابى يحيى الدنيا دون الآخرة قال ابو يحيى اخذت العلم بالقصعة وفرقته بالاقداح يشير الى كثرة فهمه وقلة فهم غيره وقطع قاطع على امرأة عفيفة من ارجمان فحملت منه فشاورت عجوزا فى أمرها فقالت اقعدى عند الحبس حتى اذا رأيت من خرج الى حاجة الانسان فتوارى عن المنزل فتعلقى به ففعلت فخرج ابو يحيى حتى اذا دار من الشعبة خلف ابى طين فتعلقت به فقال اذا ولدت فقولى هو لفلان فولدت صبية فقالت هى لفلان فارسل اليها بجميع ما يحتاج اليه مثلها فوقعت البركة فى ارزاقهم من هناك .

واما ابو داود سليمان وابو عبد الله محمد بن ابى يحيى فكانا حاكمين فى اهل زمور قال ابو محمد يحب نفوسة ويبغض جماعة منهم وابنه ابو يحيى يحب الجميع وابو داود بعكس جده وكان ابو محمد إذا قام من مجلس القضاء اكل ما حضر وابو يحيى يأكل ما خبزوا وربما استطرف وابو داود ياكل اللحم والقمح وتمر فزان فى اكثر اوقاته وكانت ايام ابى داود مباركة على نفوسة بدعوة الشيخ رحمه الله وقالوا ما جازت ايام ابو داود على نفوسة قط ، وفي ايام ابي يحيى هدم قصر ادرف استحشد له مجدول بن بن يوسف الطربيسى الف فارس من زناتة واخذ العلم عن يحيى بشر كثير منهم ابو يوسف وجدليش بن فىّ وابو سهل وغيرهم .

ومنهم ابو يوسف يعقوب بن سيلوس الطرفى السدراتى رحمه الله تعالى قال ابو العباس العالم الفقيه الفاطن النبيه اليقظان الذكى ذو الجهادين الاكبر والاصغر والاجتهادين المصلى والدفتر الورع الزكى وكانت قراءته

على الائمة بتاهرت وقال له ابنه اوصنى فقال ما اراك تقبل يابن الردية فتردد فى ذلك ثلاثة ايام فلما رأى جده قال لا يكن ندبك الناس الى الخير أوكد من ندبك نفسك ولا يكن غيرك اسبق الى الحرث منك وكن للناس كالميزاب وكالسيل للادران وكالسمار للماء ، وقصده رجل من دمر فى مجاعة يطلب ما يتبلغ به قال له عرفنى بارخص ما فى السوق فاعلمه برخص الجمال فاقرضه الشيخ اربعة وعشرين دينارا من وديعة فاشترى ثلاثة جِمَال فاحسن رعيها ومرعاها فحسنت حالها فأمره ببيع احدها فباعه باربعة وعشرين دينارا فجاء صاحب الوديعة فردها له الشيخ فباع الثانى فاشترى به ما حمل على الثالث فرجع الى اهله على احسن حال والشيخ لم يتسلف الا باذن صاحبها فتلك عادة وكان قاضيا ولا يمنعه القضاء من فعل اشغاله لقوة ذكائه وقلة كبره وهو النهاية فى الفتيا بوارجلان وله مصلى معروف باجابة الدعاء .

ومنهم ابو سهل الفارسى رحمه الله قال ابو العباس غلبت عليه هذه العزوة الفارسية وليس بفارسى وانما هو نفوسى ولا شك ان امه رستمية من بيت الامامة فغلب نسبها عليه واشتهر وقيل بل هو رستمى ابا واما وان اباه بعض ولد ميمون بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى عليهم قال ابو العباس الغالب من احواله اهمال الدمع والتلهف على فائت ليس له رجوع فجعل هجيراه مراثي الدين واهله والبكاء عليه بوابل الدمع وطله فدونت الدواوين من كلامه قال وعن ابى زكريا يحيى بن ابى بكر أن رجلا من العرب من موالى لواتة قنطرار يسمى سعيدا طلع الى البادية فانتهى الى موضع ابى سهل بمرسا الخرز وقيل بمرسا الدجاج بجزائر بنى مزغنان قال فاكرمه وسأله عن اهل الدعوة فدون لهم اثنى عشر كتابا وعظا وتذكيرا وتخويفا نظما بلغة البربر وكان يحسنها اذ هو ترجمان الامام افلح والامام يوسف وفيه جمل من تواريخ اهل الدعوة فاختلس النكار شطرها فاحترق الباقى حين اخذت قلعة بنى درجين ولم يبق الا ما حفظ من ذلك فجمع

ما تحصل فى الصدور فكان اربعة وعشرين بابا وقبره بالموضع المذكور يزار وربما قال القائل انطلقوا بنا الى قبر النادب دينه .

ومنهم ابو محمد جمال المزاتى المدونى رحمه الله قال ابو العباس هو بقية الاسلاف المثلى فى سيرهم حين التلاف اقام المرفض اذا اراد ان ينقضى قال وهو من السباق فى العلم والعمل والندى وقارض فى ايامه رجل رجلا فبينما هو فى تجارته اذ ورد تفسير[1] هود بن محكم فاشتراه لنفسه لكن من مال القراض قال لصاحب المال لك رأس مالك عندى وقال صاحب المال الكتاب لى ولك نصيبك من الربح فتعصب قوم كل واحد له فأتى ابو محمد ففتح الكتاب فاذا فى وسطه ورقتان غير مكتوبتين فقسمه بينهما نصفين وقال من أراد نسخ النصف الآخر فليفعل وقيل الناسخ تفرس انه يقسم فبيض موضع القطع فاصطلحوا ووقعت مجاعة وفى جوار أبى محمد رجل اضر الجوع عياله وله ابل ولم يتركه الشح المطاع ان ينحر منها ناقة فقام الشيخ الى خيارها فنحرها للعيال بغير اذن فلما اصبحوا غارت عليهم غارة اكسحت ابل الرجل فلولا الله بلطفه ألهم الشيخ لماتوا جوعا قيل فتبلغوا بشحم تلك الناقة ولحمها وسدوا فاقتهم تلك السنة الشديدة وخرج عامل الظلمة الى قبيلة وهم اهل مواشى وقال كلما بت ضاعفت عليكم الطلب فلم يكترثوا بقوله حماقة وخرقا لا قدرة وعزا فقال ابو محمد للعامل امنعهم من ان يسرحوا مواشيهم حتى يعطوك ففعل وفعلوا فطعن الجهال فى فعله بأنه عون للظَلمة على الظلم فقال اذ بلغته مقالتهم على العالم ان ينظر للجاهل ويدله على ما فيه سلامة دينه ودنياه وكان يصلى بجماعة اكثرها اهل خلاف ممن يرى القنوت وكان يقنت بآى القرآن وقيل الفاعل

---

(١) للعلامة الجليل هود بن محكم الهواري تفسير يقع في اربعة اجزاء وهو تفسير بالمأثور ولا يزال مخطوطا وهود بن محكم من علماء القرن الثالث الهجري .

لذلك فتوح وتوجه مشايخ افريقية الى طرابلس واتفقوا انهم لا يتكلمون الا بقول واحد فى المسألة فدخلوا جربة فحضر شيوخها مجلسا جمعهم فوقع الكلام على الثياب التى صنعت مما انبتت الارض فقال الجميع لا تطهر الا بالغسل اذا نجست وقال ابو محمد تطهر بما به تطهر الارض فنبهه بعض اصحابه على ما وقع من الاتفاق فابى من الرجوع وكان ابو مسور حاضرا فقال العالم مثل الاجدل اذا حلق ضرب قال ابو العباس انما نبه بعض

اصحابه واعلمه بان اتفاقهم هو الصواب وصحبه الى الحج الشيخان مطكداسن وعبد الله بن الامير ومعه اثنا عشر جملا فدعا يوما الشيخ مطكداسن يعينه على ارتحالها قال ليس ذلك من شأنى قال وما شأنك اذا قال الدواة والقلم وحسبك انى كتبت احد عشر كتابا فى عشرة ايام فلما بلغوا مدين رأى ابو محمد رجلا يطفف الكيل فلطمه قال اوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين فرفع المضروب رأسه فقال فينا والله نزلت يا مغربى وانما نبهه ابو محمد بالآية لذلك لما قضوا مناسكهم ورجعوا الى بلادهم جاء لتهنئتهم الشيوخ فقال الشيخ عبد الله بن مانوج للشيخ عبدالله بن الامير لعلك اصبت فى سفرك بشىء قال قد سلمنى الله وعافانى قال ابن مانوج اود لو احتسبت بشىء تصاب به فاصبح له احد عشر جملا موتى اراد ابن مانوج قولا له عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقصد ان يوفر الله اجره .

ومنهم الشيخ فتوح بن ابى حاجب الوسلاتى المزاتى وذكر عنه ان مخالفا طعن فى دين الوهبية بمسمع منه فغضب وقال ليس هاهنا احد من اولاد المشومات فسمعه جماعة من شباب مزاتة وفتاكهم ممن يغضب لغضبه فتسوروا ليلا على الرجل داره وخنقوه حتى مات فرموا به فى الزقاق وذلك ببعض قرى الزاب فلما اصبح ونظره الناس ولم يجدوا به جرحا قالوا والله ما قتله الا الملائكة ثم مر الفاعلون بالشيخ بعد عام فقالوا ياشيخ

هل هنا احد من اولاد المشومات اولا؟ يذكرونه فعلتهم فاثنى عليهم وشكر فعلهم واذاه ذئب فى بحيرة فقوص فدعا عليه فاصبح فيها ميتا وسرق له فقوص فجعله السارق فى زق ماء حمله على ظهره فلما توسط مجمع الناس وقع وانقطع السقاء ففضحه الله وهى بعد امرأة سرقته مرارا فلما تمادت دعا عليها .

ومنهم سحنون بن ايوب هو فى العلوم آية واما فى الكلام فغاية اغترف من بحر علمه جماعة واقتبس من نور هداه قوم قادة منهم ابو القاسم وابو خزر وغيرهما ممن يكثر عددهم قال ابو العباس فقيه اوانه وعميد مكانه وكان من الائمة الثقات علقت عنه الفتاوى والمسائل فى كثير من النوازل وله آثار محفوظة فى جهة طرابلس .

ومنهم ابو عامر السدراتى وكان عالما ورعا زاهدا عاملا وفى السير اراد شروس فاوصته ام سحنون ليقضي لها حوائجها فقال لا تكلى الى حوائجك فان الدنيا عندى لا تساوى جناح ذباب فقالت اظن ان ليس لنا عمل يوزن عند الله فقال مسكينة ظنت أن الاعمال توزن وانما توزن القلوب ، وقدم مرة من الصحراء حتى بلغ رأس الجبل فقال له ابنه احملك أم احمل أمى قال احمل أمك فحمل أمه على ظهره الى منزله فوجد ابا عامر سبقهما وهو قبل ذلك لا يقدر على المشى وبعث حماره مرة الى افريقية يمتار الزيت فاصيبت العير التى رافقته فاخبر فقال حمارى سالم الى ليلة من الليالى فقال قوموا حطوا عن الحمار حمله فاذا به على الباب واقف ، ونام مرة فى غاره فسمع نداء عليه فخرج فلم يجد احدا فرجع فوجد صخرة وقعت من سقف الغار فى مكانه ولولا مَنّ وفضل الله لكانت القاضية وكان ابو عامر يبعث حماره الى الجبل يرعى فيقول عند الرواح اذهبوا الى موضع كذا فأتوا به مرة قال اذهبوا الى موضع كذا فأتوا ببردعته قد مات بل قد أكله الضبع وبعض بنيه يخالط اهل زناتة فى البيع

والشراء فجعل وليمة وابوه أمر بتجنب طعامه فكره ان ياكل الناس ولا يأكل ابوه فاصطاد ظبيا فقدموه له عند الافطار فقيل له من عند ابنك قال نحوه ماجاء من يونس فهو مؤنس فأرسلها مثلا .

ومنهم الشيخ التقى الافضل الحاكم الاعدل ابو ويسجمين من اهل تاغرويت وفى السير ان ابا عامر السدراتى ارسل ابنه ابا حسان الى الشيخ ابى ويسجمين ان يدعو الله له ان يرزقه الجنة فإنى سمعت عنه انه يخرج الحق كما انزله الله وذلك انه بلغه انه استمسك رجل بآخر عنده انه خوفه فأقر الآخر بذلك فاخرج الشيخ حزمة السياط قدامه ثم اشتغل بوظائف الصلاة فلما صلى أمره ان يتزر فتقدم وأخذ سوطا من تلك السياط فهزه كهيئة من يعرض للضرب فتركه وأخذ غيره حتى أتى على الحزمة فقال له تبت قال له تبت ياشيخ لا اعود فقال المدعى اعطنى منه حقى قال خوفا فخوفته فسار ابو حسان بوصية ابيه ابى عامر فاخبره فقال فما نحن حتى نطلب الجنة لابى عامر تحقيرا لنفسه وهضما لها عن مراتب الكمال ثم دعا له فاعطاه تمرات قال بلغها لابيك يفطر عليها وقل له يدعو لى بالجنة وبات ابو حسان فى رجوعه بالصحراء لبعد المكان فلما بلغ أباه وأخبره بالخبر قال أين بت قال فى الفحص قال على ما افطرت قال على بقلة الزباح قال الشيخ لو انك اكلت التمرات لم تفلح ابدا وسمعه رجل يقول رب لم كان مالى مثل مال النصرانى لا تصيبه الآفات ثم جاءه بعد ذلك وهو مسرور فقال له انك تفرح لى مات لى سبع من الابل جيفا .

ومنهم ابو حسان بن ابى عامر المتقدم قيل ينسبان لعاصم السدراتى ودخل على الاشياخ بتلات فوقعت بينهم مباحثة فى مسألة خطأوه فيها قالوا تب الى الله من قولك وفيهم ابو عيسى الدرفى وكان ابو يحيى الفرسطائي ساكتا ونصرته عجوز ثم تكلم ابو يحيى فقال لابى حسان تب الى الله فتاب فقال ابو عيسى للعجوز التى قوت قوله هل توليت ابا حسان قالت نعم

قال هل تدعين له بالجنة قالت نعم قال هل تدعين ان يشاركك معه فى المنزل فى الجنة قالت نعم قال توبى الى الله ليس للعبد ان يدعو بالمشاركة الا مع المعصوم قالت من تكن يا فتى كى انسب اليك دينى قال قد امتلأت من دين ابن ابى عامر وحضر ابو حسان مجلس ابى سارون الجلالى فى شروس فساله فيمن عظم فى الصلاة واحدة او اثنتين او ثلاثا او اربعا او خمسا فاجابه بان الثلاثة هى السنة وفى الاربع والاثنين قولان والنقض فى الواحدة والخمسة وسأله فى الذى اخر يديه عن ركبتيه فى السجود وقدمهما على رأسه او وسطهما او ساواهما بالرأس فاجابه النقض فى التقديم والتأخير والخلاف فى المساواة والمعمول التوسط فقال ما تقول فى جالب الخدم فتسرى واحدة فاتت باولاد سود مثل الزيتون قال يلزمونه فضحك بعض من حضر فغضب ابو حسان وقام وقال الضحك فى المجالس فانتهر ابو هارون الضاحك ولما حضرته الوفاة اوصى بثمانين دينارا قالوا لماذا قال للنار السوداء وكانت العجوز تبر كانت جدة الشيوخ من عباد الله الصالحين واليها هربت البنت الصالحة البصيرة حين ظهر حملها وقصتها انها من اهل تاغرويت وكانت عمياء فغلبت على نفسها فحملت وخافت من اخيها فهربت حتى أتت العجوز فولدت عندها غلاما فاحتال اخوها حتى رأى العجوز ليلة اشتغلت ببعض ما يهمها فدخل فوجدها تطحن فذبحها فخرج فدخلت العجوز فوجدتها مذبوحة وولدها يرضعها فدفنوها فرآها بعض الصالحين فى الليلة المقبلة فى المنام قالت له قل لأخى ماترجمته بالعربيه فليضرب ذو الفعل السوء وجدت منازل بنيت باللؤلؤ وهو شعر له وزن بلغة البرابر واسم ولدها وزال عاش فتعلم القرآن والعلم وصار شيخا اماما وقدوة وعلما يهتدى به وولد له ولد سماه عيسى قال الشيخ ابو محمد الشيخ عيسى والشيخ ابو الربيع اليوجلانى ليس عندهما من كلام الدنيا شيء الا الاشتغال بطاعة الله تعالى حتى لحقا بالله تعالى وتاغرويت مدينة قريبة من لالت تحتها وجلاءاهلها زناتة واجتمع فيها فى ايام ابى ويسجميمان

سبعون شيخا اصحاب القلنسوات واكثر اهلها ذهبوا الى وارجلان وكان رجل من اهل لالت قويا فى دين الله وجعل الناس يوكلونه على انفاذ وصاياهم وكان لا يتربص ولا ينتظر فى انفاذها ويأتيه اهل تاغرويت فيعطيهم فاذا قال احد منهم عيالى كذا صدقه واذا قال وصانى فلان ان آخذ له وعياله كذا صدقه واعطاه على ذلك الحساب .

ومنهم التقيان الورعان العاملان الذائبان فى طاعة الرحمن ومعصية الشيطان ابو احمد ومحمد بن بصير اللالوتيان النفوسيان وفى السير اعاد ابو احمد صلاة سنة فى ليلة واحدة وذكر لأم زورغ ذلك ايضا وهذا الشيخ بورك فيه وله فضائل قالوا ما دخلنا على محمد بن بصير قط الا اوصانا ان نحتفظ من الشيطان باربع فاذا فعلتم تركتموه كالخابية التى لاعرى لها عند الرغبه والشهوة وعند الغضب والرهبة .

ومنهم ابو زكريا يحيى بن سفيان اللالوتى النفوسى وكان من المعمرين وكان حاكما عادلا وعالما فاضلا وفى السير سافر الى الحج ومر فى طريقه برجل يسقى الماء ويسألهم عن اسمائهم فاستسقاه فسقاه وسأله عن أسمه قال يحيى بن سفيان فانصرف الساقى فقيل له لم تركت السقى قال رأيت فى المنام انى اسقى رجلا من اهل الجنة اسمه يحيى بن سفيان وظفرت به واصطحب مع قوم من المخالفين وكان هو الذى يصلى بهم جميعا وكان يحصد الزرع فاحتاج الى ما يحمل عليه فأتاه جاره بجمله يحمل عليه فابى له وانتهره ثم بعد موت الشيخ حصد ابنه فى ذلك المكان فاحتاج ايضا الى ما يحمل عليه فأتى جاره يطلب جمله قال له أردت ان احمل شبكتى ثم احمل انت بعدى فغضب ابن الشيخ حيث لم يؤثر بالتقديم فقال صاحب الجمل ان ذا لمن العجب الشيخ يغضب علينا اذ آثرناه على انفسنا وابنه يهددنا اذ لم نؤثره وأتاه ابو الربيع يتعلم عنده فأخذ يفتى بالرخص فى مجلسه قال ابو الربيع هذا كثير قال ابو زكريا ان لم ترد فقم فقام ابو

الربيع فقال ابو زكريا للتلامذة ردوه ان لم يفهم هو فلا يفهم غيره فوجدوه راجعا قد بدا له وحضر مع المشايخ يضربون رجلين خففوا على احدهما وثقلوا على الآخر فقال خففتم على هذا غلظ الله عليه وشددتم على الآخر خفف الله عليه فكر الضرب على الذى خففوا عليه فمات وكان نفوسيا وسلم الله الآخر وانزل الاشياخ رجلا من أهل تارديت في السجن فأراد اهله اخراجه من غير رضا المشايخ قال ابو زكريا اتركوه يخرج لانفعهم الله به فلم ينتفع به اهله بل اخذت الدعوة فى الجميع فرأى بعد ذلك غلاما عليه ثياب حسنة وبرنوس احمر وهو على فرس فقال من والد هذا قالوا من اهل اندامر يعنون قبيلة الذى اخرج من السجن قال او بقى من اولاد فلان احد الى الآن جدد فنسى التوبه ثم مات الفتى بعد ذلك بقليل فنعوذ بالله من عقوق اوليائه وباته المشايخ فاكثر عليهم اللحم دون الطعام واستعذر وباتوه تارة اخرى فاطعمهم الطعام والزيت فلم يستعذر فذكر له ذلك فقال لا عذر مع الطعام والزيت واخذ منه العلم بشر كثير واخذ عن ابى محمد خصيب التمصمصى وعن ابى عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتى .

ومنهم ابو عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتى النفوسي وكان بحر العلم الزاخر وامام الحكام الفاخر قيل له فى بعض احكامك ضعف قال اقعدوا على طريق الحطابه فان رأيتم معهم عودا يابسا فصدقتم ان ضيعت شيئا من الحق وكان بشروس فى يوم مطر فمشى بخفيه حتى دخل المسجد فتقدم وصلى بالناس بهما وللامام افلح ما يقرب منها وذلك ان بعض علماء تيهرت دخله الشك فادركه يوما يحاذر مايطير اليه من طين الازقة وذلك فى اثر مطر فحرك الامام فرسه متعمدا فاطار عليه من الطين الذى يحاذر منه فلما بلغ المسجد قدمه بثيابه فصلى بالناس وزال عنه الشك وقال رجل لابن جلداسن حين تقدم بخفيه ان متولى الناس مثل اللبن يغيره ادنى مايقع به

فترك مثل ذلك من هناك وكانت ام سحنون اللالوتية من افضل عجوز بالجبل وسار المشايخ لزيارتها فلما قربوا اتاهم خبر حدث وقع بجادو فرجعوا الا ابا هارون فلما وصلها اخبرها قالت يا اخى خشيت ان اكون ممن قيل فيهم اذا زارت الاخيار فاسقا سد الملائكة عليهم الفجوج واذا زار الاشرار صالحا قيدتهم الملائكة وقالت للشيخ ماطوس بن ماطوس رضى الله عنهم ما زوجتك قال ليست بشيء فرأتها بعد ذلك فقالت قلت ليست بشيء وهى كالشحم المغموس فى الدم بارعة الجمال قال ما انتن من لم يتق الله وقد تقدم شيء من اخباره .

ومنهم ابو الربيع سليمان بن هارون اللالوتى شيخ العلم والتحقيق وقدوة اهل التقى والتوفيق وفى السير مات وهو ابن سبع وعشرين سنة وقد جازت عليه نسبة الدين خرج ايام الربيع هو وتلاميذه فصادفهم بنو تيجن يمشون بين الخصوص فقتلوهم جميعا وكتب ابو يحيى الفرسطائي الى اهل جادو المؤمنون تتكافأ دماؤهم بلغنا ان تسعة رهط من بنى تيجن يفسدون فى الارض ولا يصلحون قتلوا ابا الربيع يعنى لهم ان قدروا على احد منهم قتلوه واخذ العلم عنه كثير منهم ابو محمد خصيب بن ابراهيم التمصمصى واخذ هو عن ابى هارون الجلالى موسى بن يونس وقد تقدم ذكره ولالت موضع الاشياخ والعلم .

ومنهم ابو نصر زار بن يونس التفستى النفوسى من الائمة الاخيار والقادة الابرار وفى السير قال ابو نصر الكلام كله لغو إلا مسألة فى الخير واستعاذه من الشر وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وفيها اتاه ابو سهل البشر بن محمد يتعلم عنده فحضر المجلس فسمعه يقول لن ينجو من علماء آخر الزمان الا قدر ما يسلم من المصابيح اللاتى رفعت من بيت الى بيت فى يوم ريح فلما اصبح أتى الشيخ للوداع قال له ما السبب قال سمعتك وما

ذكرت من قلة من ينجو من العلماء قال ابو نصر اذا كان هذا شأن العلماء فكيف بنجاة غيرهم بل الجهال دود لايفلت منهم احد ولما حضرت الوفاة ابا نصر أخذ يبكى قيل ما يبكيك قال خوفا من الفتيا قلت دار من دور نفوسة لم يدخلها فتياى .

ومنهم ابو غلبون النفوسى وابو محمد بن المطا النفوسى الاملى كانا عالمين عاملين صالحين كان ابو غلبون يقرأ فى منزله وتقرأ معه ابنته من بيتها من الجانب الآخر من الوادى ورأى ليلة القدر فأضاءت الأرض فأبصر ذئبا بموضع بعيد يكاد ان لا يبصر فيه بالنهار وفى السير ان ابا المطا شديد الورع فطلق امرأته فقال من قال الان يتبين ورعه يعنى ان صدقات النساء ثلاثة ارباع ما عند الزوج من الربع هل ينصف نفسه فيعطيها ثلاثة ارباع الاصل فانصف من نفسه واعطاها حقها وام الربيع موضعها بقرب موضعه كانت مأوى للاخيار وكهفا للابرار وسيأتى ذكرها مع ذكر ابى حسان خيار بنى ملال الفرسطائي .

ومنهم ابو محمد عبدة التلاتى النفوسي وفى السير كان شيخا وذكر من سخائه ان وقع بنفوسة قحط وشدة فأخذ ينفق اهل بلده ما شاء الله من الدهر وقال لهم من أراد ان يأخذ نصف صاع لغدائه ونصف صاع لعشائه من اى نوع شاء من شعير او تمر او تين ومن ورعه ان ارسل ناقته ترعى وديعة عند العرب فحملت فلما ولدت رد لهم الولد ومن حزمه قالوا غرس ثلثمائة كرمة بيده واوصت عجوز عجوزا بعد ان عجزتا عن الزيارة والالتقاء وقد كانتا تلتقيان بموضع بين بلديهما تتذكران وتذكران الله ثم تفترقان فلما عجزتا اوصت احداهما الى الاخرى لا تتركى نصيبك وحظك من الامر والنهى لان من احيى نصيبه منهما كمن احيى المسلمين من مخه ومن ترك ذلك كمن قتلهم وباع سهمه من الجنة احداهما من

اكراين والاخرى من توغرمت ومن عادة اهل الجبل الاجتماع والتزاور في الله خصوصا اهل ولون وكان اجتماعهم على ما يصلح الاسلام واموره يخرجون الحق ممن كان عليه حتى اذا نزع احد بقلة الشاس من اصلها ادبوه وفى يوم جمعة يتزاورون يختلفون فى الطرق بين سائر وراجع مثل النمل وتبيّض الجبال من كثرتهم .



تم الجزء الأول بحمد الله

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

طبع بمطابع النهضة ص ب : ٩٧٩ مسقط ت : ٧٩٥٢٥١